مولد النبي المصطفى

المرحوم الشيخ عبد المهدي مطر •

راحتْ لمولدِكَ الأيامُ تبتسمُ ... وضاءَ يومُكَ فانهارتْ به الظلمُ
يومٌ توسّمت الدُّنيا بمطلعِهِ ... عدلاً تدل به الأهواءُ والنظمُ
واستنْكرتْ زهوةُ التيجانِ سطوتَهُ ... أن لا تدوم لها النعماء والنعمُ
وأنْذرتْ ملكَهُم بالخسْفِ عاصفةٌ ... نكراءُ ينفخ في أبواقها العدمُ
تأتي على الهضباتِ الشّمّ صرختُها ... فلا يقيم لها عادٌ ولا إرمُ
فما تَصَدَّعَ إيوانٌ ولا خَمِدت ... نارٌ لفارسَ كانت قبل تضطرمُ
إلا ليومك إذ ماجتْ لروعتِهِ ... عصم الممالك وارتاعت له الأممُ
وقطبت من عتاةِ الغيِّ أوجهُها ... فما تبسّم تمثالٌ ولا صنمُ
بك استقرت من الطغيان سورته ... حتى تطامن منها سيلُها العرمُ
واستقبلتك الدنا في جاهليتها ... فاستقبلتها السجايا منك والشيمُ
وأصبحت بعد دهر من ضلالتها ... نوراً تفيض بها الأمثال والحكمُ
وطاردت مشرق الدنيا ومغربها ... كتائبٌ لك لا تعتاقها اللجمُ
فما بلغت بفتح منك ناحيةٌ ... إلا ورفّ على أخرى لك العلمُ
تبسمت عنك أشتات الحياة كما ... تبسمت عن شآبيبِ الحيا الديمُ
وشدت ما هدموا للمجد من أسس ... وعمَّ صفحُكَ من شادوا ومن هدموا
والكونُ رَفَّ عليه العدلُ روضته ... فيحاء يرتع فيها الذئب والغنمُ
محمية بأبي الزهراء ساحتها ... فلا يدنسها حيف ولا لممُ
من مغمد اليتم قد سلّت صفيحته ... فهابها العنصران: العربُ والعجمُ
وحطمت بالتآخي كل فرعنة ... حتى استوت عندها المخدوم والخدمُ
قدست من ساحةٍ يستطيل بها ... إلا الإباء وإلا المجد والشممُ

ص ١٤٠

ص ٣٨

ص ١٠٦

ص ٨

كلمة العدد

(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)

المشرف العام ٦

قرآنيات

التعجب!! وصوره في القرآن الكريم

أ. د. زهير غازي زاهد ٨

ثراء الدلالة في المفردة القرآنية

عـادل عباس النصراوي ١٢

آمن الرسول

من هو الذي عبس وتولى؟!

السيد أسـعد القاضي ٢٦

استطلاع العدد

علمان من بني هذيل في الحلة الفيحاء

حيدر الجد ٣٨

في رحاب الفقه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٥٦

واحة الأدب

قصة قصيرة: يوم.. ما

زهرة النرجس ٦٤

القصيدة الكوثرية

السيد رضا الهندي ٦٧

للفضيلة نجومها

المحدث الجليل.. الأصبغ بن نباتة المجاشعي

عـلي الفحـام ٧٢

من أعلام كربلاء.. السيد عبد الوهاب آل وهاب

سـلمان هادي آل طعمة ٨٤

الباحث الأستاذ كاظم الفتلاوي.. في ذمة الخلود

أسرة المجلـة ٩٢

ص ٩٢

ص ١٨

ص ٦٢

ص ١٠٢

قراءات

قراءة في كتاب "تاريخ العرب في الإسلام"
د. نصير الكعبي ٩٨

طروحات عامة

المركزية واللامركزية بين الإدارة ونهج البلاغة
هاشم حسين المحنك ١٠٦
خصائص الفكر الإسلامي والغربي في موضوع التنمية
فلاح شفيع ١١٢
السلاجقة ودورهم في إذكاء العصبية المذهبية
د. محمد جواد فخر الدين ١٢٤
المجتمع المدني ووعي التغيير
باسل حسن لايذ ١٣٠

تحقيقات

مقام أمير المؤمنين عليه السلام في منطقة الباج
جواد عبد الكاظم محسن ١٣٦
الجامع الكبير في صنعاء.. رمز الشيعة
علي محمد زيد ١٤٠

إرهاب النواصب في زمن الإمام الحسن العسكري عليه السلام
الشيخ علي اليماني ٢٠
صحف ومجلات الناصرية
الشيخ حميد البغدادي ٩٤

شمس خلف السحاب ١٨
البسالة الهاشمية ٣٦
حكاية مستبصر.. أسعد وحيد القاسم ٦٠
من سير الجبابرة ١٠٢
وصف جيش أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل ١٣٤
أجوبة مسابقة العدد (٣٣) وأسماء الفائزين ١٤٤
مسابقة العددين (٣٥-٣٦) ١٤٥

﴿ وما خلقت الجن والإنس.. إلا ليعبدون ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

كثيراً ما نلاحظ الكتّاب الإسلاميين بل عموم المبلغين في ضمن نشاطاتهم التبليغية وفي إطار طرحهم لضرورة الاهتمام بالأحكام الشرعية ومتابعة المشرّع في امتثال تكاليفه الدينية يتوجهون وفي كثير من الأحيان ـ من أجل ترغيب الناس على الطاعة وتنفيرهم من المعصية ـ إلى بيان ما يترتب على الأحكام الشرعية من المصالح التي تعود على الفرد المسلم بالآثار الصحية أو المادية أو الاجتماعية أو غيرها من الآثار، وما تتضمنه من العلاجات الجذرية للمشاكل العالقة التي تواجه الفرد والمجتمع خلال حياته وتعايشه مع أبناء جنسه، كل ذلك من أجل تحفيز الناس وحثهم على الالتزام بأحكام الشرع المبين.

مع أن مما لاشك فيه ـ وفق المعايير الاعتقادية لدى العدلية من الإمامية الاثنا عشرية وغيرهم ـ لا بدية من وجود مصالح كامنة وراء الأحكام الشرعية، وهي التي اقتضت توجه الحكم الشرعي من المشرع الإسلامي إلى عامة الناس، ولا مجال لفرض خلوّ الأحكام من المصالح والمفاسد في ذلك من نسبة العبث واللافائدة إلى المشرع الإسلامي وهو خلاف معتقداتنا من حكمة الله تعالى عن ذلك.

إلا أن الذي يهمنا في هذا الصدد التنبيه إلى قضية هامة وهي أن المصالح المترتبة على الأحكام الشرعية ليست بالضرورة مصالح ذات بعد مادي دنيوي يستفيد منه الفرد المسلم ـ في صورة طاعته ـ فوائد تعود على بدنه أو علاقاته مع مجتمعه أو غير ذلك، فنلاحظ إخواننا المبلغين يؤكدون على ذلك في كثير من الأحيان، فمثلاً يلاحظون الفوائد المترتبة على الصلاة ويعتبرونها من الأسباب الهامّة التي اقتضت تشريعها بل وحثّ المشّرع عليها، وعندما يلاحظون تشريع الصوم يلاحظون فوائده المترتبة على الصائم نفسه وعلى المجتمع الصائم وهكذا... إلى كثير من التشريعات الإلهية التي يفترض أن تتضمن المصالح والمفاسد هروباً من نسبة العبث إلى الله تعالى.

ويغفلون في كثير من الأحايين الأخرى عن الفوائد المعنوية التي تترتب على امتثال الأحكام الشرعية من الانقياد لله عز وجل والارتباط به واستشعار الخوف منه والرجاء إليه، والتي هي لا تقل فائدة عن الفوائد الدنيوية الأخرى التي أشرنا إليها، بل بحسب مذاق المشرع الإسلامي فإن قضية الارتباط بالله تعالى واهتمام الشرع بذلك من أعظم الأمور التي أكد عليها الإسلام.

فقد أشار إلى ذلك سبحانه وتعالى في كتابه المنزل ضمن حصر يدلّل على ما ذكرنا بشكل واضح بقوله عز وجل ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ الوارد في بيان العلة التي من أجلها خلق الله سبحانه الجن والإنس، مع أنه لا مانع من تشريع بعض الأحكام لتنظيم الحياة الشخصية والاجتماعية في أثناء المسيرة البشرية. إلا أنه لا يعني غض الطرف عن الجهة التي ذكرناها من أهمية العبادة لله تعالى التي تتضمن معاني الخضوع والتذلل والاستكانة وغير ذلك من المعاني الروحية التي جاءت بها الأديان السماوية كلها، بل اعتبرتها المعيار الوحيد في مقياس الصلاح والمثالية الفردية التي تنتج المثالية على الصعيد الاجتماعي العام.

ومن هنا جاء التأكيد والحث على الإخلاص في العبادة والتوجه إلى الله تعالى في آناء الليل وأطراف النهار واستشعار العبودية الخالصة التي لا يشوبها شيء من الرياء والعمل لغير الله. كما جاء الحث والتأكيد على ضرورة التفكر في عظمة الله تعالى واستحقار الإنسان لنفسه واستقلال العمل، وغير ذلك مما هو كثير في مجال تربية النفس وتهذيبها فإن المصالح الدنيوية التي يذكرونها وإن كانت أمراً لا بأس بذكره وهي تكشف عن الأسرار التشريعية العميقة إلا أنها ليست كل الغرض من التشريع وليست السبب التام وإلا لما كان وجه للاهتمام الشرعي بما ذكرنا من الإخلاص والانقطاع إلى الله تعالى.

لذا علينا وعلى أخواننا جميعاً التأكيد على هذه الجوانب الروحية وعرضها بشكلها الجليّ على عامة الناس ليستشعروا أهمية ذلك وأن الرسل والأنبياء والأئمة الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) لم ينالوا المراتب العالية الرقي والكمالات الروحية إلا بالخوف والرجاء والارتباط بالله تعالى.

ومن ذلك نستوضح أن الأحكام الشرعية من الواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات لم تقتصر فوائدها على المصالح المادية الخارجية. بل هناك مصالح عليا توجب الرقي والكمال لابد من الإنسان المسلم استشعارها والتوجه النفسي لها والعمل على تحصيلها وترويض النفس على مزاولتها تدريجياً، ولا يقتصروا في أداء واجباتهم على الحركات الخالية ـ في كثير من الأحيان ـ من المعاني السامية التي دعا إليها الله سبحانه والنبي الأكرم وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

ثم يترتب على ذلك التأكيد على ذكر الموت والقبر والقيامة لما فيه من عزوف النفس عن الدنيا والركون إليها والانقطاع بها عن الآخرة بالاستهوان واستقلال متاعها. ومن الله سبحانه نستمد العون والتوفيق. وهو حسبنا ونعم الوكيل ■

المشرف العام

التعجب!!

وصوره في القرآن الكريم

أ. د. زهير غازي زاهد •
كلية الآداب/ جامعة بغداد

ينابيع

التعجب أسلوب يُعبَّر به عن انفعال وشعور بظاهرة أو منظر أو حدث.

عبَّر عنه نظام العربية بصيغتين قياسيتين هما: ما أفعله وأفعلْ به، كما جاءت تراكيب للتعجب كثيرة تفهم من سياق العبارة وهذا ما يسميه البلاغيون العدول الاسلوبي، كما قد يأتي التعجب بصيغ سماعية. فتعددت صور التعجب بغير الصيغتين القياسيتين لاتساع افق التعبير في العربية ثم لأن الاقتصار على هاتين الصيغتين قد يوقع في الالتباس، لذا ندر مجيئهما في القرآن الكريم وكثرت التراكيب الأخرى التي تفهم بسياقها.

فالصيغة القياسية الأولى (ما أفعلَهُ) تلتبس مع الاستفهام ب (ما) بعدها فعل ماض على وزن (أفعل) مثل أجمل وأحسن، كما التبس على ابنة أبي الأسود الدؤلي من قول والدها: (ما أجملَ السماء) فأجابته: نجومها، فقال لها: ما أردت السؤال وانما أردت التعجب. وحقيقته أنه مركب استفهامي ب (ما) التي تستعمل لغير العاقل وكثر استعماله للتعجب مع (أفعل) فجمد على هذه الصورة تحول للدلالة على التعجب[1].

فنحن لا نحتاج إلى تفكيك أجزائه وإنما نكتفي بالقول عند تحليله: ما أفعل، صيغة للتعجب ومتعجَّب منه.

وأما الصيغة الثانية فتلتبس بفعل الأمر اللازم المتعدي بالباء مثل أجملْ به، وهو ما أوقع النحويين في تأويل إعرابه تأويلا بعيداً يخالف قواعدهم، فالمجرور بالباء وبعده ليس فاعلا كما زعم النحويون وإنما هو مفعول به وصيغة الفعل للأمر أريد بها التعجب. والصيغتان لا يفهمان بوضوح إلّا بقرينة السياق، لذلك ندر ورودهما في القرآن الكريم، فجاءت الصيغة الأولى في قوله تعالى:

(أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبَرهم على النار) ١٧٥- البقرة، وجاءت الصيغة الثانية في قوله تعالى: (..له غيب السموات والأرض أَبصِرْ به وأسمِعْ مالهم من دونه من ولي ولا يُشرك فِي حكمه أحدا) ٢٦- الكهف.

لكن اللغة تجاوزت هاتين الصيغتين إلى تراكيب أساليب أخرى كثيرة يفهم منها معنى التعجب.

فقد يُعَدل أسلوب النداء من طلب المنادى إلى معنى التعجب مثل قوله تعالى: (قال يا بُشْرى هذا غلام) ١٩- يوسف.

وقوله: (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) ٣- يس.

وقد يعدل عن أسلوب الاستفهام إلى معنى التعجب بمختلف أدواته كقوله بأداة الهمزة: (قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً) ٧٢- هود.

وقوله تعالى: (ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون) ٣١- يس.

وكذا استعمال (هل) كقوله تعالى: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا) ١-الدهر.

(هل في ذلك قسمٌ لذي حجر) ٥- الفجر.

(هل أتاك حديث الغاشية) ١- الغاشية.

وقد تستعمل (ما) الاستفهامّية كقوله تعالى: (عمَّ يتسائلون عن النبأ العظيم) ١-٢ النبأ.

(فيمَ انت من ذكراها) ٤٣- النازعات.

وقد تستعمل (كيف) في قوله تعالى: (فكيف إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه) ٢٥- آل عمران.

(فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) ٢٧-محمد.

(فكيف كان عذابي ونُذُر) ١٦- القمر.

وباستعمال (أيْ) في قوله تعالى: (لأيّ يوم أُجِلّتْ) ١٢- المرسلات. التعجب من عظمة اليوم.

(من أيّ شيء خلقه) ١٨-عبس. هذا كقولنا: اشتريت كتابا أيّ كتاب!

وقد تكتفي العبارة بذكر (ما) للدلالة على التعجب من دون ذكر الفعل كقوله تعالى:

(وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) ٢٧- الواقعة.

(وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) ٤١- الواقعة.

(الحاقة. ما الحاقة) ١-٢ الحاقة.

(القارعة. ما القارعة) ١-٢ القارعة.

(فأصحاب الميمنة. ما أصحاب الميمنة) ٨-الواقعة.

(وأصحاب المشئمة. ما أصحاب المشئمة) ٩- الواقعة.

وقد يفهم التعجب من استعمال مادة (عجب) كقوله تعالى: (إنّ هذا لشيء عجيب) ٧٢-هود.

(واتخذ سبيله في البحر عجبا) ٦٣- الكهف.

(إنّا سمعنا قرآنا عجبا) ١- الجن.

وقد يفهم التعجب من الصيغ السماعية كما في قوله تعالى:

(قل سبحان ربي هل كنتُ إلا بشراً رسولا) ٩٣- الإسراء.

(فسلام لك من أصحاب اليمين) ٩١- الواقعة.

جاء التعجب هنا بصيغة (سبحان) وبأداة الاستفهام (هل).

وفي العربية تراكيب سماعية للتعجب كقولنا: لله دره من فارس!، لا فُضّ فوه من خطيب!، لله أبوه!، لله أنت!.

وبهذا نجد القرآن الكريم استعمل تراكيب للتعجب تفهم من سياق العبارة، وفهم السياق هو أقوى وأدق في تحديد المعنى الأسلوبي للعبارة، لأنه قرينة القرائن في العبارة ■

---

(١) في النحو العربي - قواعد وتطبيق - المخزومي ٢١٤، ٢١٥.

الإيمان

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الأنفال:٢.

وقال عز وجل: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الحشر:١٠.

وقال عز اسمه: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ البقرة:٢٨٥.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن الإيمان ما خلص في القلب وصدقه الأعمال**» معاني الأخبار، الشيخ الصدوق ص:١٨٧.

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «**ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال: وقور عند الهزاهز، صبور عند البلاء، شكور عند الرخاء، قانع بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء ولا يتحامل للأصدقاء، بدنه منه في تعب والناس منه في راحة، إن العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والصبر أمير جنوده، والرفق أخوه واللين والده**» الكافي ٢/ ٢٣١.

وعن علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الايمان معرفه بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان**» عيون أخبار الرضا ٢/ ٢٠٥.

ثراء الدلالة
في المفردة القرآنية

عادل عباس النصراوي •
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

ينابيع

تعد المفردة القرآنية الأساس الذي تدور حوله الدلالة وتشكيلاتها، ويتعدد الاستدلال بها بفعل تعدد السباقات التي ترد فيها اللفظة القرآنية، إذ إن السياق يكون فعالاً في استدراج المعنى المطلوب بما يناسب الغرض الذي وردت فيه المفردة، فضلاً عن أن دلالتها في سياقها قد تنزاح عن أصل وضعها اللغوي إلى دلالات أخرى بما يتفق مع الغرض المطلوب في مجمل الآية أو السورة، فيوجهها إلى مواقع دلالية وزوايا لم تكن متصورة، في حين أن السياق هو الذي أمكنها في موقعها وبرز فيها الدلالة المطلوبة.

إذاً تبدو المفردة القرآنية في وضعها السياقي ذات دلالات كبيرة وواسعة، قد لا يحاط بها في زمن معين، بل تحتاج إلى زمن أطول ووقت أكثر، لأن التطور يضفي على المفردة سمات إثرائية في الدلالة، فضلاً عن كون المفردة اللغوية تحمل بين جنباتها عوامل التطور، لأن اللغة العربية لغة حية، ولها إمكان النمو، وكان القرآن الكريم معيناً ثراً يرفدها بدلالات لم تكن منظورة في زمن معين لكنها تظهر جلية في أزمان أخرى.

تميزت المفردة القرآنية كثيرة تختلف عما هي عليه لو استعملت في كلام العرب وعلى ألسنتهم، لأن القرآن الكريم يفعلها

غايــة الانفعــال ليظهر مخزونهــا الدلالي بأوســع صورة، وأقصى مدياته، فالمفردة العربيــة مفردة مرنة في المعنى، طيعة في شــكلها وصيغتها، كي تتوافــق مع الغرض الذي يطلبه المتكلم. لذا نجدها في القرآن الكريــم ذات خزين دلالــي كبير من خلال تجدد معانيها وتمكنها في موقعها الذي هي فيه، وهذا مما يكســبها ثراءً دلالياً كبيراً، وتمثــل في أوجــهٍ عدة، فمنها على ســبيل الاختصار:

أولاً: الأتســاع الدلالي فــي المفردة القرآنية:

وهذا أكسبها ثراء كبيراً من خلال تعدد المعنى الذي ترفدنا به المفردة في سياقها ونظمها الذي أتت فيه.

إذ تميز الاستعمال القرآني في نظمه، فكان فــي غاية الانفعال حتى أعجز العرب عن الإتيان بمثله.

فدائرة الأتســاع القرآنــي في الدلالة، إنمــا جــاءت من حســن اختيــار المفردة ووضعهــا فــي مكانهــا المناســب، فغنى المفــردات وغنــى الواقع المــراد التعبير عنه وإحساس مناسبة المفردات للموضوع وإحســاس مناســبة المفردات للمفردات في الســياق، فضلاً عن عمق المعنى، كلها عوامل ســاعدت على توسع دلالة المفردة القرآنية في ســياقها، وعمق مدلولها الذي تفضــي إليه، فالقرآن الكريم كله اتســاع،

فلا ترد المفردة إلا وقد تحكم فيها السياق، فساقها مساقاً يثور فيها المعنى، فينتج عنه دلالات جديدة ضمن التركيب الجديد، لأن الكلمات كائنات حية، تأخذ وتعطي وتساهم كلما استعملت في سياق لغوي لتتسع دلالتها وتتعدد.

إذا كان السياق مسوغاً فعالاً في إنتاج معنى جديد، وفضلاً عن ذلك نجد من مسوغات الاتساع، التركيب النحوي، الذي يتجلى من خلال التقديم والتأخير، والخبر والإنشاء، وغيرها. وكذلك تعدد المعنى المعجمي، فالمعنى المراد يتجسد من خلال السياق الذي ترد فيه المفردة، ومن ثم احتمالات الإعراب للمفردة، هي الأخرى تعزز دلالات جديدة يقررها المعنى النحوي، مضافاً إليها تقدير المحذوف، ففيه تتسع الدلالة أو يطلق بحسب السياق الذي يكون هو الحاكم في ذلك عند التقدير.

فمن موارد اتساع الدلالة في المفردة القرآنية ما يأتي:

١ـ المعاني المشتركة للمفردة الواحدة، وهو ما يسمى في العربية بالمشترك اللفظي، فإذا ازدحمت المعاني على اللفظة الواحدة، فإن السياق هو الذي يتكلف في إبراز المعنى المطلوب، فلفظة (قضى) في أصل وضعها اللغوي (القضاء، وهو الحكم)[١]، غير أن هذا المعنى قد ينزاح عن وضعه اللغوي الأول إلى معان ودلالات أخرى بفضل السياق، حتى بلغت معانيها العشرة. ففي قوله تعالى (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ)[٢]، جاءت (قضى) بمعنى وصى، وفي قوله سبحانه (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ)[٣]، جاءت بمعنى أخبرنا، ووردت في قوله عز وجل: (فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ)[٤]، معنى إذا فرغتم من أمر مناسككم وغيرها من الوجوه الأخرى[٥]، وهذا يمثل ثراء دلالياً في المفردة القرآنية.

٢ـ خصوصية الاستعمال القرآني، وذلك أن بعض الألفاظ لها استعمال خاص عند العرب، بيد أن القرآن الكريم استعملها باستعمال آخر، فالمفردة (لعل) هي كلمة رجاء وطمع وشك، من نحو قوله سبحانه (لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ)[٦]، إذ نستشعر فيها الطمع لوقوع الهداية والرحمة لكن في قوله تعالى: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ)[٧]، أو قوله سبحانه: (لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا)[٨]، ففيهما لا يتمنى الله قطعا وكذا الحال في (عسى)وفي غيرها، ما جاء منها مخالفاً لسياقات العرب، وبدلالات جديدة أعجزتهم عن الإتيان بمثلها، مما زاد المفردة القرآنية ثراءً وغنى.

٣ـ التضاد، فقد أثرى المفردة دلالات أخرى، وكان محل اجتهاد، ومنها (القرء) ففي قوله سبحانه (يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوَءٍ)[٩]، اجتهد العلماء في معناها وافترقوا في دلالتها بين الطهر والحيض إعتماداً منهم على المعنى اللغوي والنحوي، ومنها أيضاً (التواب)، و(بعد) وغيرها من المتضادات التي وسعت الدلالة وأثرتها في القرآن الكريم.

٤ـ تعدد المعنى للمفردة القرآنية، إذ تبتعد عن أصل معناها اللغوي بفعل تقادم الزمان، فيتكون معنى جديد، وربما يكون مغايراً للمعنى الأصل، فيظهر وكأن للفظة أكثر من معنى، مما يزيدها إثراء دلالياً، فالمفردة (أستوى) في قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)[١٠]، وردت بعدة معانٍ، منها بمعنى (علا) عن أبي

عبيدة[11] أو بمعنى (استقر)[12]، ونقل جماعة منهم الفرّاء والزمخشري أن معنى قوله (استوى): أقبل على خلق العرش وعمد إلى خلقه وسماه استواء[13].

فهذا وجه من أوجه الأتساع، وهناك أوجه أخرى لا يسع المجال لذكرها.

ثانياً: تجدد الدلالة في المفردة القرآنية:

وهذا يعد من وسائل إثراء الدلالة فيها، إذ أن تقدم العلوم وتطورها يؤدي إلى اكتشاف حقائق علمية كبيرة تفتح آفاقاً جديدة للبحث والتقصي، وهي من إعجاز القرآن الكريم، فمن لطائف ذلك ما جاء في قوله سبحانه: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[14]، فالوهن في الآية المباركة ربما يكون مرجعه إلى الضعف في البنية، وهنا تشبيه هو أن ما تولوه واعتمدوا عليه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة، وهو نسيج العنكبوت[15]، غير أن ما توصل إليه العلم الحديث قد أضاف معنى جديداً غير ما ذكر وهو (أن العناكب تتميز بصفة لا مثل لها بين الأحياء فأنثاها بمنتهى السوء تجاه زوجها لأنها تقوم بعد التآمهما مباشرةً...تقوم بقتله وافتراسه والتهامه)[16]، فيا له من ضعف، ويا له من بيت تفترس الزوجة فيها زوجها يوم عرسه، وذلك هو بيت العنكبوت الشديد الوهن من الناحية الأدبية والأخلاقية المعنوية فضلاً عن ضعفه المادي، فلا حماية ولا أمن ولا طمأنينة ولا راحة ولا استقرار فيه، إلاّ بالتمسك بحبل الله القوي الأمين[17]، وهذا إثراء في دلالة الوهن.

وفي قوله سبحانه: (الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ)[18]، فقد نقل أن (أدنى) جاءت بمعنى القرب، قال الزمخشري: (والمعنى غلبوا في أدنى العرب منهم، وهي أطراف الشام، أو أراد أرضهم، على إنابة اللام مناب المضاف إليه، أي في أدنى أرضهم إلى عدوهم، قال مجاهد: هي أرض الجزيرة، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس، وعن ابن عباس رضي الله عنهما الأردن وفلسطين)[19]، وفي هذا تنبؤ، إذ إن الحرب بين الفرس والروم وقعت بين الأردن وفلسطين، لكن المتأمل في معنى (أدنى) في ضوء العلم الحديث أن لها معنى جديداً لم يكن باستطاعة علمائنا القدماء أن يتوصلوا إليه بسبب ضعف الإمكانات العلمية آنذاك، غير أن (أدنى) في اللغة جاءت بمعنيين هما (أقرب و أخفض) فهي من جهة أقرب منطقة للحجاز، ومن جهة أخرى هي أخفض منطقة على سطح الأرض، إذ أنها تنخفض عن مستوى سطح الأرض بـ(٣٩٢) متراً، وهي أخفض نقطة سجلتها الأقمار الصناعية على اليابسة، كما ذكرت ذلك في الموسوعة البريطانية في أن البحر الميت أخفض جسم مائي على سطح الأرض، فانخفاضه يصل إلى نحو (١٣١٢) قدماً أو (حوالي ٤٠٠متراً) من سطح البحر[20]، وهذا المعنى الجديد إنما جاء بفضل تقدم العلوم مما أثرى هذه المفردة بدلالة جديدة.

ثالثاً: اختزان الدلالة في المفردة القرآنية:

وهو من سمات الإثراء في المفردة القرآنية، إذ أنها تختزن دلالات عديدة في

لفظة واحدة ومعبرة عن كل المعاني التي يطلبها السياق القرآني وإننا لنجد ذلك إيجازاً، وهو مناط السور المكية، وأن الإطناب أو دقة التفاصيل مناط السور المدنية، لأن المرحلة المدنية من نزول القرآن مرحلة تشريع فتتطلب بسطاً في الأمور[٢١].

إن إثراء المفردة بالخزين الدلالي إنما كان ينبع من كون العرب أهل فصاحة وبلاغة، فإذا خاطب تعالى العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، فيما إذا خاطب غيرهم من اليهود أو حكى عنهم جعل كلامه مبسوطاً وزاد فيه[٢٢].

نلمح من هذا الثراء الدلالي في المفردة القرآنية جنوحاً إلى الإيماء، لذا تحتاج هذه المفردات مزيداً من التدبر كي يصل المفسر إلى كل الدلالات التي تتضمنها المفردة.

من ذلك قوله تعالى: (لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ)[٢٣] إذ نجد خزيناً دلالياً في هاتين الكلمتين فقد جمعتا عيوب خمر أهل الدنيا، فالآية تشير إلى أن خمر الأرض تسبب السكر ثم التنازع والفراق وكثرة الإحن والشغب وفيها ذهاب العقل والمال، فاختصرت هاتان الكلمتان كل هذه القبائح المادية والروحية[٢٤].

وكذلك قوله تعالى: (وَغِيضَ الْمَاء)[٢٥]، فقد جمعت (غيض) كل الماء، قال ابن أبي الأصبع: (فإن (غيض الماء) يصير إلى انقطاع مادة الماء من نبع الأرض ومطر السماء، ولولا ذلك لما غاض الماء[٢٦]، فاستعيض عن مجمل هذه الدلالات واختزنها في مفردة واحدة، فكانت خزاناً لها، فأوجز القول وأفصح عن المراد بأقل الألفاظ.

هذه بعض أوجه إثراء الدلالة في المفردة القرآنية لا كلها، وهذا إنما يعد من سمات الإعجاز في القرآن الكريم، وتنبه إليه العرب من قبل ■

---

(١) لسان العرب/ابن منظور: ١١: ٢٠٩ـ قضى
(٢) سورة الإسراء: الآية ٢٣.
(٣) سورة الإسراء: الآية٤.
(٤)سورة البقرة: الآية:٢٠٠.
(٥) انظر: الأشباه النظائر في القرآن الكريم: مقاتل بن سليمان:٢: ٢٩٤ ، مجمع البيان: الطبرسي: م١/١٩٣ـ١٩٤ الإتقان/ السيوطي: ١ :٢٨٦.
(٦) سورة المؤمنون: لآية:٩.
(٧) سورة الشورى: الآية:١٧.
(٨) سورة الطلاق: الآية:١.
(٩) سورة البقرة: الآية:٢٢٢.
(١٠) سورة طه: الآية: ٥.
(١١) ظ: مجاز القرآن: أبو عبيدة:٢: ١٥.
(١٢) ظ: البرهان/ الزركشي:٢: ٥٣.
(١٣) ظ:م.ن: ٢: ٥٣.
(١٤) سورة العنكبوت/ الآية:٤١.
(١٥) ظ: الكشاف/ الزمخشري:٣: ٤٥٨.
(١٦) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية/ يوسف الحاج أحمد:٥٠٢.
(١٧) ظ:م.ن:٥٠٢.
(١٨) سورة الروم : الآيات ١ـ٣.
(١٩) الكشاف/ الزمخشري: ٣: ٤٧١.
(٢٠) ظ: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية/ يوسف الحاج أحمد:٢٧٠.
(٢١) ظ: جماليات المفردة القرآنية: أحمد ياسوف: ٢٦٩.
(٢٢) ظ: الحيوان: الجاحظ:١: ٩٤.
(٢٣) سورة الواقعة: الآية:١٩.
(٢٤) ظ: جماليات المفردة القرآنية: أحمد ياسوف: ٢٧١.
(٢٥) سورة هود: الآية:٤٤.
(٢٦) بديع القرآن: ابن أبي الأصبع: ٨٢.

مساجد من العالم..

مسجد عيد كاه

(عيد كاه) كلمة مركبة من العربية والفارسية وتحمل معنى (مكان الاجتماع في الأعياد). وتبلغ مساحة مسجد عيد كاه (في شمال غربي ميدان عيد كاه في قلب مدينة كاشغر في الصين) أكثر من سبعة عشر ألف متر مربع. ويتسع لـ٢٠،٠٠٠ مصلي.

إنه الأكبر من نوعه في الصين. حتى ليقال إن من عاد من منطقة شينجيانغ دون أن يزور مسجد عيد كاه في كاشغر فقد عاد بخفي حنين. ونعرف من ذلك مدى تأثيره ومكانته.

وتكتسي بوابة المسجد باللون الأخضر الخفيف، كما تزين أعاليها بنقوش بديعة، وتظهر على عقديها العلويين آية من الذكر الحكيم مكتوبة بخط جميل، ويرتفع برج البوابة الطوبي الأحمر اثني عشر متراً فوق أديم الأرض، ويزخرف على أعاليه وجانبيه بمشكلات معقوفة ذات حواش بيضاء تسر الناظرين بمهابتها وروعتها. أما المنارتان القائمتان على جانبي البوابة، فقد بنيتا من الطوب، وتبدوان على شكل أسطوانة، وترتفعان ثمانية عشر متراً، وعلى كلتا قمتيهما علامة هلال. وتتجاوب هاتان المنارتان مع نظيرتهما فوق قبة قاعة الصلاة فيما وراء البوابة لإبراز مزايا المباني الإسلامية ■

شمس خلف السحاب

۞ عن أبي الجارود، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جده عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر:

يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان أبيض مشرب حمرة مبدح البطن، عريض الفخذين، عظيم مشاش المنكبين، بظهره شامتان: شامة على لون جلده، وشامة على شبه شامة النبي صلى الله عليه وآله، له اسمان: اسم يخفى، واسم يعلن فأما الذي يخفى فأحمد وأما الذي يعلن فمحمد، فإذا هز رايته أضاء لها ما بين المشرق والمغرب، ووضع يده على رؤوس العباد، فلا يبقى مؤمن إلا صار قلبه أشد من زبر الحديد وأعطاه اللّه قوة أربعين رجلاً، ولا يبقى ميت إلا دخلت عليه تلك الفرحة في قلبه وفي قبره وهم يتزاورون في قبورهم، ويتباشرون بقيام القائم عليه السلام.

۞ عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال:

إن العلم بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وآله ينبت في قلب مهدينا كما ينبت الزرع عن أحسن نباته، فمن بقي منكم حتى يلقاه فليقل حين يراه: السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة والنبوة، ومعدن العلم وموضع الرسالة. وروي أن التسليم على القائم عليه السلام أن يقال: السلام عليك يا بقية الله في أرضه.

۞ عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

لما عرج بي إلى السماء السابعة، ومنها إلى سدرة المنتهى، ومن السدرة إلى حجب النور ناداني ربي جل جلاله: يا محمد أنت عبدي وأنا ربك فلي فاخضع، وإياي فاعبد، وعلي فتوكل، وبي فثق، فإني قد رضيت بك عبداً وحبيباً ورسولاً ونبياً، وبأخيك علي خليفة وباباً، فهو حجتي على عبادي وإمام لخلقي، به يعرف أوليائي من أعدائي، وبه يميز حزب الشيطان من حزبي، وبه يقام ديني وتحفظ حدودي وتنفذ أحكامي، وبك وبه وبالأئمة من ولدك أرحم عبادي وإمائي، وبالقائم منكم أعمر أرضي بتسبيحي وتقديسي وتهليلي وتكبيري وتمجيدي، وبه أطهر الأرض من أعدائي وأورثها أوليائي، وبه أجعل كلمة الذين كفروا بي السفلى وكلمتي العليا، به أحيي بلادي وعبادي بعلمي وله أظهر الكنوز والذخاير بمشيتي، وإياه أظهر على الأسرار والضمايز بإرادتي وأمده بملائكتي لتؤيده على إنفاذ أمري وإعلان ديني، ذلك وليي حقاً ومهدي عبادي صدقاً.

بحار الأنوار ٥١/ ٣٥، ٣٦، ٦٦

نماذج من..
إرهاب النواصب
في زمن الإمام
الحسن العسكري عليه السلام

الشيخ علي اليماني •

ينابيع

لقد دأب خلفاء بني العباس على استدعاء أئمة أهل البيت عليهم السلام من المدينة المنورة، عاصمة العلم والشريعة، إلى بغداد وسامراء وخراسان عواصم السلطات الحاكمة، ليكونوا تحت الرقابة والمتابعة الجاسوسية، وليُطوّق نشاطهم الفكري وغيره، فيعزلوهم عن شيعتهم وأنصارهم المتعاطفين معهم، فقد زجّ الرشيد العباسي الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليهما السلام في السجن حتى استشهد فيه، وكما لاحقت السلطات العباسية آباءه وزجت بهم في السجون وبثّت من حولهم الجواسيس والعيون، فقد لاحقت الإمام الحسن العسكري عليه السلام وأحاطته بالرقابة،

وأحصت عليه تحرّكه، لتشلّ نشاطهُ الفكري وغيره، وتحول بينه وبين ممارسة دوره القيادي في أوساط الأمة.

لذلك فقد لجأ الإمام إلى العمل من خلال بناء علاقات خفيّة مع الأتباع والوكلاء، وأحكم تلك العلاقات، وتُفْصِحُ الوثائقُ التاريخية المتوفرة بين أيدينا عن ذلك الأسلوب الدقيق بوضوح كامل، نذكر منها:

١ ـ روى علي بن جعفر، عن حلبي، قال: اجتمعنا بالعسكر، وترصّدنا لأبي محمد عليه السلام يوم ركوبه، فخرج توقيعه: (ألا لا يسلِّمنّ عليَّ أحد، ولا يشير إليَّ بيده، ولا يومئ، فإنكم لا تأمنون على أنفسكم)، قال: وإلى جانبي شابٌّ، فقلت: من أين أنت؟ قال: من المدينة، قلت: ما تصنع هاهنا؟ قال: اختلفوا عندنا في أبي محمد عليه السلام، فجئتُ لأراه وأسمع منه أو أرى منه دلالةً ليَسْكُنَ قلبي وإني لولد أبي ذر الغفاري.

فبينما نحن كذلك إن خرج أبو محمد عليه السلام مع خادم له، فلما حاذانا نظر إلى الشاب الذي بجنبي، فقال: (أغفاريٌّ أنت؟) قال: نعم، قال: (ما فعلت أمُّك حمدوية؟) فقال: صالحة، ومرَّ. فقلتُ للشاب: أكنتَ رأيتهُ قطُّ وعرفتهُ بوجهه قبل اليوم؟ قال: لا، قلتُ: فينفعُكَ هذا؟ قال: ودون هذا[1].

٢ ـ روى أبو هاشم الجعفري، عن داود بن الأسود، وقادِ حمام أبي محمد عليه السلام، قال: دعاني سيدي أبو محمد، فدفع إليَّ خشبة، كأنها رجل باب مدورة طويلة، ملء الكفّ فقال: (صر بهذه الخشبة إلى العمري)، فمضيتُ، فلما صرت إلى بعض الطريق عرض لي سقاءٌ معه بغل، فزاحمني البغل على الطريق، فناداني السقاء صح على البغل، فرفستُ الخشبة التي كانت معي، فضربتُ البغل، فانشقت، فنظرت

إلى كسرها فإذا فيها كتبٌ، فبادرتُ سريعاً فرددت الخشبة إلى كمّي، فجعل السقاء يناديني ويشتمني، ويشتم صاحبي، فلما دنوت من الدار راجعاً استقبلني عيسى الخادم عند الباب، فقال: يقول لك مولاي: (لِمَ ضربتَ البغل، وكسرتَ رجل الباب)، فقلت له: يا سيدي! لم أعلم ما في رجل الباب، فقال: (ولِمَ احتجتَ أن تعمل عملاً تحتاجُ أن تعتذر منه، إياك بعدها أن تعودَ إلى مثلها، وإذا سمعتَ لنا شاتماً فامض لسبيلك التي أمرتَ بها، وإياك أن تجاوب من يشتمنا، أو تعرِّفه من أنت، فإننا ببلد سوء، ومصر سوء، وامض في طريقك، فإن أخبارك وأحوالك ترد إلينا، فاعلم ذلك)[٢].

٣ - عن محمد بن عبد العزيز البلخي، قال: أصبحتُ يوماً فجلستُ في شارع الغنم، فإذا بأبي محمدعليه السلام قد أقبل من منزله، يريدُ دار العامة، فقلتُ في نفسي: تُرى إن صحتُ أيها الناس هذا حجّة اللّه عليكم فاعرِفوهُ، يقتلوني؟ فلما دنا منّي، أومأ بإصبعه السبابة على فيه: أن اسكُت، ورأيته تلك الليلة يقول: (إنما هو الكتمان أو القتل، فاتق اللّه على نفسك)[٣].

٤ - روى أحمد بن محمد، عن جعفر بن الشريف الجرجاني قال: حَجَجتُ سنة، فدخلت على أبي محمدعليه السلام بسُرَّ من رأى، وقد كان أصحابنا حملوا معي شيئاً من المال، فأردتُ أن أسأله إلى مَن أدفعُهُ فقال قبل أن أقول ذلك: (ادفع ما معك إلى المبارك خادمي). قال: ففعلتُ وخرجتُ، وقلتُ: إن شيعتَكَ بجرجان يقرأون عليك السلام[٤].

٥ - وروى سعد بن جناح الكشي، قال: سمعتُ محمد بن إبراهيم الورّاق

السمرقندي يقول: خرجتُ إلى الحجّ فأردتُ أن أمرّ على رجل كان من أصحابنا معروف بالصدق، والصلاح والورع والخير، يقال بَوْرَق البوشنجاني (قرية من قرى هراة) وأزوره وأحدث به عهدي... إلى أن قال: فقال له بورقُ خرجتُ حاجاً، فأتيتُ محمد بن عيسى العبيدي، فرأيتهُ شيخاً فاضلاً، في أنفِهِ اعوجاج، وهو القنا، ومعه عدة رأيتهم مغتمّين محزونين.

فقلت لهم: ما لكم؟ فقالوا: إن أبا محمدعليه السلام قد حبس، قال بورق خرجت حاجاً، فأتيت محمد بن عيسى ووجدته قد انجلى ما كنت رأيت به، فقلت: ما الخبر؟ فقال: قد خلي عنه).

٦ ـ ومن الوثائق الدالة على دور الإمام السياسي وبنائه لعلاقة منظمة مع أتباعه، ما أورده ابن شهرآشوب، قال: كتب أبو محمدعليه السلام إلى أهل قم وآبه[٥]: (إن الله تعالى بجوده ورأفته قد منَّ على عبادة بنبيِّه محمدصلى الله عليه وآله بشيراً ونذيراً ووفقكم لقبول دينه وأكرمَكُم بهدايته وغرسَ في قلوب أسلافكُم الماضين رحمَة الله عليهم وأصلابكم الباقين تولى كفايتهم وعمرهم طويلاً في طاعته، حبّ العترة الهادية فمضى من مضى على وتيرة الصواب ومنهاج الصدق وسبيل الرشاد فوردوا موارد الفائزين واجتنوا ثمرات ما قدموا ووجدوا غِبّ ما أسلفوا)[٦].

٧ ـ وروى الكشّي في رجاله: ورد على القاسم بن العلا نسخة ما كان خرج من لعن ابن هلال، فكان ابتداء ذلك أن كتبعليه السلام إلى قوامه بالعراق: (احذروا الصوفي المتصنع)[٧].

٨ ـ قال أبو الحسن، علي بن محمد بن خشاب (أبو حباب) حدثنا أبو الأديان قال: كنتُ أخدِمُ الحسنَ بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالبعليه السلام، وأحمل كتبه إلى الأمصار، فدخلت إليه في علته التي توفي فيها (صلوات الله عليه) فكتب معي كتاباً وقال: (تمضي به إلى المدائن)[٨].

٩ ـ قال ابن شهر آشوب متحدِّثاً عن وكلاء الإمام وممثِّليه: من ثقاته علي بن جعفر قيم لأبي الحسن، وأبو هاشم داود بن القاسم الجعفري وقد رأى خمسة من الأئمة، وداود بن أبي يزيد النيسابوري، ومحمد بن علي بن بلال، وعبد الله بن جعفر الحميري القمي، أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري، والزيات، والسمان، وإسحاق بن ربيع الكوفي، وأبو القاسم جابر بن يزيد الفارسي، وإبراهيم بن عبدة بن إبراهيم النيسابوري.

ومن وكلائه محمد بن أحمد بن جعفر، وجعفر بن سهيل الصيقل وقد أدركا أباه وابنه[٩].

وبالتأمل في تلك النصوص الوثائقية، ندرك أن للإمام أتباعاً في كل أنحاء العالم الإسلامي، وأن له وكلاء وممثلين عنه، وثقات يثق بهم ويعتمدهم في عمله العلمي وغيره لإدارة أتباعه وتشكيله المحرك لجماهير الأمة وللرأي العام والمهيّأ لقيادة أهل البيتعليهم السلام.

ونستطيع أن نلتقط العبارات الدالة على ذلك بوضوح:

فالرواية رقم (١)، توضح أن الإمام قد طلب من أصحابه (عدم التسليم عليه) (والإشارة إليه بيده) (ولا يومئ) (فإنكم لا تأمنون على أنفسكم)، نستطيع أن نتصوّر حجم الإرهاب والجاسوسية التي لا يأمنُ

معهـا الإنسـانُ على نفسـه مـن القتل أو السـجن والتعذيب، إن هو أظهر علاقة، ولـو بمسـتوى التحية أو الإشـارة بيده أو الإيماء بالرأس، معبّراً عن علاقته بالإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي تعرف السلطة العباسية والقادة والوجهاء والعلماء والعامة مكانتَهُ من البيـت الرفيع، ومقامه العلمي والديني السامي.

وفي النص إشـارة واضحة إلى التكتل السـري لأصحاب الإمـام عليه السلام والمخاطبة السـرية بينه وبينهم: (اجتمعنا بالعسكر)، (وترصدنا لأبي محمد)، (مخرج توقيعه).

فالاجتماع الذي يُخشـى من انكشـاف علاقـة أصحابه بـه و(الترصُّـد) و(خروج توقيع الإمام إلى هذه الجماعة من أصحابه)، كلها عبارات تصوِّرُ حقيقةَ الوضع العصيب الـذي أحاط بالإمام، وتكشـف عن طبيعة الأسلوب الذي اسـتخدمه الإمام لمواجهة ذلك الظرف وتلك المواقف الصعبة، وفي مقدمة تلك الأسـاليب هو النظم واعتماد السرية في بناء العلاقة معه.

والروايـة رقم (٢)، تكشـف لنا صورة أخـرى من صـور الكتمـان والتنظيم في عمل الإمام العسـكري عليه السلام، فالإمام يحذِّر صاحبه إيماءً بإصبعه، ويخشى التكلم معه، ثم يحذِّره في ليلـة ذلك اليوم من عواقب المجاهـرة بالولاء لآل محمد صلى الله عليه وآله والانتماء إليهـم، فإن هذا الـولاء والانتمـاء يكلِّف الإنسان حياته في تلك الفترة.

وذلك صريح وواضح في قول الراوي: ورأيتـه تلـك الليلة يقول: (إنـه الكتمان أو القتل).

فـي تلـك الظـروف العدائيـة المليئة بالإرهاب والخوف، مارس الإمام الحسن العسـكري عليه السلام جهاده العملي والسياسي،

وواجه حكّام عصره، وكما تكشف لنا هذه الوثائق جانب التكتّم والسرية، فإن وثائق أخرى تكشفُ لنا جانبَ التكتل والعمل على بناء علاقة مع الأتباع والمحبين، لذلك فقد اشتدّت الملاحقةُ على هذا البناء العقائدي، وزجَّ بأبرز أشخاصه في السجون والمعتقلات.

ففي الرواية رقم (٤) نجد النصّ الآتي: (وكان أصحابنا قد حملوا معي شيئاً من المال)، (وقلتُ إنّ شيعتَكَ بجرجان يقرأون عليك السلام).

وفي الرواية رقم (٥): (فأردت أن أمرّ على رجل من أصحابنا ـ من أهل هراة ـ فأتيت محمد بن عيسى العبيدي، ومعه عدّة فرأيتهم مغتمّين، محزونين...، فقالوا: إنّ أبا محمد عليه السلام قد حُبس).

وفي الرواية رقم (٦) نقرأ: (كتب أبو محمد عليه السلام إلى أهل قم وآبه).

وفي الرواية ر قم (٧) نقرأ: (كتب الإمام عليه السلام إلى قوامه بالعراق).

وفي الرواية رقم (٨) نقرأ: (كنت أخدم الحسن عليه السلام، وأحمل كتبه إلى الأمصار، فكتب معي كتاباً، وقال: تمضي به إلى المدائن).

وفي الرواية رقم (٩) نقرأ: (ومن وكلائه محمد بن أحمد بن جعفر، وجعفر بن السهل الصيقل).

وهكذا تتجمّع أمامنا تلك المعلومات الوثائقية الدالة على عمل الإمام العلمي والسياسي، لتوضّح لنا كيف نظم الأمام عليه السلام علاقته مع شيعته وكيف بنى تكتله العقائدي الذي استطاع أن يقاوم الإرهاب ومحاولات الإبادة المتتالية ■

---

(١) المجلسي، البحار، ج٥٠ ص٢٦٩، عن الخرائج.
(٢) ابن شهر آشوب، المناقب، ج٤ ص٤٢٧.
(٣) الأربلي، كشف الغمة، ط دار الكتاب الإسلامي (بيروت)، ج٣ ص٢١٢.
(٤) المجلسي، البحار، ج٥٠ ص٢٦٢، عن الخرائج.
(٥) آبه: بليدة تقابل ساوة تُعرف بين العامة بآوة، ياقوت، معجم البلدان، ج١ ص٥٠.
(٦) ابن شهر آشوب، المناقب، ج٤ ص٤٢٥.
(٧) الكشي، رجال الكشي، ص٤٤٩ و٤٥٠.
(٨) المجلسي، البحار، ج٥٠ ص٣٣٢، عن كمال الدين.
(٩) ابن شهر آشوب، المناقب، ج٤ ص٤٢٣.

من هو؟!

الذي عبس وتولى

السيد أسعد القاضي •

بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾
أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾
وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾

ما أن فارق النبي صلى الله عليه وآله هذه الدنيا الدنيّة وارتحل إلى ربه حتى بدأت الانشقاقات والاختلافات تظهر وتنمو بين المسلمين، الذين هم دينهم واحد، ونبيهم واحد، وكتابهم واحد، ولم يتوقف الأمر إلى هذا الحد، بل ازدادت الهوّة اتساعاً، فأصبح الباحث في شؤون المسلمين وآرائهم ومعتقداتهم قلّما يجد أمراً متفقاً عليه بينهم.

فتراهم مختلفين في أصول الدين وفروعه، وفي الفقه وخصوصياته، وفي نقل مواقف النبي صلى الله عليه وآله وأفعاله وتفسيرها، إلى غير ذلك مما لا يخفى على من سبَر سيرة المسلمين.

وأراك توافقني الرأي في أن الاختلاف بين المسلمين لم يكن مبدؤه

يوم ارتحال النبي صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى، بل كان الاختلاف موجوداً بين المسلمين حتى في أيامه صلى الله عليه وآله.

ولم تكن الاختلافات بين المسلمين فحسب، بل كانت هناك محاولات كثيرة من بعض المسلمين للاعتراض على رأي النبي صلى الله عليه وآله وأفعاله ومواقفه، إلا أن الخوف من فضح الوحي كان له دور كبير في الإسرار وعدم التصريح بالخلاف.

اللهم إلا أن يدعى أن هيبته صلى الله عليه وآله في نفوس أولئك النفر من المسلمين ـ إن كانت له هيبة في نفوسهم ـ هي الأخرى الداعية إلى كتمان المخالفة.

ومع وجود الهيبة التي قد تدّعى والخوف من فضح الوحي، تجد بعض المسلمين كان يظهر ما يبطنه من الخلاف، ويجابه النبي صلى الله عليه وآله بذلك، ولم تمنعه من ذلك هيبة النبوة، ولا خوف سخطه صلى الله عليه وآله منه، بل وربما كان يقابله النبي (صلى الله عليه وآله) بالإعراض، أو ينزل فيه من القرآن ما ينزل.

وقد يدّعي البعض أن أهل الشقاق والخلاف هم أتباع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ومن يسمّون بـ(الروافض)، فهم الذين خالفوا إجماع المسلمين واتفاقهم في مسألة الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله، وانطووا على أنفسهم، فاختصوا بمسائل مذهبية وعقائدية وفقهية مالت بهم يميناً وشمالاً، وشذوا في مخالفة الجمهور.

قال ابن خلدون: (وشذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها، وفقه انفردوا به، وبنوه على مذهبهم، في تناول بعض الصحابة بالقدح، وعلى قولهم بعصمة الأئمة، ورفع الخلاف عن أقوالهم، وهي كلها أصول واهية)[1].

إلا أن الحق هو خلاف ذلك، لا بمعنى أن أتباع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هم أهل الحق، وأن غيرهم هم أهل الشقاق والخلاف، وإن كان ذلك ثابتاً بالأدلة القطعية، العقلية والنقلية، بل أن الشذوذ الذي رمي به أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، قد اتصف به غيرهم، عندما خرجوا عما رسمه الإسلام والقرآن لهم من طرق يسلكونها.

وأما دعوى انفرادهم بالفقه فإذا كانت تعني أن باقي المسلمين متفقون في فقههم، فمن له أدنى إلمام بالفقه المقارن يجد بطلان هذه الدعوى، إذ الخلاف الفقهي بين المسلمين أبين من الشمس.

بل لم يكن اختلاف علماء الجمهور فقهياً فقط، فهم مختلفون حتى في المسائل العقائدية، بل الأمر كما تقدم، من أنك قلّما تجد أمراً متفقاً عليه بينهم، وأكثر من ذلك، فهم لم يقتصروا على الاختلاف في الرأي، حتى راح بعضهم يكفّر بعضاً، ويرى أنه خارج عن ربقة الإسلام. وشواهد ذلك كثيرة، لا مجال لذكرها هنا.

ولا يخفى على اللبيب أن السياسة كان لها الدور الفاعل في التحريف والتزوير، بما يروق لها ويوطّد كرسيها، حيث إنها لولا التغيير والتحريف ووضع الأحاديث في رفع شأن من لم يرفعه الإسلام، والحطّ من شأن من رفعه الإسلام، لكان الإسلام الأصيل عائقاً كبيراً دون مواصلة تلك الحكومات مسيرتها التي ترغبها لنفسها وللأمة.

ولم يكن الاختلاف في القرآن الكريم بِدعاً من الاختلافات التي ابتلي بها الإسلام والمسلمون وعلى مرّ التأريخ، فكانت للقرآن الكريم حصة كبيرة من بين تلك الخلافات، فهم مختلفون في قراءته، وتفسيره، وسبب نزوله، ووقت نزوله، وغير ذلك مما يظهر للمتتبع، بل هم مختلفون في أن القرآن الكريم الذي بأيدينا هل هو كله، أم سقط منه شيء، قليل أو كثير، حتى أن بعضهم أراد أن يُلحق آية بالقرآن قدّر لها سوء حظّها أن تسقط منه ـ وما أكثر ما سقط منه!! ـ إلا أنه خاف أن يقال عنه أنه زاد في كتاب الله، فلولا أنه يقال عنه ذلك لتدارك النقص ووضع في القرآن شيئاً مما سقط منه، لكن يبدو أنه يخشى الناس ولومهم أكثر من خشيته من الله وشفقته على كتابه، ذلك لأنه تأخذه في الله لومة لائم!!.

ولم يكن الخلاف في سبب نزول سورة عبس، وكذلك في تفسير بعض مفرداتها، إلا واحداً من تلك الخلافات، وأهم تساؤل يطرح بهذا الصدد هو أن السورة إلى من تتعرض؟ وعلى من تعتب؟ ومن هو العابس بوجه الأعمى؟.

وأنا أحاول ـ في هذه العجالة ـ الإجابة على هذه الأسئلة، ناقلاً الخلاف فيها، مختاراً الرأي الأصوب الذي تساعد عليه الأدلة، وذلك في ضمن أمور..

١ـ ترتيب النزول وعدد الآيات

سورة عبس مكية، آياتها اثنان وأربعون. وهي السورة الثمانون حسب الترتيب القرآني، والرابعة والعشرون حسب ترتيب النزول. نزلت بعد سورة النجم، وقبل سورة القدر[٢].

٢ـ فضلها

روى الشيخ الصدوق بسنده عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سورة عبس وتولى وإذا الشمس كورت كان تحت جناح الله من الجنان، وفي ظل الله وكرامته في جنانه، ولا يعظم ذلك على الله[٣].

٣ـ اللغة والإعراب

(عبس): بسر وقبض وجهه. (تولى): أعرض وذهب بوجهه. (أن جاءه الأعمى) أي: لأن جاءه الأعمى، وقال ابن خالويه: تقديره: إذ جاءه الأعمى. (وما يدريك) أي: وأي شيء يجعلك دارياً بحال هذا الأعمى؟. (لعله يزكى): أي يتزكى بالعمل الصالح، فأدغم التاء في الزاي، كما أدغمت في الذال في قوله: (يذكر)، ومعناه: يتذكر. (فتنفعه) بالرفع عطفاً على يذكّر، وبالنصب بأن مضمرة بعد فاء السببية، لمكان لعلّ حيث هي هنا بمعنى الترجي. (أما من استغنى) أي: من كان غنياً. (فأنت عنه تصدّى) أي: تتصدى، بمعنى: تتعرض له. (وما عليك ألاّ يزّكّى) أي: ليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالإسلام. (فأنت عنه تلهى) أي: تتلهى وتتشاغل[٤].

٤ـ من هو الأعمى؟

أجمع المفسرون والمؤرخون على أن الأعمى المقصود في السورة هو ابن أم مكتوم، ولابد ـ حينئذٍ ـ من ذكر شيء عنه، فنقول..

اختلفوا في اسمه، فقيل: عبد الله،

وقيل: عمرو، لكنهم اتفقوا على أنه ابن قيس بن زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب. وأمه عاتكة بنت عبد الله بن عنكشة بن عامر بن مخزوم.

أسلم بمكة قديماً، وكان ضرير البصر، وقدم المدينة مهاجراً بعد بدر بيسير، وقيل: هاجر قبل هجرة النبي صلى الله عليه وآله، فقال له أهل المدينة: ما فعل من وراءك؟ فقال: هم أولاء على أثري.

وعن البراء بن عازب أن أول من قدم المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يعلمان الناس القرآن.

كان يؤذن للنبي صلى الله عليه وآله بالمدينة قبل بلال.

خلفه النبي صلى الله عليه وآله على المدينة أكثر من اثنتي عشرة مرة، في الأبواء، وبواط، وذي العشيرة، وغزوته في طلب كرز بن جابر، وغزوة السويق، وغطفان، وغزوة أحد، وحمراء الأسد، ونجران، وذات الرقاع، وفي خروجه في حجة الوداع وغيرها.

وقد صرحوا أنه صلى الله عليه وآله إنما كان يستخلفه ليصلي ببقايا الناس، فكان يصلي بهم الجمعة، فإذا أراد أن يخطب وقف بجنب المنبر، وجعله على يساره.

شهد القادسية وكانت معه راية سوداء، عليه درع حصينة سابغة.

رجع من القادسية إلى المدينة فمات بها في خلافة عمر بن الخطاب[٥].

٥ـ سبب النزول

اختلف علماء الجمهور وشيعة أهل البيت عليهم السلام في سبب نزول هذه الآيات الكريمة أشد اختلاف، وجوهر الاختلاف بينهم هو في كون العابس هو النبي صلى الله عليه وآله أو غيره، كما تقدم، وإن كانوا مختلفين في بعض الخصوصيات أيضاً.

وطبيعة البحث تستدعي الابتداء بذكر ما ذهب إليه علماء الجمهور، ثم ذكر ما تسنح به الفرصة وتجود به القريحة من إشكالات وملاحظات، وبعدها نذكر ما ذهب إليه شيعة أهل البيت عليهم السلام تبعاً لأئمتهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

أولاً: رأي علماء الجمهور

ذكر المفسرون والمؤرخون من غير الشيعة أن السبب في نزول هذه السورة هو أن عبد الله بن أم مكتوم أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبياً بن خلف وأخاه أمية، يدعوهم إلى الله، ويرجو إسلامهم، وكان يتصدى لهم كثيراً، ويحرص عليهم أن يؤمنوا، فجاء ابن أم مكتوم وجعل يستقرئ النبي صلى الله عليه وآله آية من القرآن، وقال: يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله، وجعل يكرر النداء عليه، وهو لا يدري أن النبي صلى الله عليه وآله مشغول عنه، ولم يزل كذلك حتى ظهرت الكراهة في وجهه صلى الله عليه وآله، وعبس بوجهه وتولى وكره كلامه، لقطع ابن أم مكتوم عليه الكلام، وقال صلى الله عليه وآله في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد: إنما أتباعه العميان والعبيد، فأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين كان يكلمهم، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وطره منهم، وأخذ ينقلب إلى أهله أمسك الله بعض بصره، ثم خفق برأسه، فنزلت الآيات[٦].

وهذه الرواية بهذا الترتيب ـ مع

الاختلاف في بعض الخصوصيات ـ أطبق عليها علماء السنة ومفسّروهم، وأرسلوها إرسال المسلّمات.

لكن لنا ـ عاجلاً ـ أن نسجل النقاط التالية..

الأولى: إن جميع أسانيد هذه الرواية ـ على اختلاف مضامينها ـ تنتهي إلى من لم يحضر الواقعة، فهي تنتهي إلى عائشة وأنس وابن عباس، وبعضهم كان طفلاً آنذاك، وبعضهم لم يكن قد ولد، فلم يكونوا قد حضروا الواقعة، وإنما سمعوها ممن حضرها، ولا سبيل إلى معرفة الشخص الراوي الأول للواقعة، الذي سمعها هؤلاء منه، والذي يرويها عن حس ومشاهدة.

كما أنها تنتهي في بعض أسانيدها إلى جماعة من التابعين، كزيد وقتادة ومجاهد والضحاك، ويجري فيهم ما تقدم من الإشكال، من عدم اتصال السند بالواقعة.

فتكون الرواية حينئذٍ مقطوعة السند، ومرسلة، وبالتالي فهي ضعيفة لا يمكن الاعتماد عليها بحال.

الثانية: لو ألقينا نظرة فاحصة في نصوص الروايات التي حكت لنا الواقعة لوجدناها مضطربة، الأمر الذي يستلزم وهنها وعدم إمكان الاعتماد عليها.

فعن عائشة أنه كان عند النبي صلى الله عليه وآله رجل من عظماء المشركين[٧].

وعنها أيضاً: أنه صلى الله عليه وآله كان في ناس من وجوه قريش، منهم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة.

وعن مجاهد: أنه كان عنده صنديد من صناديد قريش.

وعنه أيضاً: أنه كان عنده عتبة بن ربيعة وأمية بن خلف.

وعن أبي مالك: كان يتصدى لأمية بن خلف، فقال الله: (أما من استغنى فأنت له تصدى).

وعن أنس: كان يكلم أبيّ بن خلف.

وعن ابن عباس: كان يناجى عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبا جهل بن هشام.

وعن الضحاك: رجل من أشراف قريش[٨].

كما أن النصوص قد اختلفت في نقل كلام النبيﷺ، وكلام ابن أم مكتوم، ويتضح ذلك لمن راجع مجموع الروايات والنصوص التي جاءت لبيان ما جرى في ذلك الاجتماع الحاصل بين النبيﷺ وبين عدد المشركين أو واحد منهم.

فعدم ضبطهم للحادثة، واختلافهم فيها بهذا الشكل يثير التساؤل، ويدعو إلى الريب.

الثالثة: والأهم مما تقدم من الأمرين السابقين هو أن هذه القصة تتنافى وتتقاطع مع ما هو المعلوم من سجاحة خلق النبيﷺ، حتى أن الله سبحانه وتعالى ـ الذي ليس في مدحه أية مبالغة ـ امتدحه في كتابه ـ في سورة القلم التي نزلت قبل سورة عبس بالاتفاق ـ فقال: (وإنك لعلى خلق عظيم)[٩]، مما يعني أن عظم أخلاقهﷺ كانت من الصفات الملازمة لهﷺ في جميع حالاته، وفي جميع الأزمنة والآنات.

كما أن الله تعالى كان قد أمره بخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين، وذلك في سورة الشعراء التي نزلت قبل سورة عبس، قال تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين)[١٠]، فهل يسوغ لأحد أن يدعي أنهﷺ خالف هذا الأمر، عمداً أو نسياناً؟! نعوذ بالله من مضلات الفتن.

ومع ما تقدم لابد من تكذيب كل ما ينقل عنهﷺ مما يخالف الآيات الشريفة المتقدمة التي أمرته بخفض الجناح، وأشادت بأخلاقه، ومدحته عليها.

ومما ينبغي تكذيبه هنا هو ما يدعى من موقفه المزعوم مع ابن أم مكتوم، الموقف الذي لا يخلو من سوء خلق، أو لا أقل من كون فاعله يخرج عن صفة (على خلق عظيم)، التي نطق بها أصدق الصادقين، وكيف يصدر ذلك ممن أدّبه ربه فأحسن تأديبه؟!.

قال الشيخ الطوسي: (لأن النبيﷺ قد أجل الله قدره عن هذه الصفات، وكيف يصفه بالعبوس والتقطيب وقد وصفه بأنه (على خلق عظيم)، وقال: (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك)[١١]؟ وكيف يعرض عمن تقدم وصفه مع قوله تعالى: (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)[١٢]؟... فمن هذه صفته كيف يقطب في وجه أعمى جاء يطلب الإسلام، على أن الأنبياءعليهم السلام منزهون عن مثل هذه الأخلاق وعما هو دونها)[١٣].

على أن الإعراض عن الناس وخصوصاً الفقراء منهم والعبوس في وجوههم لم يكن من صفاتهﷺ في تعامله مع أعدائه، فكيف يصدر منه مع المؤمنين من أصحابه، وقد وصفه الله تعالى بأنه (بالمؤمنين رؤوف رحيم)[١٤].

وقد يقال إن العبوس في وجه الأعمى لا ضير فيه، وليس هو منافٍ لحسن الخلق، ما دام أن مجرد تقطيب الوجه والعبوس لا يوجب إحساس الأعمى

بالنفرة منه، وسوء الخلق إنما هو في ما إذا كان التقطيب والعبوس بوجه من يرى الشخص المقطّب العابس موجباً لإشعاره بالنفرة منه.

لكن هذا من الغرابة بمكان، حيث إن سوء الخلق لا يختص بالتقطيب بوجه سليم العينين الملتفت، حيث من الواضح أن إشعار الحاضرين بالنفرة منه ـ حتى وإن كان خالياً عن إشعاره ـ لا يخلو من إساءة، فضلاً عما إذا كان الحاضرون كفاراً والمعبّس في وجهه مؤمن، مما فيه توهين للمؤمن أمام الكافر، فهو أشد في الإساءة، ومناف للأخلاق، المنزّه عنها رسول الأخلاق، الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق.

وأغرب منه ما يُذكر من أن عبوس النبيﷺ وتقطيبه بوجه الأعمى إنما هو تأديب له، وردع له عما صدر منه من سوء أدب معهﷺ، حيث إن الأعمى تكلم معهﷺ في وقت كانﷺ مشغولاً بأمر أهم.

إذ كيف يُعقل كون العبوس بوجه أعمى تأديباً له، والمفروض أن العبوس هنا لم يصاحبه أي صوت يدل على المقصود، والأعمى إنما يتعامل بالأصوات لا بالإشارات، والتقطيب والعبوس من سنخ الإشارات، فيكون تأديب الأعمى بالعبوس شأنه شأن تأديب الأصم عن طريق التكلم معه، ووعظ الأمي بإرسال كتاب له، وأمثاله مما لا يشك في عدم صدوره من النبيﷺ.

مضافاً إلى أن قولهم عن ابن أم مكتوم أنه كان يكرر النداء ولا يدري أن النبيﷺ مشتغل عنه، يدل على أنه لو كان يدري بانشغال النبيﷺ لمَا كرر النداء، بل لمَا ناداه أصلاً، مما يعني أنه لا مبرر لتأديبه وزجره وردعه، وأيّ تأديب لمن هو ملتزم بآداب الإسلام، ونفسه تنطوي على أنه لو رأى النبيﷺ مشغولاً لمَا كلّمه، إلا أن فقده لبصره منعه من معرفة حالة النبيﷺ وتشخيص موارد التخلق بأخلاق الإسلام والتأدّب بآدابه.

وإنما الذي يستحق التأديب والردع هو من يعلم بانشغال النبيﷺ ومع ذلك يحاول صرفه إليه لغاية أو لأخرى.

الرابعة: سياق الآيات الكريمة لا يدل على ما يذكره المفسرون ويروونه، وذلك من وجوه..

١ـ ليس فيها ما يدل على أن العابس هو النبيﷺ، بل هي جاءت بهيئة الإخبار عن شخص عبس وتولى من دون تحديد له، وما تقدم من منافاة العبوس لأخلاقهﷺ ينفي كونه هو العابس نفياً قاطعاً.

٢ـ كذلك ليس فيها ما يدل على أن العبوس مترتّب على سؤال الأعمى، بل قوله تعالى: (أن جاءه الأعمى) ظاهر في أن العبوس مترتب على نفس المجيء، فحالة الرجل الأعمى التي ترتّب عليها العبوس هي المجيء لا السؤال، وهذا لا يناسب ما يروونه من أن ابن أم مكتوم طلب من النبيﷺ أن يُقرأه شيئاً من القرآن، أو يعلمه شيئاً من أحكام دينه، وأنه ألح عليه وكرر السؤال، فقطّب النبيﷺ في وجهه.

٣ـ كما أن قوله تعالى: (وما يدريك لعله يزّكّى) لا دلالة فيه على كون المخاطب هو النبيﷺ، إذ ليس بالضرورة أن تكون الخطابات القرآنية كلها موجهة لهﷺ، كيف؟ وقد خاطب الله تعالى بعض من لم يصدّق النبيﷺ بقوله:

(أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى).

٤- قوله تعالى: (أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى) لا يصح أن يكون خطاباً للنبي صلى الله عليه وآله، وذلك لأنه كيف يتصور أن الله تبارك وتعالى ينهاه عن الاهتمام بتزكّي أحد بالإسلام، خصوصاً من يقوى الدين بإسلامه، وقد رأينا أنه صلى الله عليه وآله كان أقصى همته هي الدعوة إلى الإسلام، والتزكّي به.

هذا ما وسعني ذكره من إشكالات وملاحظات على رأي علماء الجمهور، ولعل القارئ الكريم يعثر على إشكالات أخرى، ربما تكون أهم مما ذكرنا، وأدلّ على بطلان ما ذهبوا إليه، واتفقوا عليه.

ثانياً: رأي شيعة أهل البيت عليهم السلام

نظراً لما تقدم من إشكالات وملاحظات على رأي علماء الجمهور يتضح رأي علماء شيعة أهل البيت عليهم السلام، فهم يعتقدون بأنه لا يمكن أن يكون العابس هو النبي صلى الله عليه وآله، مستندين ـ مضافاً إلى ما تقدم ـ إلى روايات رووها عن أئمتهم عليهم السلام في ذلك.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أن رجلاً من بني أمية كان عند النبي صلى الله عليه وآله، فجاء ابن أم مكتوم، فلما رآه تقذر منه، وجمع نفسه، وعبس، وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله سبحانه ذلك[١٥].

اتهام عثمان

وأما ما رواه علي بن إبراهيم القمي في تفسيره من أن العابس بوجه الأعمى هو عثمان فنحن نقتصر في الحديث عنه على ما ذكره السيد جعفر مرتضى العاملي بما لا مزيد عليه.

حيث قال: (ولكنا نشكك في هذا الأمر، لأن عثمان قد هاجر إلى الحبشة مع من هاجر، فمن أين جاء عثمان إلى مكة وجرى منه ما جرى؟).

ثم يجيب: «بأن هناك نصوصاً تاريخية صرحت بأن أكثر من ثلاثين رجلاً قد عادوا إلى مكة بعد شهرين من هجرتهم... وكان عثمان منهم، ثم عاد إلى الحبشة».

ثم قال: (وعلى كل حال فإن أمر اتهام عثمان أو غيره من بني أمية لأهون بكثير من اتهام النبي المعصوم، الذي لا يمكن أن يصدر منه أمر كهذا على الإطلاق)[١٦].

والله العالم بحقائق الأحوال ■

---

(١) مقدمة ابن خلدون ج١ ص٤٤٦.
(٢) الفهرست لابن النديم البغدادي ص٢٨، تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٣٣.
(٣) ثواب الأعمال ص١٢١.
(٤) راجع التبيان ج١٠ ص٢٨٦، مجمع البيان ج١٠ ص٢٦٧، جوامع الجامع ج٣ ص٧٢٩.
(٥) الطبقات الكبرى ج٤ ص٢٠٥، تهذيب التهذيب ج٨ ص٣١، إمتاع الأسماع ج٩ ص٢٠٦، الاستيعاب ج٣ ص٩٩٧، الثقات ج٣ ص٢١٤، سير أعلام النبلاء ج١ ص٢٦٠.
(٦) مجمع البيان ج١٠ ص٢٦٥، جامع البيان للطبري ج٣٠ ص٦٥، وراجع كتب التفسير للسنة.
(٧) سنن الترمذي ج٥ ص١٠٤.
(٨) الدر المنثور ج٦ ص٣١٥.
(٩) سورة القلم: ٤.
(١٠) سورة الشعراء: ٢١٤-٢١٥.
(١١) سورة آل عمران: ١٥٩.
(١٢) سورة الأنعام: ٥٢.
(١٣) التبيان ج١٠ ص٢٦٨.
(١٤) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ج٣ ص١٥٨.
(١٥) مجمع البيان ج١٠ ص٢٦٦.
(١٦) الصحيح من السيرة ج٣ ص٢٩١.

البسالة الهاشمية

كان أصحاب الجمل قد حملوا على ميمنة علي وميسرته فكشفوها، فأتاه بعض ولد عقيل، وعلي يخفق نعاساً على قَرَبُوس سرجه، فقال له: يا عم، قد بلغت ميمنتك وميسرتك حيث ترى، وأنت تخفق نعاساً؟ قال: اسكت يا ابن أخي، فإن لعمك يوماً لا يعدوه، واللّه ما يبالي عمك وقع على الموت أو وقع الموت عليه، ثم بعث إلى ولده محمد بن الحنفية، وكان صاحب رايته: احمل على القوم فأبطأ محمد بحملته، وكان بإزائه قوم من الرماة ينتظر نفاد سهامهم، فأتاه علي فقال: هلا حملت، فقال: لا أجد متقدماً إلا على سهم أو سنان، وإني منتظر نفاد سهامهم وأحمل، فقال له: احمل بين الأسنة، فإن للموت عليك جنّة، فحمل محمّد، فشك بين الرماح والنشاب فوقف، فأتاه علي فضربه بقائم سيفه وقال: أدركك عِرْق من أمك، وأخذ الراية وحمل، وحمل الناس معه، فما كان القوم إلا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، وأطافت بنو ضبة بالجمل وأقبلوا يرتجزون ويقولون:

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ننازل الموت إذا الموت نزل
ردوا علينا شيخنا ثم بَجَلْ ننعى ابن عفان بأطراف الأسل
والموت أحلى عندنا من العسل

وقطع على خطام الجمل سبعون يداً، من بني ضبة منهم سعد بن سود القاضي متقلداً مصحفاً، كلما قطعت يد واحد منهم فصُرِع قام آخر فأخذ الخطام وقال: أنا الغلام الضبي، ورُمي الهودج بالنشاب والنبل حتى صار كأنه قنفذ، وعرقب الجمل وهو لا يقع وقد قطعت أعضاؤه وأخذته السيوف حتى سقط، ويقال: إن عبد الله بن الزبير

قبض على خطام الجمل، فصرخت عائشة ـ وكانت خالته ـ : وا ثُكْلَ أسماء، خلِّ الخطام، وناشدته، فخلى عنه، ولما سقط الجمل ووقع الهودج جاء محمد بن أبي بكر، فأدخل يده فقالت: من أنت؟ قال: أقرب الناس منك قرابة، وأبغضهم إليك، أنا محمد أخوك، يقول لك أمير المؤمنين: هل أصابك شيء؟ قالت: ما أصابني إلا سهم لم يضرني، فجاء علي حتى وقف عليها، فضرب الهودج بقضيب، وقال: يا حُميراء، رسول الله أمرك بهذا؟ ألم يأمرك أن تقري في بيتك؟ والله ما أنصفك الذين أخرجوك إذ صانوا عقائلهم وأبرزوك، وأمر أخاها محمداً فأنزلها في دار صفية بنت الحارث بن طلحة العبدي وهي أم طلحة الطلحات ووقع الهودج والناس مفترقون يقتتلون، والتقى الأشتر مالك بن الحارث النخعي وعبد الله بن الزبير فاعتركا وسقطا على الأرض عن فرسيهما وطال اعتراكهما على وجه الأرض، فعلاه الأشتر ولم يجد سبيلاً إلى قتله لشدة اضطرابه من تحته والناس حولهما يجولون، وابن الزبير ينادي:

اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

فلا يسمعه أحد لشدة الجلاد ووقع الحديد على الحديد ولا يراهما راءٍ لظلمة النقع، وترادف العجاج، وجاء ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين، لا تنكس اليوم رأس محمد، واردد إليه الراية، فدعا به، ورد عليه الراية، وقال:

اطعنهم طعن أبيك تحمد لا خير في الحرب إذا لم توقد
بالمشرفيِّ والقنا المسرَّدِ

ثم استسقى، فأتى بعسل وماء، فحسا منه حُسْوَة، وقال: هذا الطائفي، وهو غريب بهذا البلد، فقال له عبد الله بن جعفر: أما شغلك ما نحن فيه عن علم هذا؟ قال: إنه والله يا بني ما ملأ صدر عمك شيء قط من أمر الدنيا ■

مروج الذهب، المسعودي ٢/ ٣٧٥

استطلاع المجلة

علمان من بني هذيل..
في الحلة الفيحاء

استطلاع وتصوير: حيدر الجد •

ينابيع

ازدحمت الحلة الفيحاء في دور من الأدوار التي مرت بها بالعلماء حتى أصبحت دار الهجرة لطلبة العلم الذين حطوا رحالهم في رحابها حيث المنتديات الدينية والمدارس العلمية والمجالس المنعقدة للبحث والدراسة وكان الرائد في هذا كله رجال وضعوا الأسس وأقاموا القواعد وجاهدوا في ظل الظروف الصعبة التي كان العراق يعاني منها فواصلوا المشوار بالعناء والجهد ليصلوا هذا التراث العلمي الضخم إلينا.

وكان الهاجس الوحيد الذي يدور في خلد هؤلاء الرجال هو كيفية المحافظة على التراث المعرفي الهائل الذي تميزت به مدرسة أهل البيت عليهم السلام منذ رجال الرعيل الأول في عهد الإمام الصادق عليه السلام، وكانت أهم الوسائل التي تضمن ذلك هي إعداد وتهيئة رجال يحفظون ذلك التراث وينقلوه لما يليهم من الأجيال مع إضافة إبداع جديد يزيد في حركية التراث ومرونته لما يساير العصر من مشاكل تظهر نتيجة للتقدم العلمي على كافة المجالات.

وقد برز من هؤلاء الرجال علمان بارزان أضافا على التراث الكثير فاعتبرا من أهم الرموز العلمية في مدرسة آل محمد صلى الله عليه وآله، وقد جمعتهما صلة العلم إضافة لرابطة القرابة والرحم، إنهما العلمان نجم الدين جعفر بن الحسن الهذلي الحلي الشهير بالمحقق الحلي وابن عمه نجيب الدين يحيى بن أحمد الهذلي اللذين عاشا في القرن السابع الهجري.

زرنا قبريهما ووقفنا نستذكر نتاجهما العلمي الذي خلدهما إلى اليوم فشرائع المحقق الحلي وجامع يحيى بن أحمد

الواجهة الأمامية لمرقد المحقق الحلي.. وتطل على الشارع المعروف باسم (شارع أبي القاسم)

الحلي لازالا من الكتب البارزة في الدرس الفقهي في الحوزات العلمية، وقد أجرينا هناك استطلاعاً لمجلتنا (**ينابيع**) إيماناً منا بضرورة تسليط الأضواء على الرجال الذين وطدوا دعائم التشيع بفكرهم الثاقب وجهدهم الشاق حفاظاً على الجذوة العلمية لمدرسة آل البيت عليهم السلام من آفات الأفول والاختفاء.

الأول:
نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي

أبو القاسم نجم الملة والدين جعفر بن الحسن بن أبي زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلي المشهور بالمحقق الحلي.

لم تشر المصادر التي تعرضت لذكر المحقق الحلي ونسبه إلى ما بعد جده سعيد الهذلي ولا ندري متى سكنت أسرتهم الحلة؟ هل سكنتها عند تمصيرها على يد المزيديون؟ أم نزحت إليها من بلد آخر، وأما لقب الهذلي فهو نسبة إلى هُذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، كانت هُذيل تسكن وادي نخلة بالقرب من مكة المكرمة ثم سكن بعضهم الكوفة، ومنهم الصحابي عبد الله بن مسعود فقد آثرت عنه دار معروفة بدار عبد الله بن مسعود ومنهم من قال إن عبد الله بن مسعود توفي بالكوفة سنة ٣٢هـ ومنهم من قال أنه تركها وغادر إلى المدينة حيث توفي هناك في نفس العام المذكور. ولعل سعيد الهذلي جد المحقق الحلي ونجيب الدين يحيى يعود بنسبه لعبد الله بن مسعود؟ والله أعلم.

المدخل المؤدي إلى مرقد المحقق

وعن آل هُذيل قال يوسف كركوش: (أسرة ذات علم وفضل ونبل وأدب وأخلاق فاضلة وسجايا كريمة حازت من الشرف والسؤدد والنفوذ الروحي أكثر ما حازته أسرة آل نما وقد جعلت نفسها وقفاً على التأليف والتدريس لإذكاء نور المعرفة بين أبناء قومها فزخرت بحار معارفهم وأشرقت شموس علومهم وفاضت ينابيع أدبهم)[١] ومن هذا القول يتضح أن المحقق الحلي كان لأجداده دوراً في التقدم العلمي الذي شهدته الحلة آنذاك وسوف نستعرض بعضهم باختصار:

١ـ أبي زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد جد المحقق لأبيه كان من العلماء المشهورين، ذكره الشهيد الثاني في إجازاته فأطرى عليه وعبر عنه بأنه (رئيس المذهب في زمانه)[٢].

٢ـ والد المحقق، الحسن بن يحيى وكان من كبار علماء عصره فاضلاً عظيم الشأن[٣].

اختلف أرباب السير والتراجم والرجال في السنة التي ولد فيها المحقق ولكن الأغلب حددوا ذلك سنة ٦٠٢هـ[٤]، كذلك الحال بالنسبة لمحل ولادته، فمنهم من قال ولد بالكوفة، ومنهم من قال إنه ولد بالحلة[٥].

لمع نجم المحقق الحلي بعد أن حضر الدروس على خيرة أساتذة الجامعة الحلية وهم:

١ـ الشيخ محمد بن نما الحلي ٦٤٥هـ.

٢ـ السيد محمد بن عبد الله بن زهرة الحسيني.

٣ـ السيد شمس الدين فخار بن معد الموسوي المتوفى سنة٦٣٠هـ.

٤ـ الشيخ مفيد الدين محمد بن جهيم (الجهم) الحلي[٦].

وقد لحق به لقب المحقق جراء جهوده في مجال الفقه فإذا أطلق الفقهاء هذا اللقب بصورة عامة كان هو المقصود به لذلك قيل عنه: (إنه محقق الفقهاء ومدقق العلماء وأول من نبغ منه التحقيق في الفقه وعنه أخذ)[٧]، وقد ازدهرت الحركة العلمية في عصره حتى صارت الحلة من المراكز العلمية في البلاد الإسلامية وتخرج على يديه نخبة من العلماء، نقل أن مجموعة كبيرة من المجتهدين بلغوا أربعمائة مجتهد تخرجوا عليه، الأمر الذي لم يكن متفقاً لأحد من الفقهاء قبله. كان من أظهر تلامذته ابن أخته العلامة الحلي الحسن بن المطهر، يمكن إيجاز الخطوات العلمية التي قام بها المحقق بالنقاط الآتية:

١ـ استطاع أن يغير المناهج الدراسية باستبدال كتابه الفقهي المسمى (شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام) بكتاب (النهاية) للطوسي، والشرائع لهذا اليوم عليه مدار الدرس وقد اشتمل هذا الكتاب على التفريع وتخريج الأحكام وقد ساهم هذا الكتاب في توسيع مناهج الاستنباط والتصنيف.

٢ـ استطاع المحقق أن يقدم تنقيحات في علم الأصول أعطت للاجتهاد مدلولاً جديداً نقلت بعض مباحثه من طورها التقليدي إلى طور آخر أكثر شمولاً واستيعاباً[٨].

أما مؤلفاته فقد تنوعت في ثراءها وغزارة مادتها العلمية، منها:

١ـ المختصر النافع وهو خاص بالمتون الفقهية والمعتبر وهو كتاب استدلالي في الفقه مشتمل على تحقيقات وفوائد جمة.

٢ـ المعارج في أصول الفقه.

٣ـ نهج الوصول إلى معرفة الأصول.

٤ـ المسائل الغروية.

٥ـ المسائل المصرية.

٦ـ مختصر كتاب (المراسم) لسلار الديلمي في الفقه، وغير ذلك من الكتب[٩].

كانت وفاته بالحلة صبيحة يوم الخميس الثالث عشر من ربيع الآخر سنة ٦٧٦هـ إذ سقط من أعلى درجة في داره فخر ميتاً لوقته من غير نطق ولا حركة فتفجع الناس لوفاته واجتمع لجنازته خلق كثير وحمل نعشه إلى النجف مشهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[١٠].

وقد رثاه جملة من الشعراء والعلماء منهم محفوظ بن وشاح الحلي المتوفى سنة٦٩٠هـ بقوله:

قد قلت للقبر الذي ضمه
كيف حويت البحر والبحر طام
عليك مني ما حدا سائق
أو غرّد القمري ألف سلام
أقلقني الدهر وفرط الأسى
وزاد في قلبي لهيب الغرام
لفقد بحر العلم والمرتضى
في القول والفعل وفصل الكلام
أعني أبا القاسم شمس العلى
الماجد المقدام ليث الزمام
أزمّة الدين بتدبيره
منظومة أحسن بذاك النظام!
قد أوضح الدين بتصنيفه
من بعد ما كان شديد الظلام
بعدك صار الناس في حيرة
عالمهم مشتبه بالعوام[١١]

مدفنه:

من عبارة: (وحمل نعشه إلى النجف...) يفهم أنه رحمه الله دفن في النجف عند الإمام علي عليه السلام إلا أن الشيخ محمد حرز الدين ينفي ذلك نفياً قاطعاً فيقول: (قلت: وما زعمه البعض من نقله إلى النجف الأشرف موهون جداً لأمور أحدها أن قبره في الحلة مأثور عامر إلى اليوم حتى أنه اشتهر اشتهاراً بلغ حد الشياع والتواتر عند الشيعة الإمامية وغيرهم ثانيها أن كل من دخل الحلة من علماؤنا الأعلام إلى عصر أساتذتنا الكرام ذهب إلى موضع قبره الآن لقراءة الفاتحة أو قرأ الفاتحة له ماراً ببلدة الحلة، كل ذلك منهم بلا تردد في موضع قبره هناك، ثالثها أن قبره لو كان في النجف الأشرف لنوه به كما نوه بمرقد تلميذه العلامة الحلي في رواق مشهد أمير المؤمنين عليه السلام في غرفة جنب المئذنة الشمالية، ولكتب الكتاب عنه كما كتبوا عن قبور العلماء الأساطين والملوك والأمراء والوجوه الذين أقبروا في حرم الإمام علي عليه السلام[١٢].

أول من أشار إلى مرقد المحقق الحلي هو الشيخ أبو علي الحائري حيث ذكر: (وقبره اليوم مزار معروف عليه قبة وله خدام يتوارثون ذلك أباً عن جد وقد خربت عمارته منذ سنين فأمر الأستاذ العلامة بعض أهل الحلة فعمروها وقد تشرفت بزيارته قبل ذلك وبعده)[١٣].

في نص الحائري نلاحظ ما يلي:

١ـ أن المرقد كان معروفاً ومشهوراً عند الناس بحيث تعاهد المرقد سدنة يقومون بالمحافظة عليه ولم يشر الحائري إلى أوائل ظهور القبر وكيفية صورته.

٢ـ لم يشر الحائري لماذا خربت عمارته بالرغم من وجود سدنة وخدم يحافظون عليه ويتولون أمره؟!.

٣ـ أن المقصود بـ(الأستاذ العلامة) الشيخ محمد باقر بن أكمل البهبهاني الشهير بـ(الوحيد) أستاذ السيد بحر العلوم والشيخ كاشف الغطاء وكما يطلق عليه (أستاذ الكل) وقد توفي سنة ١٢٠٦هـ.

أما أبو علي الحائري فقد توفي سنة ١٢١٦هـ، وعلى قوله يمكن حصر التعمير الذي شاهده في السنوات التي سبقت ١٢٠٦هـ.

أما الشيخ محمد حرز الدين فقد ذكر: (... مرقده في الحلة بارز معروف زرناه عام ١٣١٥هـ في العهد العثماني بالعراق، وكان على قبره قبة بيضاء قديمة مائلة إلى الانهدام)[١٤].

الظاهر أن الشيخ حرز الدين شاهد القبة التي أشار إليها أبو علي الحائري أي التي بنيت قبل مائة وبضع أعوام من التاريخ الذي أورده حرز الدين ومما يؤيد ذلك قوله قديمة مائلة إلى الانهدام.

وقد علق الشيخ محمد حسين حرز الدين على قول جده الشيخ محمد في كتابه مراقد المعارف: (...مرقده في الحلة بارز مشهور معروف) قائلاً: (في محلة الجباويين) على الشارع العام الذي عرف به اليوم شارع المحقق وبجنب مرقده مسجد صغير متصل به وبالحسينية التي أمامه وهي بمنزلة حرم القبر والمرقد اليوم عامر مشيد جديد البناء أشاده صاحب الخيرات والمبرات الوجيه الحاج عبد الرزاق مرجان الحلي بعد أن أضاف إليه أرضاً لتوسعته هي اليوم ضمن العمارة القائمة وبنى عليه قبة جميلة من الحجر الكاشاني)[١٥].

المرقد الشريف للمحقق الحلي في الحجرة المطلة على الشارع

يقول السيد هادي كمال الدين (أراد حسين السعد من متصرفي العهد المباد هدمه فنبريت وجماعة من المؤمنين إلى رده بالعنف)[١٦]، ولم يعلل السيد هادي كمال الدين عن السبب الذي جعل حسين السعد يقدم على مثل هذا التصرف.

ويضيف الأستاذ سعد الحداد على قول حرز الدين: (ويعرف الشارع الذي يطل عليه القبر اليوم بـ(شارع أبي القاسم) ويمتد من جهة الشارع العام (الاتصالات) شرقاً، حتى متنزه الشعب غرباً عند مرقد أستاذه الشيخ محمد بن نما الحلي وتقام فيه المشاعر الدينية على مدار السنة)[١٧].

أرخ الفراغ من تعميره بالشعر على واجهة المرقد سنة ١٣٧٥هـ الشيخ عبد الوهاب السعيد بقوله:

بنا أبو الوهاب مرقد آية
قد حل خير عالم محقق
فشادها مدرسة في جنبه
بمثلها سواه لم يوفق
قد سبق الأجواد بالجود لمن
يسعى لما يرضى الإله يسبق
ينفق لله الكريم ماله
أكرم وأنعم بالجواد المنفق

أن أبا الوهاب أرخ: (ماجد
مدرسة شيدت للمحقق)

كما أرخ هذا التجديد السيد محمد علي النجار في السنة ذاتها قائلاً:

هذا المحقق والأجيال تعرفه
بدت شرائعه في الدين سمحاء
قد بناه أبو الوهاب محتسباً
وكم يد لأبي الوهاب بيضاء

المسجد الملحق بالمرقد الشريف الذي تقام فيه صلاة الجماعة والمراسم الدينية

وأن تـاريخه: (يبقـى وينشـدنا
الناس موتى وأهل العلم أحياء)

زيارتنا للمرقد:

زرنا المرقد يـوم الاثنين الموافق ٢٠ ربيـع الأول سـنة١٤٣١هـ، والتقينا بالأخ محمد جاسم الكناني سادن ومؤذن المرقد وقد بيّن لنا معلومات مهمة حول المرقد قائلا: (كما ترون فالمرقد لم يشـهد أدنى اهتمـام في العهد البائد الذي كان يحارب العلماء أحياءاً وأمواتا وكان زائرو المرقد يعانون من الملاحقة والاستفسار لذا قل عـدد الزائرين وصار يفتتـح في أوقات محـددة خصوصاً وقت الصلاة حيث كان عدد المصلين قليلاً، وبقي الوضع هكذا إلى أن زال النظام وقلنا في أنفسـنا الآن جاء الدور المناسـب للاهتمام بمثل هذه الصـروح التي تضم خيـرة علمائنا ولكن فوجئنا بخيبة كبيـرة حيث لم تضع إدارة الوقف الشيعي أو دائرة المزارات حجراً ولم تصـرف ديناراً في أعمـار المرقد، وكل ما تشـاهده الآن هو مـن التبرعات الشخصية للمصلين وأصحاب الخير وعلى قدر المستطاع كما لا يمكن أن ننسى دور الأسـتاذ زيد مرجان في رعايـة المرقد وتعاهـده بين آونة وأخرى، اليوم نسـعى وعلى مستوى المؤمنين أيضاً أن نستملك عقاراً يقـع خلف المرقد بغيـة إلحاقه به والعمل على توسـعته بشـكل يتناسب مع مكانة المحقق الحلي ومع أعداد المؤمنين المتزايـدة التـي ترتاد المسـجد للصلاة والعبادة ولزيارة هذا العبد الصالح).

يطل المرقد على الشارع ويبدو مصبوغاً حديثاً باللون الأبيض ويمكن الدخول إليه عن طريق باب خشبي كبير حيث تواجه الداخل باحة مكشوفة، تحيطها من بعض الجهات قاعات متفاوتة المساحة، من يمين الداخل يقع المسجد، الذي تطل بابه وشبابيكه على الباحة المركزية، تبلغ مساحته حوالي ٨٠م٢ تقريباً وتقام فيه صلاة الجماعة وبعض المناسبات الدينية الأخرى، وتقع خلف المسجد المجموعة الصحية. أما عن يسار الداخل فيمكن ملاحظة باب حديد تفضي إلى غرفة صغيرة بحدود ٢٥م٢، ومنها يمكن الدخول إلى المرقد عن طريق باب خشبي، والمرقد عبارة عن حجرة صغيرة، مساحتها ١٦م٢ تقريباً، جدرانها مكسوة بالسيراميك الأخضر، تعلوها قبة قديمة البناء مصبوغة باللون الأبيض من الداخل، يبلغ قطرها حوالي أربعة أمتار وارتفاعها حوالي أربعة أمتار أيضاً، يقع القبر في الجهة القبلية المواجهة للزائر، يعلوه صندوق من الألمنيوم الفضي، والقبر عبارة عن دكة مكسوة بالسيراميك، تطل حجرة المرقد على الشارع بواسطة نافذة خشبية توفر إضاءة طبيعية، تعلو هذا الشباك من جهة الشارع كتيبة من الكاشي الكربلائي، كتبت عليها أبيات الشيخ عبد الوهاب السعيد التي ذكرناها فيما تقدم، أما القبة فتبدو من الخارج مصبوغة باللون الأخضر، ومن الغريب ما ذكره الشيخ محمد حسين حرز الدين آنفا (...وبنى عليه قبة جميلة من الحجر الكاشاني)، فالقبة لم تبن يوماً بالحجر الكاشاني كما اخبرنا بذلك السادن وإنما كانت القبة قديمة مائلة إلى التهدم فقام المرحوم صاحب المبرات الحاج عبد الوهاب المرجان ببنائها مجدداً بناءاً عادياً بالجص والطابوق كما هي اليوم، ولحجرة المرقد باب جانبية من الحديد تطل على زقاق ضيق.

الثاني:
الفقيه نجيب الدين يحيى بن أحمد الهذلي الحلي

ولد سنة ٦٠١هـ كما تشير إلى ذلك أغلب المصادر إلا أنها اختلفت في المكان الذي ولد فيه فمنها ما أثبتت ولادته في الكوفة ومنها ما قالت أنه ولد في الحلة وأرى في نظري القاصر أنه ولد في الحلة لأسباب أهمها أن أمه بنت الفقيه الحلي ابن إدريس وأبوه الفقيه أحمد بن يحيى الأكبر العالم الجليل فإذا كانت أمه حلية وأبوه حلي فالأولى أن تكون ولادته في الحلة خصوصاً وأن والده من الوجوه العلمية فهو من سلالة بني سعيد العلمية وعم المحقق الحلي وأمه بنت أستاذ الفقهاء الشيخ محمد بن إدريس كما ذكرنا اللهم إلا إذا قلنا إن والده سكن الكوفة في الفترة التي ولد فيها يحيى وهو يؤدي واجباته الدينية فيها ممثلاً عن علماء الحلة.

أساتذته:

نشأ يحيى في بيت مجد وسؤدد ولما بلغ مبالغ الرجال تدرج في دراسته الدينية على وجوه العلم في الجامعة الحلية الكبرى أمثال:

١ـ والده الشيخ أحمد بن يحيى.

٢ـ السيد الفقيه محي الدين محمد بن زهرة الحلبي.

٣ـ السيد فخار بن معد الموسوي الحلي.

منظر جانبي لمزار المراقد الأربعة وبضمنها مرقد الشيخ نجيب الدين الحلي

٤ـ الشيخ محمد بن أبي البركات بن إبراهيم الصنعاني.

٥ـ الشيخ نجيب الدين محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما الحلي.

٦ـ ابن عمه نجم الدين جعفر بن الحسن (المحقق الحلي)[١٨].

ولما تكاملت شخصيته وأصبح من ألمع الفقهاء من الحلة تزاحمت على الحضور في حلقة درسه الطلبة وصار حديث الوسط العلمي حيث وسع قاعدة معلوماته لتشمل الفقه والنحو والأدب فجعلت جمل الثناء والمدح تنهال عليه ومنها قول الشاعر:

يا سعيد الجدود يا بن سعد
أنت يحيى والعلم باسمك يحيى
ما رأينا كمثل بحثك بحثاً
ظنه العالم المحقق وحيا[١٩]

أما أصحاب الرجال والتراجم فقد أثنوا على شخصية نجيب الدين يحيى ومنهم ابن داود حيث قال: (يحيى بن أحمد بن سعيد شيخنا الإمام العلامة، الورع، القدوة، كان جامعاً لفنون العلم الأدبية والفقهية والأصولية، وكان أورع الفضلاء وأزهدهم، له تصانيف جامعة للفوائد)[٢٠]، أما الشيخ التستري فقال: (الشيخ الفاضل يحيى بن أحمد بن يحيى بن سعيد الهذلي الحلي مجيب نداء (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) والمقتبس من مشكاة الولاية والنبوة من أعظم مجتهدي الشيعة)[٢١].

تلامذته:

أصبح نجيب الدين كما قلنا مطمحاً لأنظار الطلبة نظراً لدرسه المتميز

المدخل الرئيس لمزار المراقد الأربعة

وأسلوبه العلمي الرصين في التدريس والبحث والمناظرة، فحضر الكثير منهم حلقته الدراسية، وقد عد الأستاذ سعد الحداد ثلاثة عشر شخصاً أصبحوا فيما بعد من أهم الشخصيات العلمية في تاريخ الفقه الشيعي أمثال:

١ـ العلامة الحلي، مفخرة الشيعة الحسن بن يوسف بن المطهر.

٢ـ السيد عبد الكريم بن طاووس.

٣ـ ولده صفي الدين محمد بن يحيى[٢٢].

وغيرهم من العلماء.

مؤلفاته:

لابد أن تكون للرجل بهذه العقلية الفذة مؤلفات تعكس نبوغه واجتهاده نذكر منها[٢٣]:

١ـ الجامع للشرائع وهي ثمرة غنية وناضجة من تلك الدوحة الفقهية كما عبر عنها الشيخ جعفر السبحاني وقد ألفه حوالي ٦٥٤هـ وفيه قال القائل:

ليس في الناس فقيه
مثل يحيى بن سعيد
صنف الجامع فقهاً
قد حوى كل شريد

٢ـ نزهة الناظر في الجمع بين الأشباه والنظائر وهو كتاب لطيف في الفقه ينوف على ثلاثة آلاف بيت تقريباً.

٣ـ المدخل في أصول الفقه.

البواية الفاصلة بين المسجد والمراقد الأربعة

٤ـ قضاء الفوائت.
٥ـ الفحص والبيان عن أسرار القرآن.
٦ـ كشف الالتباس عن نجاسة الأرجاس.
٧ـ كتاب السفر.

وبعد حياة مليئة بالعطاء المتدفق في نهر علوم آل محمد عليهم السلام انتقل إلى رضوان الله وجناته حيث أجمعت المصادر على أن وفاته كانت في الحلة ليلة عرفة في الثلث الأول من الليل في شهر ذي الحجة سنة ٦٨٩هـ للهجرة[٢٤].

مرقده:

أول من أشار إلى المرقد الشيخ محمد حرز الدين بقوله: (مرقده بالحلة المزيدية ورأينا عليه قبة مجللة والمعروف أنه أقبر في داره إلى جنب مدرسته الدينية ويؤيده ما يشاهد حول الساحة الكبيرة آثار الغرف المستديرة إلى جنب مرقده)[٢٥].

لم يذكر حرز الدين تاريخ ظهور المرقد والعمارات التي طرأت عليه والشاهد في قول حرز الدين أنه دفن في داره والى جنب مدرسته العلمية وما شاهده من بقايا لتلك المدرسة.

أما حفيد حرز الدين الشيخ محمد حسين فقد زاره في ستينات القرن الماضي وسجل ما يأتي: (قبره في (محلة الطاق) اليوم والى جانبه الغربي مسجد جديد العمارة يعرف بمسجد الشيخ محمد

الحجرة التي تضم المراقد الأربعة ومازال الإعمار والتطوير جارياً فيها

شـهيب، وقد فتح لنا بـاب مرقده جماعة مـن الحليين ودخلنا إليـه وإذا بصحن دار واسع جداً، قالوا إنها مدرسته الدينية وقد خربت كما ترى لتوالي السنين، وأصبحت عرصة تدفن أهل المحلـة صبيانها الموتى فيهـا، وكان قبره الشـريف على الشـارع النافـذ ومدخله من بهو ـ طارمة ـ سـقفها من جذوع النخل، ثم دخلنا حجرة واسـعة مربعة فوقها قبة عالية البناء كما تشـاهدها بالصـورة وكانـت سـميكة الدعائم قديمة الإنشـاء وفي سـاحة تلك الحجـرة دكتان لقبرين على كل منهما سـتار أخضر بينهما ثلاثة أمتار يزعمون أن إحدى الدكتين هو قبـر نجيب الدين يحيى بن سـعيد الهذلي هذا والأخرى قبر السـيد محمد بن السيد جلال الدين بن جعفر من آل السيد سليمان هو جد السيد حيدر الحلي الشاعر الشهير وتتصل بهذه الحجـرة حجرة ثانية من جهة الشـرق مدخلها من الأولـى وكانت الثانية ظلماء بعيدة عن أشـعة الشمس، وبواسطة السراج رأينا فيها قبرين، يزعمون أن أحد القبريـن هو قبر دبيس بـن علي بن مزيد الأسـدي والآخر يعرف عندهـم بقبر ابن علي الهادي)[٢٦].

أما السيد هادي كمال الدين فيقول: (... قبره في الحلة عليه قبة مجصصة ولا عجب فالنـاس موتى وأهل العلـم أحياء)[٢٧]، ولا ندري هل القبة المجللـة التي ذكرها حرز الدين آنفاً هي نفسها المجصصة؟!.

زيارتنا للمرقد:

انطلقنـا من النجف متجهين نحو مدينة الحلـة وعندمـا دخلناها جعلنا نسـأل عن شـارع الإمـام علي عليه السلام إلـى أن وصلنا إلى مقصدنا وغايتنا مرقد الشيخ نجيب الدين كان بانتظارنـا الباحث والكاتب الأسـتاذ

سعد الحداد وسادن المرقد السيد حكيم هاشم العميدي الذي بين لنا جانباً من تاريخ المرقد ووضعه اليوم فقال: (كان هذا المرقد مهملاً في الخمسينات والستينات من القرن المنصرم وقد أدى هذا الإهمال إلى تآكل أجزاء مهمة من البناء القائم آنذاك ولم يكن أحد يولي اهتماماً بهذا المكان خصوصاً من قبل الحكومة).

وأضاف الأستاذ سعد الحداد على قول السيد العميدي: (كما ترى فقبر نجيب الدين يحيى أحد قبور أربعة تضم رفاتهم هذه القاعة، وأحد الشخصيات المدفونة هنا هو من آل مزيد الحلي الذين أسسوا الحلة وكان الظن يدور على أن المدفون هو سيف الدولة صدقة بن منصور المؤسس الحقيقي للحلة لذا بدأت حملة في منتصف السبعينات من القرن الماضي كان هدفها إنقاذ مرقد مؤسس الحلة من الإهمال والضياع وبالفعل اتجهت الأنظار لهذا المرقد بصورة جدية وأصبح حديثاً تلهج به الألسن وموضع انتقاد لهذا الوضع المزري حيث أصبح المكان مهجوراً وقد ترمى فيه النفايات إلا أن هذه الحملة كانت كلامية أكثر من فعلية).

ويحدثنا السيد حكيم: (وهكذا استمر الوضع الهزيل للمرقد طيلة الثمانينات حيث كان النظام المباد يمنع أي محاولة تعمير أو تجديد أو ترميم للمرقد في حيث يبدي الكثير من الخيرين استعدادهم لدعم أي مشروع يصب في مصلحة أعمار المرقد.

في سنة ١٩٩٤م تقريباً تقدم الحاج هادي عبد الصاحب المتوفى سنة ٢٠٠٦م بمشروع فخم يتضمن إعادة الروح لهذا المكان فاشترى بيوتاً كانت تحيط بالمرقد وجعلها وقفاً له إلا أنه كان يجابه دائماً الصعوبات والمعرقلات التي تضعها السلطة بوجه أي طموح لأعمار المرقد لأن السلطة كانت تريد محو التراث الديني للحلة).

يشير سند العقاري للمرقد الصادر عن دائرة التسجيل سنة ٢٠٠٠م إلى اسم بغير اسم المراقد وهو مقام المنتجب وهو عبارة عن غرفة وطارمة وبداخلها مقبرة تبلغ مساحتها ٢٤٣١،٣م٢ وبين أخذ ورد وكر وفر أصبح هذا المشروع الخيري يراوح

مرقد نجيب الدين قبل حملة الإعمار

مرقد نجيب الدين الحلي أحد المراقد الأربعة

مكانه رهيناً بما يأمر به مدير الأوقاف وأسياده من قبله واستمر هذا الحال إلى سقوط النظام البعثي عام ٢٠٠٣م عندها تنفس الحاج هادي الصعداء وتوجه بكل طاقاته وإمكاناته لتحقيق ما كان يتمناه من أعمار لهذا المكان.

ويعود الحديث للأستاذ سعد الحداد فيقول: (قام المحسن الحاج هادي الصاحب ببناء المراقد الأربعة وأعمارها مشيداً عليها مسجداً كبيراً وقبة ضخمة حيث تحمل كلفة بناء القبة والحسينية المجاورة للمراقد بعد أن أضيفت إليها مساحة تقدر بـ(١٤٠٠م٢) وهي منحة من مديرية بلدية الحلة تعويضاً عن مساجد (المنتجب والكلش والحسينية الكبرى) كذلك كان لأهالي الحلة مشاركة في بناء هذا الصرح).

وهنا يتدخل السيد حكيم ويقول بحسرة: (في عام ٢٠٠٦م توفي الحاج هادي الصاحب رحمه الله فتوقف العمل وأصبح الوضع محرجاً حيث لم تتهيأ عند أسرته الدوافع التي كانت عنده رحمه الله فتعلقت الأعمال وقد أناط العمل بذمتي قبل رحيله وكما ترى الآن فالمرقد بحاجة ماسة إلى يد مد العون إذ لم نر أي نشاط في الوقف الشيعي وأمانة المزارات الشيعية يتوافق مع الخطط الموضوعة من قبلهم في أعمار وصيانة المراقد ودور العبادة.

بالرغم من رصد مبلغ يقدر بـ(٢٧٧) مليون دينار عراقي لإكمال العمل في المزار إلا أننا نواجه الرفض في كل مرة نطالب فيها بإطلاق هذا المبلغ).

يطل المرقد الذي يضم رفات أربعة من رجال الحلة على شارع الإمام علي عليه السلام ويعرف بالقبور الأربعة يمكن الوصول إلى المرقد عن طريق باب جانبيه تطل على مساحة كبيرة فارغة ويبدو من خلال

في الأعلى: صورة للقبة أثناء مراحل التشييد والإعمار
في الأسفل: بعض الباعة المتجولين كانوا يستغلون الساحة الجانبية التابعة للمزار والآن تم تفريغ الساحة من هؤلاء الباعة

المراحل الأولية لإعمار مزار المراقد الأربعة في نهاية تسعينيات القرن الماضي

الحديث مع القائم على خدمة المرقد أن هذه المساحة عائدة إلى المرقد حيث كانت جزء من مدرسة نجيب الدين ثم أصبحت خراباً وبعدها تم استغلالها من قبل الباعة المتجولين فأصبحت محلاً عاماً للأخذ والرد بما لا يليق ومكانة العلماء التي تحويها هذه البقعة وبعد زوال النظام البائد تم التنسيق مع بلدية الحلة لرفع العربات التي أصبح وجودها يشكل خطراً على المرقد حيث أصبحت ظاهرة تفجير المزارات معروفة باستغلال مثل هذه الأماكن لزرع العبوات الناسفة. تحوي هذه الساحة مجموعة صحية غير كاملة.

أما المرقد فيتم الدخول إليه من باب كبيرة جانبية تفضي إلى قاعة كبيرة تضم الحسينية والمرقد، أما المرقد فيمكن الدخول إليه من الجهة اليمنى حيث توجد قاعة واسعة تحتوي على أربعة مراقد موزعة بصورة قطرية حيث يعود القبر الأول الواقع يسار الداخل إلى الفقيه الشيخ نجيب الدين يحيى الهذلي الحلي وهو عبارة عن دكة مستطيلة مكسوة بالسيراميك يبلغ ارتفاعها حوالي ١٢٠سم وعرضها ٩٠سم وطولها ٢م وهي كباقي القبور الأخرى أما القبر الذي يلي قبر نجيب الدين فيعود إلى سيف الدولة صدقة بن منصور كما تزعم البطاقة التعريفية الموضوعة على المرقد والحقيقة أن سيف الدولة قتل في معركة بينه وبين السلطان محمد بن ملك شاه قرب النعمانية في واسط آخر جمادى الآخرة سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م وحمل رأسه إلى بغداد ودفن جسده رجل من أهل المدائن والذي يعتقده الباحث سعد الحداد أن هذا المرقد يعود إلى محمد بن دبيس أو أخيه

علي بن دبيس من أحفاد سيف الدولة أما القبر الثالث قبر السيد أحمد من أحفاد الإمام الهادي عليه السلام. والظاهر أنه من أحفاد إدريس بن جعفر التواب بن الإمام علي الهادي عليه السلام حيث عرف في الحلة بيت المواجد وهم من أحفاد السيد ماجد من ذرية الإمام الهادي عليه السلام.

أما القبر الرابع والأخير فهو قبر السيد جعفر بن السيد علي بن كاظم بن حسين الحكيم بن سليمان الكبير الحسيني من أحفاد زيد بن علي السجاد عليه السلام وهو من أولاد عم السيد حيدر الحلي الشاعر المعروف وليس من أجداده كما عرف عنه سابقاً وصحيفة النسب العائدة للسيد جعفر الموجودة عند السادن مصدقة من السيد مضر آل سيد سليمان الحلي.

تعلو المرقد قبة ضخمة يبلغ ارتفاعها سبعة أمتار تقريباً، ذات لون أبيض من الداخل، أما من الخارج فتبدو مكسوة بالكاشي الكربلائي، كتبت عليها أسماء الأئمة عليهم السلام ويحطها من الأسفل طوق دائري أزرق تزينه آيات من الذكر الحكيم وقد أرخ بناء هذه القبة السيد محمد علي النجار بقوله:

بهذه القبة سمت في علاها
وتراث الفيحاء من احتواها
هي رمز لآل مزيد باقٍ
في ثراها الأخير من أمراها
ورموز أخرى تشير لعصر
ملئت بالأفذاذ من علماها
من تملى تاريخها (فوعاها
خير هادٍ من الكرام بناها)

أما الحسينية فهي عبارة عن قاعة واسعة مفروشة بالسجاد وتقام فيها الصلاة والمجالس الحسينية، يبلغ إجمالي مساحة المرقد وملحقاته (٢٤٣٦م٢) في حين تقدر مساحة الحسينية فقط بـ(١٤٠٠م٢).

وهكذا تبقى هذه المراقد شواهد ناطقة بعبقرية رجال عاشوا في هذه الدنيا فملؤوها بالعلم والمعرفة وانتقلوا إلى العالم الآخر فبقت مراقدهم علامات بارزة تشير إلى مجدهم وخلودهم ■

---

(١) تاريخ الحلة، ١٣٤/٢.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ١٩٦/١٠٤.
(٣) الحر العاملي، أمل الآمل، ٨٠/٢.
(٤) حرز الدين، مراقد المعارف، ٢٣٧/٢.
(٥) الحداد، مراقد الحلة الفيحاء، ص٩٩.
(٦) المحقق الحلي، الرسائل التسع، ص١٦.
(٧) القزويني، المرجعية الدينية، ص٢٣٤.
(٨) الطباطبائي، رياض المسائل، ٣٧/٢(بتصرف).
(٩) المحقق الحلي، المعتبر، ٨/١.
(١٠) الخوئي، معجم رجال الحديث، ٣١/٥.
(١١) مراقد المعارف، ٢٣٨/٢.
(١٢) المحقق الحلي، المعتبر، ٨/١.
(١٣) مراقد المعارف، ٢٣٨/٢.
(١٤) المصدر السابق.
(١٥) كمال الدين، ٢٠٢/١.
(١٦) مراقد الحلة الفيحاء، ص١١٢.
(١٧) المصدر السابق، ص١٣٩.
(١٨) الهذلي، الجامع للشرائع، ص٤٨١.
(١٩) ابن داوود، رجال، ص٢٢٠.
(٢٠) الهذلي، الأشباه والنظائر، ص١٤.
(٢١) الحداد، مراقد الحلة الفيحاء، ص١٤٠.
(٢٢) المصدر السابق.
(٢٣) الحر العاملي، أمل الآمل، ٣٤٧/٢.
(٢٤) حرز الدين، مراقد المعارف، ٦٤/١.
(٢٥) المصدر السابق.
(٢٦) فقهاء الحلة الفيحاء، ٤٠/١.
(٢٧) الحداد، مراقد الحلة الفيحاء، ص٢٣.
(٢٨) ابن عنبة، عمدة الطالب، ص٢٣٤.
(٢٩) الحداد، مراقد الحلة الفيحاء، ص٢٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ولعنة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

السؤال: قال الله تعالى في قصة النبي يوسف على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام: (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ* وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ ...)[1]. وقد أثارت هذه الآيات جدلاً حول يوسف عليه السلام وأنه هل همّ بالمعصية أو لا؟ فما هي وجهة نظركم؟

الجواب:

في الوقت الذي نؤكد فيه على عدم همّ يوسف عليه السلام بالفاحشة والمعصية ـ للمفروغية من عصمة الأنبياء، التي هي من مسلمات الطائفة الحقة أعلى الله شأنها، تبعاً لحكم العقل، وقضاء النقل بها عن المعصومين صلوات الله عليهم ـ نرى أنه ليس في الآيات الكريمة ما يوهم ذلك، وأن الخلاف بين المسلمين في عصمة الأنبياء صلوات الله عليهم حيث دخل في صميم العقيدة صار التركيز من كلا الطرفين على هذا الجانب، وحاول كل طرف التنسيق بين معتقده والآيات الكريمة، وإبعادها عن معتقد الطرف الآخر، بنحو أغفلهم أو جعلهم يتغافلون عن مدلولها لوحدها مجردة عما هو خارج عنها من القرائن والمسلمات.

والذي يبدو لنا أن الحادث الذي استعرضته الآية الكريمة لا يخرج عن طلب المرأة من يوسف عليه السلام الفاحشة بإصرار، وامتناعه عنها بإصرار. واستمرارهما على ذلك حتى النهاية. وقد عرضت الآيات ذلك في مراحله ومضاعفاتها بتسلسلها الطبيعي.

فالمرأة حينما راودت يوسف عليه السلام عن نفسه قد أحكمت أمرها بتغليق الأبواب من أجل حبسه حتى يقضي حاجتها، وأمنها ممن يفاجئهما قبل الفراغ منها. ويوسف عليه السلام حينما امتنع أكد ذلك بإصرار، كما يوحي به قوله تعالى: (**قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**).

وحينما رأته مصرّاً قد استعصم على الامتناع حاولت إرغامه بالعنف، فهمّت به من أجل أن تضربه وتوقع به ليجبر على قضاء حاجتها، أو تنتقم منه إن بقي على إصراره. ولما رأى ذلك منها همّ بها ليضربها ويوقع بها مدافعاً عن نفسه، ومحافظاً على عفته.

ثم هداه الله تعالى ونبّهه ببرهانه إلى أن ذلك ليس من صالحه، لأن الناس طبيعياً يفسرون فتك الرجل الأعزب الذي بلغ أشده وتكاملت رجولته وقوته بالمرأة الضعيفة المحصنة إنما هو من أجل أن يرغمها على الفاحشة، ويقضي حاجته منها، وذلك يشين سمعته، ويعرضه للعقوبة القاسية.

وحينئذ لم ير له مخرجاً من محنته إلا التوجة للباب، ليفتحها ويخرج، ويتركها وحدها. لكنها سابقته إلى الباب وحاولت منعه من الخروج بالقبض على قميصه من خلفه حتى انشق.

وانتهت المحنة بموافاة زوجها عند الباب، لتبدأ مرحلة التداعي بينهما، وتبادل التهم، ثم الحكم الفصل ـ بعد شهادة الشاهد من أهلها ـ ببراءته وخيانتها.

هذا يبدو لنا من ظاهر الآيات الكريمة من دون تكلف، ولا تعسف.

وهو يبتني على حمل الهمّ منها ومنه على الهمّ بالإيذاء والضرب والفتك ونحو ذلك، لا على الهمّ بالفاحشة. وهو في نفسه قريب جداً لأنه هو الظاهر

مــن إطلاق تعليق الهمّ بالإنســان من دون ذكر متعلق الهــم، خصوصا في مقام الممانعــة والخصومة، كما في المقام، وكما فــي قوله تعالى: (**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ**)[٢] وقول أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه لمعاوية: (فأراد قومنا قتل نبينا واجتياح أصلنا وهمّوا بنــا الهموم وفعلوا بنا الأفاعيل)[٣]. وقول معاوية فــي كتابه لمحمد بن أبي بكر في موقف الشــيخين من أميــر المؤمنين عليه السلام: (ثم دعواه إلى أنفسهم فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما به الهموم وأرادا به العظيم)[٤].

وأما حمل هــمّ كل منهما بالآخر على الهمّ بفعل الفاحشــة معه، فهو مخالف للظاهر في نفسه، خصوصاً في المرأة، لأنها عرفاً في موضع القابل، فهي إما أن تطلب منه فعل الفاحشة بها، أو تستسلم له لو أرادها منها، لا إنها همّ بفعلها به.

على أنه لا يناســب ســياق الآيــات الكريمــة، لأن همّها بالفاحشــة وتهيئتها لمقدماتهــا قد ســبق ذكره بتفصيل في قوله تعالى: (**وَرَاوَدَتْــهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِــهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ**) فلا موجب لذكره ثانياً، وهمّه هو بالفاحشــة لا يناسب ما سبق بيانه من شــدّة امتناعه، إلا بعد التمهيد له بانهياره أمــام شــدّة إصرارها وتفننها فــي إغرائه، فحمله عليه من دون ذلك لا يناســب السياق، ويتجافى مع بلاغة القرآن الكريم.

ولذا نرى بعض المفسرين حين حمل الهمّ منهما على المعنى المذكور اضطر إلى إضافة ذلك من أجل تناســق الكلام. قال: (فراودته امرأة العزيز، وهو قوله: (**وَرَاوَدَتْــهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِــهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْــوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**) فما زالت تخدعه. حتى كان كما قال الله عز وجل: (**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ**).

ومع ذلك يرد عليه ما سبق من استبعاد حمل الهمّ منها على الهمّ بالفاحشة. بل المناســب حينئذ أن يقال: لكنها بقيت تصر عليه وتغريه حتى انهار أمامها، وهمّ بها لولا رأى برهان ربه. أما البيان الذي تضمنته الآيات الكريمة فهو لا يناســب حمل الهمّ منهما على الهمّ بالفاحشة، بل يناسب أو يلزم بحمله على ما ذكرنا.

وقــد يؤكده قوله تعالى: (**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّــوءَ**) بناء على أن المراد به الضــرر المادي بالعقوبة، وأن عطف الفحشــاء عليه ليس تفسيرياً. لوضوح أن عقوبة زوجها له إنما تلزم من ضربه لها وفتكه بها، لأن من شــأن ذلك أن يظهر فيغضب زوجها، دون الاستجابة لها وقضاء مرادها من دون ممانعة، إذ ليس من شأن ذلك أن يظهر، لتترتب عليه عقوبة زوجها لو كان غيوراً.

وهو المناســب لما في حديث أبي الصلت الهروي عن الإمام الرضا عليه السلام في كلام له مع علي بن محمد بن الجهم حول عصمة الأنبياء عليهم السلام في مجلس المأمون. قال عليه السلام: (وأما قوله عز وجل في يوســف: (**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا**) فإنها همّت بالمعصيــة، وهمّ يوســف بقتلها إن أجبرته، لعظم مــا تداخله، فصرف الله عنه

قتلها والفاحشة. وهو قوله عز وجل: (**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء**) يعني: القتل والزنى)[٥].

وأما قوله عليه السلام: (إنها همّت بالمعصية). فمن القريب أن يكون المراد به بيان واقع حالها، لا تفسير قوله تعالى: (**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ**) بناء على تفسيره بما ذكرنا.

ويؤيد ذلك ما في حديث أبي حمزة عن الإمام زين العابدين عليه السلام: (قال: وكان يوسف أجمل أهل زمانه، فلما راهق يوسف راودته امرأة الملك عن نفسه، فقال لها: معاذ الله إنا من أهل بيت لا يزنون، فغلقت الأبواب عليها وعليه، وقالت: لا تخف وألقت نفسها عليه، فأفلت هارباً إلى الباب ففتحه...)[٦] حيث يظهر منه استمرار يوسف عليه السلام على الامتناع عن المعصية، وعدم الاستجابة لها.

غاية الأمر أنه يبتني على طي الحدث واختصاره والإشارة إلى الهمّ منها ومنه بما حدث عند إلقاء نفسها عليه، من التمانع بينهما حتى أفلت منها هارباً إلى الباب.

نعم هناك نصوص أخرى بين ما تضمن تبرئة يوسف عليه السلام، مع تأويل الآية بوجه آخر مخالف لما سبق، لا يهمنا التعرض له، وما تضمن همّه عليه السلام بالفاحشة. ولابد من طرحه أو حمله على التقية، بعد مخالفته لظاهر الآيات الكريمة، وللحديثين المتقدمين، ولإجماع الطائفة المحقة، كما سبق.

وأما قوله تعالى: (**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء**) فيمكن حمل الفحشاء فيه على الزنى. ويكون حينئذ تعليلا لمجموع الحادثة بما فيها إصراره على الامتناع من الزنى، كما يظهر من حديث أبي الصلت الهروي المتقدم. ويكون نسبة ذلك لله تعالى بلحاظ توفيقه له وتسديده إياه.

كما يمكن حمل الفحشاء فيه على تهمة الناس له بإرادة الزنى، نظير قوله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**)[٧]. حيث فسر شياع الفاحشة بالحديث بها، ونسبتها للمؤمنين واتهامهم بها. ويكون حينئذ تعليلاً لرؤية برهان ربه التي منعته من ضربها والفتك بها، الذي سبق أنه يكون سبباً لتعرضه للعقاب الشديد، وهمّته بالإقدام على الفاحشة. ويكون نسبته لله عز وجل بلحاظ إراءته للبرهان المانع له من ضربها والفتك بها.

هذا ما نستظهره من الآيات الكريمة مجرداً من كل قرينة أو قضية مسلمة خارجة عنها. والله سبحانه وتعالى العالم. ومنه نستمد العون والتسديد ■

---

(١) سورة يوسف الآية ٢٣ ـ ٢٥.
(٢) سورة غافر الآية ٥.
(٣) نهج البلاغة ص٤٤٧.
(٤) كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص١٢٠.
(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص١٧١.
(٦) تفسير العياشي ج٢ ص١٧٢.
(٧) سورة النور الآية ١٩.

حكاية مستبصر..

أسعد وحيد القاسم

(فلسطين ـ حنفي)

ولد في فلسطين سنة ١٩٦٥م من أسرة حنفية المذهب، حاصل على شهادة البكالوريوس في الهندسة المدنية والماجستير في إدارة الإنشاءات والدكتوراه في الإدارة العامة. دفعه اطلاعه على بعض كتب الوهابية التي تهاجم مذهب أهل البيت عليهم السلام إلى قراءة بعض كتب الشيعة، ثم التحقق مما جاء فيها من صحاح السنة.

يقول الدكتور أسعد: بدأت بدراسة الخلاف المذهبي في عام ١٩٨٧م أيام دراستي الجامعية في الفيليبين، بعد ما بدأت ألاحظ تلك الحملات التكفيرية المسعورة التي كان يشنها البعض ضد الشيعة والتشيع.

ولم يكن عندي لغاية ذلك الحين أي اهتمام للاطلاع على مثل هذه المسائل الخلافية لعدم شعوري بأي حاجة لمعرفتها، وكل ما كنت أعرفه من الشيعة أنّهم مسلمون وإن كانوا يختلفون عن أهل السنة في بعض المسائل التي لا تستوجب تكفيرهم، كتفضيلهم لعليّ عليه السلام على باقي الصحابة واهتمامهم الكبير بزيارة أضرحة الأئمة. وكنت لا أرى أي داعي للبحث عن الفرق بين الشيعة والسنة، لأنني كنت اعتبر هذه الأبحاث دخولا في متاهات قد لا توصل إلى أي نتيجة.

إلاّ أن بعض أتباع المذهب الوهابي أنكروا على الدكتور أسعد ذلك، ثم حاولوا التضييق عليه من كل جانب من أجل أن يتخلى عن هذا النمط من التفكير المنفتح.

فيقول الدكتور قاسم: وكان معنى ذلك أنّه يجب عليَّ إمّا أن أكون سنياً مكفراً للشيعة، وإمّا أن أكون شيعياً معتقداً بكل ما يعتقدون، وهكذا كانوا يلحون عليَّ دائماً بأن اختار طريقاً واضحاً ليس فيه مزج أو وسطية على رأيهم. وكانوا يوزعون دائماً كتباً على الطلبة، تكفّر الشيعة وتجعل منهم خطراً على الأمة أسوأ من خطر اليهود.

وهكذا تولّد في داخلي حافز للتقصي والبحث، لأجد جواباً للعديد من القضايا والمسائل التي أثيرت حول تاريخنا الإسلامي.

اقتطاف ثمار البحث حول التشيع

بعد ما قرأ الدكتور أسعد الكتب العديدة المضادة للشيعة، بدأ بقراءة بعض الكتب الشيعية ليرى جوابهم على تلك المسائل وخصوصاً كتاب (المراجعات) الذي ينقل حواراً لكاتبه العالم الشيعي السيد عبد الحسين شرف الدين مع عالم سني من الأزهر الشيخ سليم البشري.

يقول الدكتور أسعد في هذا المجال: وأشد ما لفت انتباهي في هذا الكتاب وغيره من الكتب الشيعية هو استدلالها على ما تدعي بآيات قرآنية وأحاديث موثقة عند أهل السنة لاسيما في صحيحي البخاري ومسلم. ولشدة قوّة وضوح بعض الروايات التي استدل عليها من صحيح البخاري،

دفع ذلك بعض أصدقائي من دعاة الوهابية إلى القول بأنّه لو وجدت بحق مثل هذه الروايات في صحيح البخاري لاستعدوا أن يكفروا بهذا الكتاب الجامع الصحيح كله كما يعتبره العلماء من أهل السنة، وحيث أنّه لم يكن متوفراً لدى أي أحد منا نسخة من هذا الكتاب، فبحثت حينها حتى وجدت نسخاً منه في معهد للدراسات الإسلامية في إحدى الجامعات الفيليبينية، وعكفت على دراسته للتحقق من مصادر الروايات الهامة التي استدل بها، حيث وجدتها جميعاً كما أشير إليها. وحينئذ فقط تيقنت من صحة دعوى الشيعة القائلة بخلافة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام ابتداءاً بعليّ عليه السلام وانتهاء بالمهدي عجل الله فرجه الشريف.

اجتياز مرحلة التغيير المذهبي

وحول كيفية تغيير الانتماء إلى التشيع وترك المذهب السني يقول الدكتور أسعد: لم أشعر منذ البداية أنه كان عليَّ أن أترك مذهبي السني، ولا أعتقد أني تركته، وما أقصد أنّ إيماني في بداية الأمر بأحقية أهل البيت عليهم السلام بخلافة النبيّ صلى الله عليه وآله لم يعنِ تركي لمذهبي السني، وإنما اعتبرته تعديلاً لمعلوماتي التاريخية، وتصحيحاً لمساري الإسلامي. ورغم أن من حولي أخذوا ينادونني بالشيعي، فلم أكترث لذلك، بل لم أجد بأساً فيه، لأنه لم يكن عندي عقدة مسبقة من هذه التسمية. لأنني لا أرى تقسيم المسلمين على أساس المذاهب، وإنّما على أساس صدق التوجه وأصالة العمل وإخلاصه.

ردود فعل الأسرة والمجتمع

يقول الدكتور أسعد: لم أفكر لحظة

كيف سيكون رد فعل أسرتي ومجتمعي، لأن المسألة هنا شخصية جداً، وعلى ذلك يحاسبنا الله سبحانه وتعالى، فلا الأسرة ولا القبيلة تشفع لأحد يوم الحساب ولحسن حظي على كل حال، فإنّ أسرتي وأقاربي كانوا متفهمين جداً عندما عرفوا بالأمر وتربطني بهم إلى الآن علاقة حميمة.

وأما بالنسبة لرد فعل المجتمع، فنحن ما زلنا مجتمعات يسيطر عليها التفكير القبلي والتعصب الديني والمذهبي والتحول عن الدين أو المذهب لا يزال مرفوضاً من حيث المبدأ ويبغض غالباً من يفعله، فالدين والمذهب في مجتمعاتنا من الأمور التي تورث، والقليل النادر جداً من يضعها تحت مجهر الدراسة والتمحيص، فلهذا خسرت بعض الأصدقاء إلاّ أنني كسبت آخرين، وفيهم كثير من النخب المتعلمة مما يدعو إلى التفاؤل، فالثقافة والوعي تجاه هذه القضايا يحتاجان إلى بعض الوقت ■

من كتاب (المتحولون/٤٦٨) بتصرف

تخميس السيد مرتضى السندي
لأبيات عبد الباقي العمري

أخلصت شيعة الهدى بولاها مذ هداها لحبكم مولاها
نطق الحب هاتفاً بدماها
«يا أبا الأوصياء أنت لطه صهره وابن عمه وأخوه»

أظهروا الحب والمودة جهراً حيث كانت على الرسالة أجراً
حبكم صار للمواليد طهراً
«إن للّه في معانيك سراً أكثر العالمين ما عرفوه»

صاغك المصطفى وصفاك إذ لو لم يؤاخيك لم تكن منه كالضو
يابن من للسماء فخراً تساموا
«أنت ثاني الآباء في منتهى الدو ر وآباؤه تعد بنوه»

أنت من خصك الهدى برضاب أحمدي ونلت لب لباب
وهو كناك والكنى بحساب
«خلق اللّه آدم من تراب فهو ابن له وأنت أبوه»

الدر النفيس من روائع التخميس ص٨٦

يـــوم.. مـــا

قصة قصيرة

زهرة النرجس •

ينابيع

لأشد ما كان يؤلمني.. ويحزنني.. حينما تصـــرخ بي.. ويأتي صوتها مزمجراً كالرعد ماريا.. ماريا.. يا بنت.. هكذا كنت أقضي يومي بين غسيل وتنظيف.. وكنس ومسح.. .

ماريا بنت العاشـــرة.. توفيت والدتي قبل سنة تقريباً وتركني والدي عند عمتي لأجل رعايتي كما قال: لا زلت أذكر ذلك اليـــوم حيث جـــاء والدي وهـــو يدفعني أمامه وأنا منكســـة الرأس وعيناي ملأتا بالدموع قال والدي بتوسل: سعدية ماريا أمانة عندك لا تعصـــي لك أمر بخدمتك دوماً..!!

سأســـافر إلـــى المدينـــة لأعمـــل لا أســـتطيع أخذهـــا إنها بنـــت و.. دون أن يكمل جاء صوتها مزمجـــراً كما عرفته.. أدخلـــي ثم نظـــرت إليّ بـــازدراء ولوت شفتيها ورمتني بنظرة سخرية.. وتركتني عند الباب.

الفـــرق واســـع بين والـــدي وعمتي، والدي هادئ طيب حنون، وعمتي عصبية متسلطة تتملكها العنفة وحب السيطرة.. وأرى والدي ضعيف أمامها لا يستطيع أن ينبس بنبت شفه.

عشـــت مع عمتي أيامـــاً وكانت تملك بيتـــاً صغيـــراً في أحـــد أزقـــة المدينة.. وزوجها رجل عجوز لا يقدر على شـــيء فهـــو يخرج إلى دكانه صباحاً ولا يأتي إلا والليل انسدل ستاره.

ورثت عمتـــي هذا البيـــت عن جدي

ولم يكن لأبي نصيب فيه فهي متسلطة بطبيعتها استولت على كل شيء الفراش المناضد من أصغر شيء إلى أكبره.. أما حصة والدي فهي غرفة في الطابق العلوي أسكنها أنا.

حينما كانت والدتي على قيد الحياة.. كنا نسكن مزرعة صغيرة استأجرناه من مالكها مقابل زرعها والعناية بها.. كانت الحياة جميلة.. والآن أصبح الاختلاف شاسع.. أصبحت الحياة قاسية وصعبة...

كنت أعمل طوال اليوم الطبخ.. المسح.. غسيل الملابس وحرمت من كل شيء من المدرسة واللعب مع بنات الزقاق حتى الحلوى التي يلوكها الأطفال..

كنت أتلحظ لها وأتخيلها في فمي.. كنت خادمة بدون ثمن ووالدي لا يأتي إلا في العطل والمناسبات ليدس في جيب عمتي بعض النقود.. فلا يعير لي أي اهتمام، كانت تعاملني بقسوة.. وكنت أكنّ لها غضب وحقد دفينين، كانت بدينة تدفع بطنها العالي أمامها لا تملك إلاّ الصراخ والتذمر.. فهي تلعن اليوم الذي وطأت فيه دارها وتهدد بطردي..

في هدأه الليل، كنت أتذكر وجد أمي يرنو إليّ من بعيد يناديني يظهر إليّ من خلال ضوء القمر المتسلل إلى نافذتي الصغيرة.. المطلة على الزقاق.

أمي تعالي.. أغمريني بحنانك خذيني معك. كنت أبكي بحرقة وأنام وأنا أحلم

وأصحو على واقع مر..

ماريا.. ماريا.. نعم يا عمتي تعالي معي.. لدي موعد مع الطبيبة اليوم يبدو أني أحس بألم ولادة لم أكن أعرف أنها حامل.. تصورتها بدينة.. كنت أحمل حاجياتها وأنا أتعثر وأسير ورائها راكضة وهي تتمايل أمامي كالجبل..

جاء صوت الطبيبة ناعماً.. ولادتك ستكون صعبة والأخيرة تعرفين فارق العمر والوزن ثم أخذت تشرح لها أنها على وشك ولادة.. كنت أسترق السمع وأنا أقف بالقرب من الباب.

ولدت عمتي طفلاً جميلاً.. كانت ولادتها عسيرة.. تحملت أنا العبء الأكبر، لم أنم ثلاث ليال.. ماريا الغبية احملي الطفل جيداً.. أين رضّاعته كم أنت كسولة، هل غسلت ملابسه كانت متذمرة دوماً لا تعرف أن تشي عليّ يوماً أو تسمعني كلمة طيبة.. أو تعطيني شيئاً مقابل عملي.

وذات يوم صرخت بي: لماذا يبكي الطفل.. ماريا.. ماريا الغبية ثم أمسكتني من ضفائري وشدتهم بقوة وقالت وعيناها تتطاير الشرر منها، اسمعي هذا الطفل كل حياتي. تعرفين وأخذت تهزني بقوة وهي تقول إن تعرض لأي شيء سأرميك خارجاً، ودفعتني بعنف على أثرها ارتميت على الأرض.. ثم جاء صوتها صارخاً: قومي اللعنة عليك.

كنت أسهر مع الطفل ليلاً فهو دائم البكاء.. وأقضي أعمال المنزل صباحاً.. كنت خائرة القوى وهي تنام دوماً تفترش الأرض بجسدها البدين.. تغطي رأسها تارة وتصم أذنيها تارة أخرى ثم تصرخ خذي الطفل بعيداً أريد أن أنام.. أسكتيه.. يا غبية.

صحبته إلى غرفتي.. كان يبكي وضعته في الفراش ووقفت أمامه نظرت إليه.. ترأى لي وجه عمتي البدين في وجه الطفل وهو يزمجر يلعن ويشتم.. ثم تناهى إليّ صوت الطبيبة الناعم ولادتك ستكون الأخيرة.. الأخيرة.. ثم أخذ الصدى يقرع برأسي بعنف ويتكرر حاولت أن أحمها لكنه قوياً كالسيل الجارف لا يتوقف.. ثم أخذت عيناها الماكرة تترأى إليّ وصوتها صارخاً هذا الطفل كل حياتي.. كل حياتي..

ضحكت بقوة.. هاها جاء يومك يا عمتي المتسلطة كنت أضحك والدموع تجري على خدي، سأنتقم منك.. سآخذ بثأري فالثأر يجري بدمي، أخذت أبحث عن شيء أي شيء تناولت وسادة قريبة غطيت بها وجه الطفل، أخذ يصرخ، كتمت صوته بقوة، رفس بقدميه رفرف كالطير المذبوح وأنا أضغط عليه بكل ما أوتيت من قوة.. لم أأبه للطفل البريء وهو يختنق فلقد كان صوتها يصم سمعي وهي تلعنني وتسبني.. هدأ الطفل وخمد نفسه ولم يبقى له من الحياة شيء، وبسرعة لملمت ملابسي وأنا أرتجف.. وأنا أتمتم: الآن أخذت بثأري.. هه وتركت الدار ■

القصيدة الكوثرية

السيد رضا الهندي •

أَمُفَلَّجُ ثغرك أم جوهرْ ... ورحيقُ رضابك أم سُكَّرْ
قد قال لثغرك صانعه ... (إنَّا أعطيناك الكوثر)
والخال بخدِّك أم مسك ... نَقَّطتَ به الورد الاحمرْ
أم ذاك الخال بذاك الخدِّ ... فتيتُ النِدِّ على مجمرْ
عجباً من جمرته تذكو ... وبها لا يحترق العنبر
يا مَنْ تبدو ليَ وفرتُه ... في صبح محياه الازهر
فأجّن به (الليل إذا ... يغشى) (والصبح إذا أسفرْ)
ارحم أَرِقاً لو لم يمرض ... بنعاس جفونك لم يسهر
تَبْيَضُّ لهجرك عيناه ... حزناً ومدامعه تحمر
يا للعشاق لمفتونٍ ... بهوى رشأ أحوى أحور
إن يبدُ لذي طرب غنَّى ... أو لاح لذي نُسُكٍ كَبَّرْ
آمنت هوىً بنبوته ... وبعينيه سحر يؤثرْ
أصفيت الودَّ لذي مللٍ ... عيشي بقطيعته كدّرْ

يـا مَـنْ قـد آثـر هـجـراني ... وعـلـيَّ بـلـقـيـاه اسـتـأثـرْ
أقـسـمـتُ عـلـيـك بـمـا أولـتـ ... ـكَ النضرة من حسن المنظر
وبـوجـهـك إذ يـحـمـرُّ حيا ... وبـوجـه مـحـبـك إذ يَـصْـفَـرْ
وبـلـؤلـؤ مبسمك المنظوم ... ولـؤلـؤ دمـعـي إذ ينثر
إن تـتـركْ هـذا الـهـجـر فليـ ... ـسَ يليق بمثلي أن يُـهْـجَـر
فـاجـلُ الأقـداح بـصـرف الـرا ... حِ عـسـى الأفـراح بـهـا تُنْشر
واشـغـل يـمـنـاك بـصـبِّ الكا ... سِ وخـلِّ يـسـارك للمزهر
فـدمُ الـعـنـقـود ولـحـنُ العو ... دِ يعيد الـخـيـر وينـفـي الشر
بَـكِّـرْ لـلـسُـكْـرِ قبيل الفجـ ... ـرِ فصفو الـدهـر لـمـن بَـكَّـرْ
هـذا عـمـلـي فـاسـلـك سبلي ... إن كـنـت تُـقِـرُّ عـلـى المنكر
فـلـقـد أسـرفـت ومـا أسـلـفْـ ... ـتُ لـنـفـسـي مـا فـيـه عـذَرْ
سَـوَّدتُ صحيفة أعـمـالـي ... ووكـلـت الأمـر إلـى حـيـدر
هـو كـهـفـي مـن نـوب الـدنـيـا ... وشـفـيـعـي فـي يـوم المحشر
قـد تَـمَّـتْ لـي بـولايـتـه ... نـعـمٌ جَـمَّـتْ عـن أن تشكر
لأصـيـب بـهـا الـحـظّ الأوفـى ... وأخـصـص بالسهم الأوفـر
بـالـحـفـظ مـن الـنـار الكبرى ... والأمـن مـن الـفـزع الأكـبـر
هـل يمنعني وهـو الـسـاقـي ... أن أشـرب مـن حـوض الكوثر
أم يـطـردنـي عـن مـائـدة ... وُضِـعَـتْ للقانع والـمُـعْـتَـرْ

* * * * *

يـا مـن قـد أنـكـر مـن آيـا ... تِ أبـي حـسـنٍ مـا لا يُـنْـكَـرْ
إن كـنـت، لـجـهـلـك، بـالأيّـا ... مِ، جـحـدت مـقـام أبـي شُـبَّـرْ
فـاسـأل بـدراً واسـأل أُحُـداً ... وسـل الأحـزاب وسـل خيبر
مـن دبَّـر فـيـهـا الأمـر ومـن ... أردى الأبـطـال ومـن دَمَّـرْ

مـن هـدَّ حـصـون الـشـرك ومن ... شـــادَ الاســـلام ومـــن عَـمّـــرْ
مـــن قـــدَّمـــــه طـــه و عـلـى ... أهـــل الايـــمـــان لـــــه أَمَّـــرْ
قـاســوك أبـــا حـســنٍ بـسـوا ... كَ وهـل بالطود يـقـاس الـذر؟
أنّـــى ســـاووك بـمـــن نـاوو ... كَ وهـل ســاووا نـعـلَـيْ قنبر؟
وإذا ذكـــر الـمـعـروف فما ... لـــســواك بـــه شـــيء يُـــذْكَـــرْ
أفـعـالُ الـخـيـر إذا انـتـشـرت ... فـي الـنـاس فـأنـت لـهـا مصدر
أحـيـيـت الـديـن بـأبـيـض قد ... أودعـــت بـــه الـمـوت الأحـمـر
قـطـبـاً لـلـحـرب يـديـر الـضـر ... بَ ويجلو الـكـرب بـيـوم الكر

* * * * *

فـاصـدع بـالأمـر فـنـاصـرك الـ ... ـــبَـتَّـارُ وشـانـئـــك الأبـتـــر
لو لم تؤمر بالصبر وكظم الغيـ ... ـــظِ ولـيـتـــك لـــم تـؤمـــر
مـا آلَ الأمـــر إلـى التحكيـ ... ـــم وزايـــل مـوقـفـــه الأشـتـر
لـكـن أعـــراض الـعـاجـل مـا ... عـلـَقـت بـردائـك يـا جـوهر
أنـت الـمـهـتـمّ بحفظ الديـ ... ـــنِ وغـيـرك بـالـدنـيـا يغتر
أفـعـالـك مـا كـانـت فيها ... إلاّ ذكـــرى لـمـــن اذَّكَّـــر
حُـجـجـاً ألـزمـت بها الخصما ... وتـبـصـرةً لـمـــن استبصر
آيـــات جـلالـــك لا تحصى ... وصـفـات كمالـك لا تحصر
مـــن طـــوَّلَ فـيـك مـدائـحـــه ... عـــن أدنـــى واجـبـهـــا قـصَّـرْ
فـــاقـبـل يـا كـعـبـــة آمـالـي ... مـن هـدى مديحي مـا استيسر
مـن غـيـرك مـن يـدعـى للحر ... بِ ولـلـمـحـــراب وللمنبر

* * * * *

أسماء الليالي عند العرب

كانت العرب تسمي الثلاث الأولى من ليالي الشهر، فتقول: ثلاث غرر، والثلاث التي تليها ثلاث سَمَر، والثلاث التي تليها ثلاث زهر، والثلاث التي تليها ثلاث درر، والثلاث التي تليها ثلاث قمر، وثلاث بيض.

وتقول في النصف الثاني من الشهر في الثلاث الأول: ثلاث درع، وفي الثلاث التي تليها ثلاث ظلم، وفي الثلاث التي تليها ثلاث حناديس، وفي الثلاث التي تليها ثلاث دوارى، وفي الثلاث التي تليها ثلاث محاق.

وقيل في وجه آخر من الروايات: إنه يقال لليالي الشهر: ثلاث هلل، وثلاث قمر، وست نقل وثلاث بيض، وثلاث درع، وثلاث بهم، وست حناديس، وليلتان داريتان، وليلة محاق ■

مروج الذهب، المسعودي ٢/ ٢١٠

أسماء الهلال ولياليه عند العرب

إن العرب تسمي الهلال ليلة طلوعه هلالاً، وما لم يستدر فهو هلال، ثم تسميه قمراً إذا ما استدار، وإذا ما حجر وأضاء فهو قمير، ثم يستوي لثلاث عشرة منه، وهي ليلة السّوَاء، ثم ليلة البدر لأربع عشرة.

ويقال: غلامٌ بدر، إذا امتلأ شباباً قبل أن يحتلم، ويقال: عين حدرة بدرة، إذا كانت حديدة كعين الفرس، والليالي البيض ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة، والليالي الدُّرْع هي التي تسودُّ صدورها وتبيض سائرها، والمحاق إذا ما طلعت عليه الشمس، والسواد حين يستتر فيكون خلف الشمس، ويقال: قد حجر القمر، إذا استدار بخط رقيق من غير أن يغلظ، ويقال: أفتق القمر إذا أصابته فرجة من السحاب فخرج وأفتق علينا فأبصرنا الطريق، وكل سواد من الليل حِنْدِس، والليالي الزُّهْر الليالي البيض ■

مروج الذهب، المسعودي ٢/ ٢١٠

المحدث الجليل..
الأصبغ بن نباتة المجاشعي

مائة عام من العلم والجهاد

علي الفحام •

ينابيع

من موارد الضعف في التاريخ الإسلامي بشكل عام، والشيعي خصوصاً، الفقر المعلوماتي حول التراجم والسير لحياة المحدثين والرواة بحيث تكاد تنحصر في جوانب خاصة من حياتهم العلمية ودرجة وثاقتهم وطبقتهم وما شاكل، وباعتبار أن الراوي هو العدسة التي تنقل لنا أحداث التاريخ فمن النادر أن نجد عدسة أخرى تسلط الضوء على حياة هذا الراوي وتفاصيله ومتبنياته الفكرية وتوجهاته السياسية وأحواله الاجتماعية بما يرسم صورة متكاملة عن شخصية هذا الراوي أو ذاك، وبالتالي على المحققين

وأصحاب الأقلام النظر في زوايا التاريخ وبين سطوره لتلمس بصيص ضوء حول كتابة ترجمة وافية عن حياة هؤلاء العظام الذين أسدوا لنا وللإسلام خدمة لا يعرف قدرها إلا من يعرف أهمية الحديث الشريف في المنظومة الإسلامية.

وكجزء من الوفاء سنقف اليوم في جولة سريعة مع واحد من قدماء وكبار محدثي الشيعة وأحد المخلصين من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الأصبغ بن نباته المجاشعي الكوفي لنرى ملامح الولاء الشيعي التي جسدها الأصبغ في نحو قرن من الزمان.

الأصبغ .. النسب الوضاح

هو المحدث الجليل وصاحب أمير المؤمنين عليه السلام: الأصبغ بن نباتة بن الحارث، ولقبه ابن الشام، بن عمرو بن فاتك بن عامر بن مجاشع دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم (أنساب الأشراف ١٠٩/٤).

وعليه فقد اشتهر من ألقابه: التميمي، ثم الحنظلي، ثم الدارمي، ثم المجاشعي ـ بضم الميم ـ وأشهرها تردداً في المصادر الثاني والرابع بينما يندر أن يلقب بالدارمي.

وأخيراً فقد لقب بالكوفي نسبة إلى مدينة الكوفة التي شخصها مع أمير المؤمنين علي عليه السلام (ت٤٠هـ) عند اتخاذها عاصمة للخلافة الإسلامية وبقي فيها حتى توفي ودفن فيها على الأرجح.

كنيته أبو القاسم (الجرح والتعديل للرازي ٣١٩/٢)، ولولده القاسم رواية قليلة، ذكر البلاذري من إخوته (غسان بن نباتة) وليس لغسان ما لأخيه من الفضل والذكر. (أنساب الأشراف ٢١٣/٤) .

وفي معنى الأصبغ، بفتح الباء، ذكر الطريحي في مجمع البحرين ٢/٥٨٢: (والأصبغ من الخيل: الذي ابيضت ناصيته، أو ابيضت أطراف ذنبه. والأصبغ من الطير: ما ابيض ذنبه) ويقال في المؤنث: صبغاء.

أما (نُباتة) فهو بضم الباء على ما هو المشهور كما ضبطه الطريحي في مجمعه ٤/٢٦١، والزبيدي في تاج العروس ١٢/٣٨، وقال المزي (ت٧٤٢هـ) في تهذيب الكمال ٢٩/٣١١: (المحدثون يقولون بضم النون، وسمعت أبا بكر ابن الأنباري يقول: الأصبغ بن نباتة بفتح النون).

هو من الرواة المعروفين في خاصة أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وهو من ثقاته العشرة على ما رواه الكليني في كتابه (رسائل الأئمة)، روى أيضاً عن الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وعن مجموعة من الصحابة منهم: أبو ذر الغفاري، عبد الله بن عباس، أبو أيوب الأنصاري، سلمان الفارسي وغيرهم، أما من التابعين فقد روى عن: الحارث الأعور الهمداني وزادان الكوفي صاحبي أمير المؤمنين عليه السلام.

المراحل المميزة في حياة الأصبغ بن نُباتة

الأصبغ بن نباتة من المعمّرين الذين امتدت بهم الحياة ـ على ما نرجحه ـ أكثر من قرن من الزمان، ومثل هذه الحياة الطويلة والقاسية لا يمكن النظر إليها ودراستها على طولها دفعة واحدة مع تعدد الأشواط والمراحل التي قطعتها، ومع تنقلها بين بلاد مختلفة، ومعايشتها لحكومات شتى، فضلاً عن الشخصيات التي عاصرتها وتفاعلت معها.

أضف إلى ذلك كله أن طول العمر يقضي تنوع القدرات والتوجهات والقناعات الشخصية للفرد ووجود تحولات في حياته قد تشكل تطوراً ايجابياً باتجاه واحد أو تبدلاً بالاتجاه المعاكس.

وبالنسبة للأصبغ بن نباتة تبرز طبيعة علاقته مع أمير المؤمنين عليه السلام كأفضل عامل يمكن على أساسه تقسيم حياته إلى مراحل وأدوار مميزة بحيث تكون لكل مرحلة طبيعتها وظروفها ومميزاتها التي تختلف عن المراحل الأخرى.

يمثل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في حياة الأصبغ مركز الثقل لكل نقاط التأثير النفسي والروحي والعاطفي، فقد كان الأصبغ شغوفاً بسيده وإمامه منذ نعومة أظفاره يدفعه رسوخ العقيدة وتجذر الولاء في تركيبته السيكولوجية الرفيعة والمتميزة، ولم يغير الأصبغ اتجاه بوصلته مع كل ما مر على البلاد الإسلامية من تحولات وفتن وابتلاءات سقطت فيها كل الولائج وانكشفت فيها أقنعة الوجوه لتفصح عن معادن الرجال الكامنة في

قلوبها.

وعلى أساس ما ذكرنا فقد قسمنا حياة الأصبغ بن نباتة إلى ثلاث مراحل متميزة:

المرحلة الأولى: منذ ولادته حتى عام ٣٦هـ.

المرحلة الثانية: من عام ٣٦هـ ـ عام ٤٠هـ.

المرحلة الثالثة: من عام ٤٠هـ ـ حتى وفاته.

المرحلة الأولى: منذ ولادته ـ سنة ٣٦هـ

بدأت هذه المرحلة بولادة الأصبغ بن نباتة التي انطلقت معها حياته في هذه الدنيا الفانية مروراً بلقائه بأمير المؤمنين عليه السلام وملازمته له خلال المدة التي قضاها معتكفاً عن الحياة السياسية بعد أحداث السقيفة وما تلاها من وقائع مؤلمة، لتنتهي هذه المرحلة بتسلم أمير المؤمنين عليه السلام زمام الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان سنة ٣٦هـ إثر موجة من الاحتجاجات العاصفة التي عمت مناطق واسعة من الولايات الإسلامية نتيجة لتصاعد النقمة الشعبية على سياسات الخليفة الاستبدادية وتصرفات الحاشية وذوي السلطة والنفوذ وعلى رأسهم بنو أمية وآل مروان وآل أبي معيط.

لا يعرف على وجه التحديد تاريخ ولادة الأصبغ، ولا مكانها (و إن كان الأرجح أنه لم يكن بالمدينة أو مكة)، وكذلك لا يعرف تاريخ التقائه بأمير المؤمنين عليه السلام، ولكن بالإمكان لبعض الشواهد التاريخية أن ترسم ملامح التاريخ التقريبي لولادة محدثنا الجليل، فهو ـ على الأرجح ـ ولد قبل الهجرة ببضع سنين، ومما يؤيد ذلك:

أولاً: روايته عن أمير المؤمنين عليه السلام في بداية عهد أبي بكر بن أبي قحافة:

ومن أشهر تلك الروايات رواية الرجل الحضرموتي التي ذكرتها كتب العامة والخاصة:

روى ابن عساكر في تاريخه ١٣٨/٣٦، والحموي في معجم بلدانه ١١٦/١، ومن الخاصة رواها أبو الفتح الكراجكي (ت٤٤٩هـ) في كنز الفوائد ١٧٩: عن مرة بن عمر الأبلي، عن الأصبغ بن نباتة، قال: (إنا لجلوس عند علي بن أبي طالب ذات يوم في خلافة أبي بكر، إذ أقبل رجل من حضرموت...).

ولو افترضنا أن عمر الأصبغ في هذه الرواية كان بين (١٠-٢٠) سنة فهذا يعطي ترجيحاً كبيراً أن يكون الرجل قد ولد قبل الهجرة النبوية الشريفة لأن خلافة أبي بكر انتهت سنة ١٣هـ.

ثانياً: ما ورد في التاريخ أن الأصبغ بن نباتة كان في معركة صفين (٣٨هـ) شيخاً، أي قد تجاوز الأربعين من عمره، وهذا يعضد الترجيح الذي اخترناه لولادته قبل الهجرة.

المميزات العامة لهذه المرحلة

أولاً: قلة المرويات التاريخية حول الأصبغ وتفاصيل حياته وعلاقته مع الدولة والاصطفافات السياسية التي كانت قائمة.

ولكن الذي يظهر من بعض المرويات أن الأصبغ كان نافذ البصيرة في دينه، دخل في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام مباشرة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد تسلح في عقيدته بالحجة والبرهان وصفاء القلب ونقاء السريرة، ولم يدخل في العقيدة وراثة عن أب أو انحيازاً لعشيرة بل العكس

هو الصحيح، إذ لم يعرف التشيع في بني تميم إبان تلك الحقبة، ولم يكن التشيع قد اصطبغ بالصبغة القبلية أو المناطقية كما حصل في الحقب اللاحقة.

ثانياً: يظهر من المرويات أن الأصبغ كان شديد الملازمة لأمير المؤمنين عليه السلام من خلال حضور مجالسه كما قرأنا قبل قليل أو حتى التردد عليه في بيته، وقد ساهمت هذه الهمة العالية في صحبة أمير المؤمنين عليه السلام في صقل شخصية صلبة الإيمان سخرها الأصبغ في خدمة العقيدة الحقة والدفاع عنها ونشرها بين الناس، كما اكتسب الأصبغ خلال هذه الفترة نفساً أخلاقياً تربوياً منقطع النظير.

ثالثاً: روى الأصبغ جملة من قضاء أمير المؤمنين عليه السلام وأحكامه في زمن الخلفاء الثلاثة وخصوصاً أبا بكر وعمر، وقد كشفت هذه المرويات زيف الخلفاء المتسلطين على رقاب المسلمين وأوضحت للتاريخ جهلهم وعجزهم وأبرزت مظلومية أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام الذين أبعدوا عن قيادة الأمة وهدايتها قسراً. وللأصبغ كتاب باسم (أحكام أمير المؤمنين عليه السلام) سنذكره إن شاء عندما نأتي على ذكر مصنفاته.

رابعاً: وكنتيجة لشدة التصاقه بأمير المؤمنين عليه السلام ظل الأصبغ في هذه المرحلة بعيداً عن الحياة السياسية ودهاليزها، فقد اتخذ جانب الانعزال السلبي كما إمامه أمير المؤمنين عليه السلام فلم يسجل له التاريخ اشتراكه في الفتوحات العسكرية التي كانت قائمة على قدم وساق، ولم يتسلم أي منصب في إدارة الدولة أو الخدمة فيها لمصحة الخلفاء، كما لم تعرف مخالطته للخلفاء ولا حضور مجالسهم بل ولا حتى الرواية عنهم.

وفي الحقيقة فإن قلة نشاط الأصبغ في هذه المرحلة وقلة المرويات عنه يعزى إلى قلة نشاط أمير المؤمنين عليه السلام وانعزاله عن المشهد السياسي وبالنتيجة فقد عكس الأصبغ في هذه المرحلة حقيقة التشيع الصحيح والإتباع الأمثل للأئمة عليهم السلام، فللمؤمن إمام يأتم به وحسبه أن يقوم إن قام وأن يقعد إن قعد ولا يتكلفن من نفسه فيهلك ويهلك غيره.

خامساً: لم يشترك الأصبغ على ما يبدو في (فتنة مقتل عثمان) رغم انخراط عدد من الشيعة المخلصين في الاحتجاجات التي كانت قائمة ضد سياسات الخليفة التي نشرت الفقر والظلم والتمييز الطبقي وأججت الأحقاد بين القبائل والبيوتات الإسلامية.

المرحلة الثانية: من ٣٦ـ٤٠ هـ

جسدت هذه المرحلة بالنسبة للأصبغ بن نباتة العصر الذهبي حين تسلم أمير المؤمنين عليه السلام زمام الحكم ودفة القيادة الفعلية للأمة ليقود أول دولة للعدل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، واتسمت بيعة الناس لأمير المؤمنين عليه السلام باندفاع منقطع النظير افتقدته كل البيعات الثلاث التي تمت قبله، وقد عكس هذا المشهد حالة الإحباط واليأس الذي وصلته الأمة من الحكومات التي تعاقبت على حكم المدائن الإسلامية بسبب فشل الأخيرة في تحقيق العدل وتطبيق الأطروحة الإسلامية المتكاملة، كما أوضح هذا المشهد أن الأمة استعادت هامشاً من وعيها السياسي والديني الذي اكتوى بفتنة السقيفة وما تلاها من أحداث حرفت البوصلة الإسلامية بعيداً

عن منظومة الممانعة (كتاب الله وأهل البيت عليهم السلام) التي خلفها رسول الله صلى الله عليه وآله في أمته.

انتهت هذه المرحلة باستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٤٠هـ بتدبير وتنفيذ من حركة الخوارج التكفيرية وبمساعدة لوجستية قدمتها الشخصيات المعادية للشرعية التي كانت تملأ حواضر البلاد الإسلامية ولاسيما في مدينة الكوفة عاصمة الخلافة الإسلامية آنذاك.

وعلى الرغم من قصر المدة الزمنية لهذه المرحلة في حياة الأصبغ بن نباتة، فإن الباحث يمكن إن يعتبرها أكثر المراحل الزمنية غناءً من حيث المرويات التاريخية والحديثية التي ورثناها عن الأصبغ وشخصيته وتفاصيل حياته (محدثاً ومجاهداً)، فقد مثلت ذروة عمله الجهادي والروائي مع أهل البيت عليهم السلام، واختصرت في سنواتها الأربع شخصية الأصبغ بن نباتة المحدث الشيعي الصدوق، والمجاهد المخلص والتلميذ النجيب لأهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله، والأخ الناصح والسند المتين لإخوانه الشيعة، وفي الوقت نفسه الخصم اللدود والسعير الملتهب على النواصب ورموز التيار الانقلابي وأذنابهم.

وبشكل عام يمكن أن نجمل المميزات العامة لهذه المرحلة بالنقاط التالية:

أولاً: كشفت هذه المرحلة بشكل واضح مقدار الارتباط والالتصاق الوثيق للأصبغ بن نباتة بأمير المؤمنين عليه السلام فلم يتخلف عن ملازمته لا في حرب ولا في سلم.

اشترك الأصبغ بشكل فاعل في الجمل وصفين والنهروان وسطر فيها المفاخر التي تحدثت بها كتب السير ورواها أصحاب المغازي والتراجم، ولم يترك صحبة إمامه في صلاة أو سفر أو عبادة أو عمل قضائي أو جولة إدارية، بل حتى في آخر لحظاته كان الأصبغ هو الحاضر الأول في المشهد وله في ذلك روايات مشهورة (راجع: وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري ٤٠٦، مناقب الخوارزمي ٢٠٥، بحار الأنوار ٢٧٢/٣٢، أمالي المفيد ٣٥٢ وغيرها).

ثانياً: تسلم الأصبغ باعتباره واحداً من ثقات أمير المؤمنين عليه السلام مناصب مهمة في الدولة الإسلامية، على عكس ما كانت حاله في عهد الخلفاء الثلاثة، ومن أبرز ما يتحدث عنه التاريخ هنا وصول الأصبغ إلى منصب (رئيس شرطة الخميس) وهي الفرقة العسكرية الخاصة التي شكلها أمير المؤمنين من عناصر النخبة وأصحاب الإخلاص من شيعته.

ثالثاً: استقر الأصبغ بن نباتة في مدينة الكوفة واتخذها موطناً وسكناً بعد أن قصدها أمير المؤمنين عليه السلام وأعلنها عاصمة للدولة الإسلامية بعد انتهائه من حرب الجمل الطاحنة، وظلت الكوفة موطناً للأصبغ أكثر من ستة عقود ومن المرجح أن يكون قد دفن فيها أيضاً.

رابعاً: ظلت السمة البارزة والشغل الشاغل للأصبغ في هذه المرحلة جمع الأحكام والحكم الواردة على لسان أمير المؤمنين عليه السلام وصحابته المنتجبين، وتحمل أبو القاسم الأصبغ بن نباتة بكل شرف مسؤولية نقل هذا التراث الكبير إلى أجيال الشيعة بالرغم من حملات التوهين والتسقيط التي واجهها من الأجهزة الفكرية المرتبطة بالأنظمة المعادية لأهل البيت عليهم السلام.

المرحلة الثالثة: من ٤٠ هـ ـ وفاته

وهي أطول المراحل من حيث الفترة الزمنية، وقد شهدت تراجعاً في الحضور الشعبي والسياسي للأصبغ بحكم طبيعة التحول السياسي بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام وما تلاه من إرهاصات انتهت بتوقيع اتفاقية الهدنة بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان، وقد اعتبرت هذه الحقبة من أسوأ الحقب التي مرت بها الحالة الشيعية في العراق حيث مارست الدولة الأموية سياسة التصفية الطائفية ولاحقت رموز الشيعة وشخصياتها تحت كل حجر ومدر، ووفقاً للتأسيس الذي قدمناه فقد آثر الأصبغ الركون للهدوء وعدم المواجهة مع السلطة بعد توقيع الإمام الحسن اتفاقية الهدنة وبعد لزوم الإمام عليه السلام جانب العزلة السلبية عن الأحداث، وبالتالي عزز الأصبغ موقفه العقائدي بضرورة الإقتداء بإمامه وعدم التقدم أو التأخر عليه.

ومن الجوانب المهمة التي تذكر في هذا الحقبة موقف الأصبغ بن نباتة من خروج الإمام الحسين على يزيد بن معاوية، ولماذا لم يذكر اسمه ضمن أنصار الإمام الحسين عليه السلام؟ وفي الحقيقة نظراً لشحة المصادر التاريخية فإن الصورة غير واضحة إلا أن المؤكد أن الأصبغ ظل محافظاً على البوصلة نفسها في ما يخص ولاءه لأهل البيت عليهم السلام، ومما عثرتُ عليه في هذا المجال ما أورده المحدث الثقة السيد عبد الرزاق المقرم في كتابه (مقتل الحسين) ص١٥١ بقوله: (أمر (ابن زياد) صاحب شرطته الحصين بن تميم وحذره بالفتك أن أفلت مسلم وخرج من الكوفة... فقبض (الحصين) على عبد الأعلى بن يزيد الكلبي وعمارة بن صلخب الأزدي فحبسها ثم قتلهما وحبس جماعة فيهم الأصبغ بن نباتة والحارث الأعور الهمداني...) وهذا النص وإن لم نجده في الكتب التاريخية القديمة ولكن ـ اعتماداً على وثاقة المقرم في النقل ـ يمكن التأسيس عليه والقول أن الأصبغ باعتباره شخصية شيعية مميزة ومخضرمة فقد شمتله الأحكام العرفية التي أعلنها ابن زياد في الكوفة وظل حبيس السجن إبان وقعة الطف الأليمة، ليس على هذه النتيجة أي اعتراض تاريخي يذكر وهي تنسجم مع التوجه العقائدي المعروف للأصبغ.

لقد مثلت هذه الحقبة مرحلة النضج في التبليغ العقائدي والرسالي للأصبغ بن نباته، فقد طفق ينشر ما سمعه من أحكام وأحاديث وخطب من أمير المؤمنين وأهل بيته وصحابته المخلصين، وكانت الكوفة هي المسرح الرئيسي لروايته فقد بلغ عدد الرواة عنه وفق ما وصل إلينا من كتب التاريخ والحديث نحواً من أربعين راوياً، رووا عنه في مختلف أصناف العلوم كالأحكام الفقهية والعقائد والأخلاق والتفسير والتاريخ، ولقد كان لفضائل أهل البيت عليهم السلام النسبة الأكبر من مروياته الحديثة مما سبب في نقمة المدرسة الفكرية الأموية عليه فرماه وعاظ السلطة ومحدثو البلاط بالضعف والغلو لا لشيء إلا لتشيعه وانحرافه عن بني أمية، وهذه جملة من تلك التضعيفات الطائفية بحق هذا المحدث الجليل:

١ـ النسائي في (الضعفاء والمتروكون) ١٥٧: (الأصبغ بن نباتة متروك الحديث).

٢ـ العقيلي في ضعفائه ١٢٩/١: (أصبغ بن نباتة الحنظلي كوفي كان يقول بالرجعة...).

٣ـ الذهبي في ميزان الاعتدال ٢٧١/١:

(قال ابن معين: ليس بثقة. وقال مرة: ليس بشيء. وقال النسائي وابن حبان: متروك. وقال ابن عدي: بين الضعف. وقال أبو حاتم: ليس الحديث وقال ابن حبان: فتن بحب على، فأتى بالطامات، فاستحق من أجلها الترك...)!! وقال في المغني في الضعفاء ٩٣/١: (واه غال في تشيعه)!!

ولا ندري كيف أصبح حب علي عليه السلام - وهو من علامة المؤمن - سبباً للطعن في الراوي واستحقاقه الضعف والترك والوهن! أما أنها موازين علم الرجال الأموي العوراء؟!

٤- ابن حجر في تقريب التهذيب: ١٠٧/١: (أصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي الكوفي، يكنى أبا القاسم، متروك، رمي بالرفض، من الثالثة).

٥- المزي في تهذيب الكمال ٣٠٨/٣: (قال عباس الدوري، عن يحيى بن معين: قد رأى الشعبي رُشيداً الهجري، وحبة العرني، والأصبغ بن نُباتة. ليس يساوي هؤلاء كلُهم شيئاً،... وقال الدارقطني: منكر الحديث).

ولو أردنا الحقيقة فإن طعن هؤلاء من ذوي النزعة الأموية والأهواء الدنيوية في الأصبغ بن نباته لهو خير دليل على جلالة قدره ووثاقته وحسن عقيدته، لأن الأمور تعرف بأضدادها.

الرواة عن الأصبغ

كما أسلفنا فقد روى عن الأصبغ نحو من أربعين راوياً وكان أغلبهم من الكوفة والعديد منهم من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، ومن هؤلاء:

١- سعد بن طريف الحنظلي الإسكاف الكوفي (توفي بعد ١٤٨):

وقد روى غالبية روايات الأصبغ، وربما ورد في الروايات بعنوان (سعد الخفاف) أو (سعد الاسكاف) أو (سعد الاسكافي) أو (سعد بن طريف التميمي) أو (سعد بن طريف الكناني).

٢- علي بن حزور الكوفي الكناسي وقيل الغنوي (ت١٣٠).

٣- أبو اسحاق السبيعي (ت١٢٧).

هو عمرو بن عبد الله الهمداني الكوفي، ذكره الطوسي في أصحاب الإمام الحسن عليه السلام، وذكر الذهبي أنه ولد سنة ٣٤ وتوفي سنة ١٢٧ (سير أعلام النبلاء ٣٩٢/٥).

٤- محمد بن الجارود العبدي

٥- محمد بن داود العبدي أو الغنوي: أورد حديثه الكليني في الكافي ٢٨١/٢، ولا يبعد اتحاده مع السابق.

٦- محمد بن فرات: لعله ابن (فرات بن الأحنف) الآتي.

٧- رَزين بن حبيب بياع الأنماط: روى عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.

٨- أبو الجارود زياد بن المنذر (ت١٥٠)

زياد بن المنذر أبو الجارود الهمداني الخارفي، كوفي، كان من أصحاب أبي جعفر، وروى عن أبي عبد الله عليه السلام، وتغير لما خرج زيد رضي الله عنه.

(النجاشي ١٧٠).

وثقه السيد الخوئي في معجم رجاله (٣٣٥/٨) كما لم يستبعد أنه عاد عن زيديته للحق فمات صحيح المذهب، يروي أبو الجارود عن الأصبغ بن نباته تارة بشكل مباشر وتارة أخرى بواسطة بينهما كسعد بن طريف.

٩- الحارث بن المغيرة (توفي بعد ١٤٨هـ)

النَّصْريّ، من بني نصر بن معاوية، العالم الجليل أبو عليّ البصريّ، عاصر ثلاثة من الأئمة: الباقر والصادق والكاظم - عليهم السلام - وروى عنهم.

١٠- الحارث بن حصيرة (توفي بعد ١٤٠هـ)

الأَزديّ، أبو النعمان الكوفيّ، عُدّ من أصحاب الإمامين الباقر والصادق - عليهما السّلام -.

١١- أبو حمزة الثُّمالي (ت ١٥٠هـ)

ثابت بن أبي صفية دينار، أبو حمزة الثمالي الأزدي بالولاء، الكوفي، أخذ العلم عن الأئمة الأربعة: زين العابدين والباقر والصادق والكاظم عليهم السلام وروى عنهم، وكان منقطعاً إليهم مقرباً عندهم، روى عن الأصبغ مباشرة مجموعة من الروايات كما روى عنه بواسطة سعد الخفاف وأبي يحيى زكريا بن ميسرة.

١٢- مسمع (توفي بعد ١٤٨هـ)

ذكر له الشيخ الكليني رواية واحدة عن الأصبغ رواها عنه محمد بن مطرف (الكافي ٣١٧/٥)، ولم نظفر بتقريب دقيق لحقيقة هذا الراوي.

١٣- عبد الحميد الطائي (توفي بعد ١٧٠).

روى له الكليني رواية عن الأصبغ في باب الكذب (الكافي ٣٤٠/٢).

١٤- عبد الله بن جرير العبدي.

١٥- أبو مريم (توفي قبل ١٦٠هـ)

هو عبد الغفار بن القاسم بن قيس بن قهد الأنصاري، الكوفي، كان من ثقات أصحابنا جليل القدر واسع الحفظ، له رواية عن الأصبغ بن نباتة رواها الكليني في الكافي ٣١٨/٦، والبرقي في المحاسن بسندين (٤٣٨/٢ و٤٦٩/٢).

١٦- يحيى بن أبي الهيثم العطار

كوفي وثقه العامة، وردت روايته عن الأصبغ في السنن الكبرى للبيهقي ١٥١/٦، وفي مصنف ابن أبي شيبة ٢٨٦/٥ ولكن بعنوان (يحيى بن الهيثم العطار).

١٧- فرات بن أحنف

ويقال له أبو محمد الهلالي، روى عن الأئمة الطاهرين: السجاد والباقر والصادق عليهم السلام، رموه بالغلو قال بن حجر: كان (من غلاة الشيعة) لسان الميزان ٤٢٩/٤ ويظهر من ذلك أن وصفه بالغلو إنما جاء من قبل العامة فروايات الرجل مستقيمة ولا توحي بشيء من الغلو، قد يروي عن الأصبغ بواسطة سعد بن طريف (كمال الدين ٣٠٢)، ولعله أبا (محمد بن فرات) الرواي عن الأصبغ الذي تقدم.

١٨- محمد بن سالم

وفي الوسائل ٣٢٩/١٧: (محمد بن سلام) ولعله تصحيف.

١٩- خالد النوفلي

أورد روايته عن الأصبغ الكليني ٣٧٣/٧، ولم نعثر على ذكره في كتب التراجم.

٢٠- علي بن هارون العبدي

أورد روايته البرقي في المحاسن ٢٩١/١.

٢١- بريد العجلي (ت١٥٠ أو قبل ١٤٨).

هو أبو القاسم بريد بن معاوية العجلي، عربي، وجه من وجوه أصحابنا، روى عن الصادقين عليهما السلام، أورد الصدوق عليه الرحمة روايته عن الأصبغ في علل شرائع ٣٩/١.

٢٢- أبو الصّبّاح الكناني (توفي بعد ١٧٠هـ).

هو إبراهيم بن نُعيم العَبديّ وقيل الأزدي، من أصحاب الباقرين عليهما السلام.

أما روايته عن الأصبغ فقد أوردها الكليني في الكافي ١٥٧/٨.

٢٣- أبو يحيى زكريا بن ميسرة

ذكره الشيخ الطوسي في أصحاب الصادق عليه السلام، أورد روايته الكليني في الكافي ٦٢٧/٢ كما وردت روايته عن الأصبغ في تفسير (فرات بن إبراهيم الكوفي).

٢٤- أبو خالد الكابلي

من خواص أصحاب السجاد والباقر والصادق صلوات الله عليهم، أورد روايته عن (الأصبغ بن نباته) الشيخ المفيد في أماليه ص٣.

٢٥- عباية

لعله عباية بن ربعي الأسدي الكوفي،

أورد روايته الخزاز القمي في كفاية الأثر ٢٢٣، وأورد الخطيب البغدادي روايته بعنوان (عباية الأسدي) عن الأصبغ بن نباتة (تاريخ بغداد ١٢٣/١٣).

٢٦- محمد بن سعد

أورد روايته السيد ابن طاووس في اليقين ٤٨٩، وفي بعض النسخ (محمد بن سعيد).

٢٧- مبارك بن فضالة (ت١٦٥هـ).

هو أبو فضالة القرشي العدوي البصري الذي وثقه بعض العامة، أورد روايته الصدوق في خصاله ٢٢٨.

٢٨- فطر(ت١٥٣هـ).

ولعله (فطر بن خليفة أبو بكر الكوفي المخزومي) وثقه جملة من أعلام العامة وتركه آخرون لتشيعه! (سير أعلام النبلاء ٣٠/٧)، أورد روايته محمد بن سليمان الكوفي في مناقبه ١٦/٢، وابن سعد في طبقاته ٢٢٥/٦.

٢٩- مقاتل بن حيان (ت١٥٠هـ).

محدث سني معروف، أورد روايته الحاكم في مستدركه ٥٢٨/٢، وفي أمالي الطوسي ٣٧٧.

٣٠- جعفر بن برقان (ت١٥٤هـ).

وثقه العامة، ذكر حديثه عن الأصبغ، العجلوني في كشف الخفاء ٢٠/٢.

٣١- الكلبي (ت١٤٦هـ)

هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي المفسر قال عنه الذهبي: شيعي متروك الحديث! (سير أعلام النبلاء ٢٤٨/٦)، وردت روايته عن الأصبغ في مصنف الصنعاني ٥٧٤/٣.

٣٢- سلمة بن أنس

أورد حديثه السيد ابن طاووس في الملاحم والفتن ٢٨٨.

٣٣- الفضل بن الزبير

قال عنه ابن داود نقلاً عن الكشي إنه (ممدوح). (رجال ابن داود ١٥١)، أورد حديثه الحسن بن سليمان الحلي في مختصر بصائر الدرجات ٢٠٨.

٣٤- إبراهيم بن بشير الأنصاري

وفي بعض النسخ (إبراهيم بن شيبة الأنصاري)، أورد روايته محمد بن سليمان الكوفي في مناقبه ١١٦/٢.

٣٥- الصباح بن يحيى المزني

أورد روايته شرف الدين الحسيني في تأويل الآيات ٨٣٥/٢، ويظهر أن فيها إرسالاً لأنه اعتاد أن يروي عن الأصبغ بواسطة الحارث بن الحصيرة

٣٦- الحسين بن ثوير (توفي بعد سنة ١١٤هـ).

لم نجد له رواية عن الأصبغ في كتب الحديث، إلا أن النجاشي ص١٥٥ ذكر في ترجمة (خيبري بن علي) أنه روى عن الحسين بن ثوير عن الأصبغ.

٣٧- أبو العلاء الخفاف (توفي بعد سنة ١١٤هـ).

اشتهر بهذه الكنية (خالد بن طهمان الكوفي) روى عن الباقر والصادق عليهما السلام، وهو من العامة على ما ذكر النجاشي إلا أن الرازي في الجرح والتعديل ٣٣٧/٣ قال: (من عتق الشيعة محله الصدق)، أورد له الصفار في بصائره ص٧١ رواية جليلة تدعم القول بتشيعه عن محمد بن سنان، عنه، عن الأصبغ بن نباتة.

٣٨. ماهان الحنفي (ت٨٣هـ): أورد روايته الطبري في تاريخه ٥٥٨/٣، هو ماهان الحنفي، أبو سالم الكوفي الأعور، قتله الحجاج سنة ٨٣هـ.

٣٩- أبو البلاد: قيل اسمه يحيى بن أبي سليمان، كوفي من أصحاب الباقر

والصادق عليه السلام (رجال الطوسي ٣٢١) وثقه بعض العامة، أورد روايته النعماني في غيبته ٢٨٦.

٤٠ـ خالد النواء: أورد روايته ابن مُردويه في المناقب ١٦٣.

٤١ـ خلف النواء: أورد روايته السيد محسن الأمين في كتاب عجائب أحكام أمير المؤمنين عليه السلام ص١١٣، ولا يبعد اتحاده مع السابق.

٤٢ـ هاشم بن البريد: أبو علي الكوفي وثقه العامة ورموه بالتشيع، ذكر المزي في تهذيب الكمال (١٢٥/٣٠) أنه روى عن الأصبغ ولم نجد تلك الرواية في كتب الحديث.

٤٣ـ مرة بن عمرو الإيلي أو الإبلي: روى عنه رواية الرجل الحضرمي كما ذكرنا سابقاً.

٤٤ـ الوليد بن عبدة الكوفي: أورد روايته ابن أبي الدنيا في كتاب التواضع والخمول ١٣٣، قال عنه ابن حجر(مقبول من السادسة) تقريب التهذيب ٢٨ ٧/٢.

مصنفاته

١ـ كتاب مقتل الحسين: والظاهر أنه أول من كتب مقتل الحسين وكتابه أسبق كتب المقاتل (الذريعة ٢٣/٢٢)، ومع الأسف لم تصل إلينا روايات هذا الكتاب.

٢ـ أحكام أمير المؤمنين عليه السلام: وقد كانت نسخة منه موجودة عند السيد محسن الأمين رحمه الله، وقد ضم إليها روايات أخرى، وأخرجها باسم عجائب أحكام أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ـ عهد أمير المؤمنين لمالك بن الأشتر لما ولاه مصر، فإنه مروي من طريق الأصبغ.

٤ـ كان عند الأصبغ صحيفة من إملاء علي عليه السلام ففي كتاب الأربعين لمحمد طاهر القمي الشيرازي قال: في كتاب شرف النبي عن إبراهيم بن شيبة الأنصاري، قال: جلست إلى الأصبغ بن نباته، قال: ألا أقرئك ما أملاه علي بن أبي طالب، فأخرج إلي صحيفة، فإذا مكتوب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به محمد رسول الله صلى الله عليه وآله أهل بيته، فإن أهل بيته آخذون بحجزة نبيهم، وإن شيعتهم يأخذون بحجزهم من النار، فإنهم لن يدخلوكم نار ضلالة، ولن يخرجوكم من نور هدى.

وفاته

عده ابن حجر في الطبقة الثالثة (وهم الذين توفوا بعد المئة الأولى)، ورجح الشيخ أغا بزرك في الذريعة والسيد محمد رضا الجلالي (تدوين السنة النبوية ص١٠٠) أن الأصبغ توفي سنة (١٠٠) هجرية أو بعدها بقليل، وقال عنه النجاشي أنه (عَمّر بعد أمير المؤمنين عليه السلام)، ولا أستبعد أن تكون وفاته بين سنة ١٠٠ و١٠٩ هجرية لوجود قرائن عديدة من الرواة عنه حول بقائه في العقد الأول من القرن الثاني الهجري، ولا وجود لأثر عن قبره أو موضع دفنه والمرجح أنه توفي الكوفة ودفن في مقابرها.

هذا غيض من فيض من حياة هذا المحدث الكبير، وما لم نذكره أكثر، ولعل الله تعالى يوفقني أو أحد أخواني الباحثين لكتابة مصنف خاص يشتمل على تفاصيل حياته ورواياته، فإن فيها من العبرة والفائدة التاريخية والعقدية الشيء الكثير، والحمد لله رب العالمين ■

أعلام من كربلاء..
السيد عبد الوهاب آل وهاب
١٢٩١ ـ ١٣٢٢ هـ

سلمان هادي آل طعمة •

ينابيع

لا مـراء في القول أنَّ مدينة كربلاء هي محط أنظار رجـالات العالم، كانت ولا تزال تزخر بشـخصيات علميـة وأدبية فذة، ومـن يتطلع إلى تاريخ الحركة الأدبية فيها خلال القرن الماضي، يلمـس بوضـوح النشـاط الذي مارسـه شعراؤنا في مختلف الحقول الفكرية رغم ضيق الحياة الاجتماعيـة في ذلك العصر. ولعلّـي لا أكون مخطئـاً إن قلت إنَّ الأندية الأدبيـة يومـذاك تعج بأهـل الفكر، فهي التي سـاعدت على تكريم الشعراء وتنمية قابلياتهم الأدبية وتفجير طاقاتهم الخلابة، والأخذ بأيديهم نحو سـلم التطور الثقافي

والرقيّ.

ولما كانت كربلاء مصدر إشعاع فكري وملتقى التيارات الأدبية في العراق، فلا غرابة إذا ما رأينا العديد من الشعراء اللامعين الذين سخّروا أقلامهم للتعاليم الإسلامية السمحاء التي خط أسطرها الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام، أمير الفصاحة والبيان. وكان من بين هؤلاء الشعراء شاعرنا السيد عبد الوهاب آل الوهاب الذي برزت إبداعاته الأدبية في سن مبكرة، وظلت غرةً في جبين السنين، حتى كان من هؤلاء الشعراء المبدعين الموهوبين.

أسرته

هو السيد عبد الوهاب بن السيد علي بن السيد سلمان بن حسن بن محمد علي بن محمد بن حسين بن موسى بن أحمد بن محمد بن فخر الدين بن بدر الدين بن ناصر الدين بن محمد بن علي بن محمد بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف بن أبي المعالي محمد بن علي الحائري بن عبد الله الملقب بابن الديلمية بن محمد أبو الحارث بن علي بن أبي الطاهر عبد الله شيخ الطالبيين في بغداد بن محمد بن الحسن الأثرم بن طاهر أبو الطيب بن الحسين القطعي بن موسى أبي سبحة بن السيد إبراهيم المرتضى (الأصغر) بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

كانت أسرته تعرف قديماً بالسادة (آل سيد يوسف) وعرفت فيما بعد بالسادة آل الوهاب تيمناً بذكرى استشهاد اثنين من رجالها في حادثة الوهابيين الشهيرة سنة (١٢١٦هـ) تتصل ببني عمومتها (آل زحيك) التي تعرف اليوم بآل ثابت وآل النقيب. وهي غير السادة آل وهاب من آل طعمة علم الدين[1].

ولد شاعرنا السيد عبد الوهاب في كربلاء سنة (١٢٩١هـ)، ونشأ في بيت جمعت فيه أسباب الكرم والرئاسة والأدب.

وكان والده ـ السيد علي الرئيس ـ شخصية عالية المقام، ومثالاً للكرم والسخاء، يتمتع بشعبية كبيرة في المدينة، وكان مضيافاً، وتلك فطرته الطيبة في لطفه ومعروفه وأريحيته، وله ديوان يقبل عليه الخاص والعام من الناس.

جاء في كتاب (مدينة الحسين) ما هذا نصه: توفي السيد حسين الوهاب سنة (١٢٦٨هـ) وانتقلت زعامة هذه الأسرة إلى ابن أخيه السيد علي بن السيد سلمان الذي كان يلقب بالسيد علي الرئيس، فقد تقلد رئاسة بلدية كربلاء وعضوية مجلس إدارة اللواء ثم عضوية محكمة جزاء كربلاء، وبعد وفاته انتقلت زعامة العائلة ابن عمه السيد محمد بن السيد حسين السادن وكان من الشخصيات اللامعة ولعب دوراً

فعالاً في واقعة علي هولـه[٢]... الخ، وبعد وفاته تزعم الأسرة المرحوم السيد أحمد السـيد محمد الوهاب، وكان له ديوان في محلة باب الطاق يرتاده عليّة القوم.

١ـ السيد محمد موسى بن السيد محمد علـي ـ قتل داخـل الحرم الحسـيني يوم ١٧ذي الحجة سـنة ١٢١٦هـ وهـو إذ ذاك سادن الروضة الحسينية.

٢ـ السـيد حسين بن السيد محمد علي ـ وهو شـقيق السـيد محمد موسى المار ذكره، تولى سدانة الروضة الحسينية وقتل سـنة ١١٢٣هـ، وبقي سادناً إلى ما بعد سنة ١١٣١هـ، وللعالم الشـاعر السيد نصر الله الحائري قصيدة يهنئ السادن المذكور بعد رجوعه من الهند، ومطلعها:

لقد لاح صبح الفتح من مشرق النصير
فجلّى ظلام الهم في ساحة الصدر

٣ـ السـيد حسين بن السـيد حسن بن محمد علي ـ تولى سدانة الروضة العباسية سـنة ١٢٤٠هـ بعد عزل السـادن السـابق السـيد درويش آل ثابت، ثم عزل ليتولى في ٢٥جمادي الثانية سنة ١٢٥٤هـ وسدانة الروضة الحسينية، ثم تولي سدانة الروضة العباسـية في ٢٩ذي القعدة سـنة ١٢٥٩هـ حتى سنة ١٢٦٥هـ[٣].

ذكـره الشـيخ محمـد السـماوي في (الطليعة) فقال:

كان أبو هذا الفاضل من خَدَمة الروضة الحسـينية أباً فأباً، وكان ذا زعامة وشـأن عند الحكومة والأهالي، يتولى رئاسة البلد ويعاني بعض مطالـب الحكومة ويتولاها، وكان من ذوي اليسـار والنعمـة والأدب، فنشـأ ولده هذا في ظل نعمة وافرة، وفي ذكاء وقـاد، وفكـر نقاد، قـاده إلى طلب العلم والفضل والأدب، فناله بأيام قلائل، وتوفي أبوه سـنة ألف وثلاثمائة وعشـر، فبقي ولده على تلـك الحالة حتى نال ملكة فـي أغلب العلوم وشـارك بهـا وضم إلى تلك تقىً ونسـكاً، وديانة وعبادة، على أنه في خلال ذلك يترشح حياة ورقة وظرفاً، ويقطر بشاشـة، فـكان إذا نظـم الأبيات حسـنت صياغـة وصناعـة، وملحت رقة وبراعة[٤].

نشـأ السـيد عبـد الوهاب فـي بيئة محافظـة، ودرس العـروض والفقه على مشاهير علماء عصره كالسيد محمد باقر الحجة الطباطبائي والشـيخ علي اليزدي والشـيخ جعفر الهر، وكان ذكي الفؤاد، قوي الحجة، سريع الإجابة، اشتهر ببحثه ودراسـته لعلـم الكواكب وعلـم الجفر. وقـرض الشـعر ومهربـه وهو في سـن مبكـرة، وكان يعقـد المجالـس الخاصة فـي المباريات الشـعرية وذلك في غرفة الدرس بمدرسـة صدر الأعظـم النوري الكائنة عند باب السلطانية المشرفة على الصحن الحسيني من جهة الغرب. وممن كان يرتاد مجلسـه شـاعر الجهاد السيد محمـد سـعيد الحبوبي والشـيخ محمد السماوي قاضي كربلاء وسواهما. وتتلمذ عليه لفيف من أهل الفضل والأدب. ومن الصفـات التي تميز بها شـاعرنا أنه كان منطويـاً على نفسـه في بعـض الأحيان، وآثـر العزلة، ولهذا السـبب لم ينتشـر شـعره في الأوساط الاجتماعية، فلم نعد نسمع له خبراً ولم نقرا له أثراً.

ذكـره السـيد محسـن الأميـن فـي موسـوعته (أعيان الشـيعة) فقال السـيد عبد الوهاب بن علي بن سليمان الحسيني الزحيكي الحائري ولد سنة ١٢٩١هـ وتوفي فـي رمضان سـنة ١٣٢٢بالوبـاء في ضياع

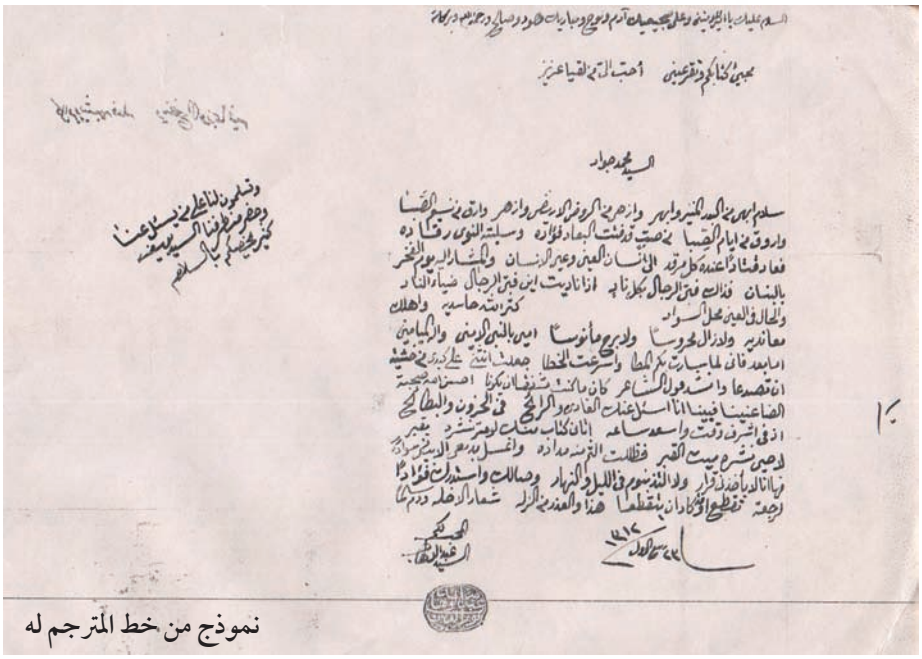

نموذج من خط المترجم له

لهم خارج كربلاء ودفن هناك ثم نقل إلى كربلاء ودفن في الرواق الشريف[٥].

حدثني السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة سادن الروضة الحسينية فقال: كان شاعراً فقيهاً ملازماً للسيد محمد باقر الطباطبائي، وله باع طويل في تتبع العلوم المختلفة لا سيما علم الجفر، وكان دؤوباً على المطالعة والبحث، ومن المشتغلين بالأدب والمتوفرين على دراسته والمنقطعين لاستظهاره، وهو من أصدقائي المقربين الذين أكنُّ لهم التقدير والاحترام.

وذكره الشيخ محمد السماوي في أرجوزته بقوله:

وكالفتى الوهاب للفضل الروي
ابن علي الرئيس الموسوي
شمس المعالي من بني الوهاب
وعليم العلوم والآداب
قضى وكم مشجية بندبه
فأرخوا (أرضاه حق ربه)[٦]

كان يقضي معظم أوقاته في إنشاد الشعر وقرضه، ويخرج إلى مراتع (الفراشة)[٧] حيث مروجها الخضراء ليشارك الطبيعة حسنها وجمالها وعطرها. كان حسن الأخلاق، لطيف الذات، لين الجانب، تميز بالنثر الفائق والنظم الرائق.

شعره

لقد أهمل معظم شعراء تلك الفترة تدوين قصائدهم ونشره بين الناس، ومنهم هذا الشاعر الذي لم يسع لكتابة شعره في ديوان مخطوط، ومع ما نشره من شعره في بطون الكتب والمجاميع الخطية، فإن الذي أوصل بأيدينا نتاج قيم يخلده تاريخ الأدب العربي في عراقنا العزيز، من حيث السلاسة والقوة والإبداع. فقد كتب

قصائد حباً وصدقاً وولاءً لأهل البيت عليهم السلام، قصائد مفعمة بالمعاني الجميلة، زاخرة بأرق العواطف الجياشة، تغنى بحب الحسين وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، وتصب جام غضبه على الأعداء، وقد جمع بين جزالة اللفظ وفخامة الأسلوب ورصانة التفكير وحسن الديباجة، وهذا ما يدلل على سعة تمكنه من معارف وما توفرت لديه من مواهب، ويعود إلى ما تحلى به من خلق فاضل وأفكار إنسانية عالية. ولذا نرى أن معظم خطبائنا يتلون قصائده في المآتم الحسينية. وإلى جانب قصائد الرثاء، له في الغزل والعتاب والمراسلة والهجاء أبيات وقصائد متناثرة.

قال راثياً سبط الرسول الأعظم الإمام الحسين بن علي عليهما السلام من قصيدة مطولة تلمس فيها لغة جيدة وصوراً متدفقة جميلة، وتؤكد صدق وجدية تعامل الشاعر مع هذا اللون من التعبير الوجداني في رثائه الحار:

خلت أربعٌ ممن تحب وأرسمُ
وأنت بها صبٌ مشوقٌ متيّمُ
أمهما جرى ذكر الغوير وحاجرٍ
بهت فلا سمع لديك ولا فم
ويومض من وادي تهامة بارق
ودمعك بوادي الصبابة متهم
سقى الوابل الوكاف أكناف حاجرٍ
وأومض ثغر البرق فيهن يبسم

ومنها قوله:

أرقت ولم ترق الدموع ولا خبت
بجنبي نار للجوى تتضرم[8]
وما أرقي اني أبيت متيّماً
كما بات بالغيد الحسان المتيّم
ذكرت السيوف الغر من آل هاشم
غدت بسيوف الهند وهي تهشم
وتلك الوجوه الغر بالطف أصبحت
يحطمها شعرك الوشيج المتلثّم
ولم يبق إلا السبط في الجمع مفرداً
ولا ناصرٌ إلاّ حسامٌ ولهذم[9]

ونستمع إلى الشاعر المغلق في أخرى فاطمية، وفيها تجربة أصيلة، ومعبرة عن متطلبات وحاجات المرحلة الراهنة التي عاشها، فيقول:

أأقنع بالخفض فعل الذليل
وأقعد عن نهضة السيّدِ
لئن أنا لم تعلُ بي همتي
فترقى على هامة الفرقد
لرحت إذاً وراء العقوق
من أم المعالي به أرتدي
ولست بوافٍ ذمام العلى
إذا خان قولي فعل اليد
أباحوا حمى الله في أرضه
وردوا الضلالة كما قد بدي[10]

وقال مخاطباً العلامة الشيخ محمد السماوي:

أحبابي ما حيلتي فيكم
ولست على هجركم صابرا
فكيف السبيل لسلوانكم
وقد عادَ لي عاذلي عاذرا[11]

وقد شطرها العلامة السماوي بقوله:

أحبابي ما حيلتي فيكم
لقد أعيت الحيلة الحائرا
ولست على وصلكم قادراً
ولست على هجركم صابرا
فكيف السبيل لسلوانكم
سلوت إذاً قلبي الطائرا
حناناً فقد قال لي لائمي
وقد عادَ لي عاذلي عاذرا[12]

والشاعر مرهف الحس، اكتوى قلبه بلفح الغرام ولواعج الشوق، وقد

صـوّر هيامه وأشـواقه في هذيـن البيتين الرائعين:

حمّلوني ما لم أطق من هواهم
ما كفاهم ما لم أطق حمّلوني
كلفوني كتم الهوى ولعمري
لعظيم عليّ ما كلفوني[١٣]

وقد خمسـها الشيخ حسـن بن الشيخ إسماعيل الخضري بقوله:

كم جبالٍ حملتها لرضاهم
وقيامي بثقلها ما كفاهم
ومذ الدهر بالبعاد رماهم
حملوني ما لم أطق من هواهم
ما كفاهم ما لم أطق حملوني
كيف يستطيع مغرم كتم سرٍّ
يحسب الصبر طعمه طعم صبرِ
فبنفسي أفدي الإلى يوم هجري
كلفوني كتم الهوى ولعمري
لعظيم عليّ ما كلفوني[١٤]

وقال مهنئاً السادة آل ثابت في عرس:

رشـأ من آل ثـابت
حبُّهُ في القـلب ثابت
وافر الحسـن فلا
ينعته في الحسن ناعت
صَنَمٌ صَوَّرَهُ الرّحمن
لا أيـدي النـواحت
مثلُ بدرٍ فوق غصنٍ
فوق حقف الرمـل نابت
سيدي أنت استـمع
شعـراً محباً غير ماقت
سيدي ماذا تـراني
نـاطق للدمع صـامت
قائمٌ ليـلي غـراماً
لا قيـام العبـد قانت
سيـدي أشمـتَّ بي
كلّ حسـوداً لي وشامت
سيدي قـد رقت لـي
كلّ عـدوٍ لي وماقت[١٥]

نموذج من رسائله

أتقن شاعرنا الصناعتين النظم والنثر، ويمكـن أن نقول نثره سـحر البيان ونظمه قطع الجمان، وقد جرت له مساجلات في ذلك مع أعـلام عصره، كمـا بودلت بينه وبينهم الرسـائل الضافية. وها نحن نثبت للقارئ نموذجاً من رسالة بعثها على العالم السـيد جواد[١٦] بن السيد هاشم الكيشوان الموسـوي المتوفى سـنة١٣٧٤هـ، ليطلع على أسـلوبه الرائع، وإليك نص الرسـالة وهي بخطه.

السيد علي والد المترجم له

وفـــاته

قال العلامة السماوي:

توفي السـيد عبد الوهاب لست بقين من رمضان سـنة ألف وثلاثمائـة واثنتين وعشـرين بالوبـاء فـي ضياع لهـم خارج كربـلاء، ودفن هنـاك، فلمـا بلغني ذلك وكنت في السـماوة كتبـت مخاطباً إخوته بلسان البرق:

يا بني الوهاب يا أهل العلى
العداد الجم والمال لغزير
أخرجوا الوهاب من مجثمه
فله يستصغر البرّ الكبير
وادفنـوهُ بثنيـا جـدّهِ
حيث ذاك التربِ مسك وعبير

فنقلوه مـن مكانه ودفنوه فـي الرواق الحسـيني عند قبر السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض، ولـي فيه مراث جميلة، ولغيري أيضاً فيه، رحمه الله تعالى[17] وجاء في كتاب (مدينة الحسين) الشاعر الأديب المرحوم السـيد عبد الوهاب الذي توفي من دون عقب في ضيعته القريبة من كربلاء ـ الفراشـية ـ سـنة ١٣٢٢هـ وحمل جثمانه باحتفال مهيب إلى كربلاء. وكان لنعيه رنة حزن وأسى في نفوس الكربلائيين وقتئذ[18].

وهكـذا عاجلـه المنـون فأخـذ جذوة الحياة فيـه وكذلك جذوة الفكر، فخسـر الأدب بوفاته شاعراً مجلياً كان من الممكن أن يمتد به العمر لسـنوات طويلة كي نقرأ له أثـراً أو ديوانـاً بين آثـاره ومصنفاته، والاطـلاع علـى ملكـة فنية جماليـة عالية يتحسسـها القارئ البصير من خلال جودة الاختيار، بيد أنَّ الرياح تجري بما لا تشتهي السفن. وعسانا نجد بعد ذلك من شعره ما يسـتوجب النشر كيما تشـكل إضافة طيبة إلى كتابات المؤرخين ■

---

(١) مدينة الحسين، محمد حسن الكليدار آل طعمة ج١ص٨٧، البيوتات العلوية في كربلاء، للسيد إبراهيم شمس الدين القزويني ج١ص١٠.
(٢) مدينة الحسين ٤/ ٢٠٢.
(٣) مدينـة الحسـين ١/ ٨٨، وعشـائر كربـلاء وأسرها، سلمان آل هادي آل طعمة ١/ ٢٤٧.
(٤) الطليعـة في شـعراء الشـيعة ـ للشـيخ محمد السماوي ج١ص٥٤١ و٥٤٢.
(٥) أعيان الشيعة ـ للسيد محسن الأمين ج٣٩ص١٨٦.
(٦) مجالـي اللطـف بأرض الطف ـ للشـيخ محمد السماوي ص٧٨.
(٧) الفراشـية ـ مقاطعـة تقع بالقـرب من(قنطرة البيضاء) في ناحية الحسينية، وتبعد عن كربلاء ٣ كم، وتمتد مسـاحتها حتى طريـق الهندية ـ طويريج ـ يرجع ملاكاتها للسادة آل وهاب.
(٨) نشـرت الأبيات (أرقت ولم تـرق الدموع ولا خبـت) إلى آخـر القصيدة في كتـاب (رياض المدح والرثاء) للمرحوم الشيخ حسين البلادي ص٣٧١ ولم ينسبها جامع الكتاب لقائلها السيد عبـد الوهاب آل وهاب، حيث قال: (ولبعضهم في رثاه عليه السلام) فليلاحظ.
(٩) أدب الطف أو شـعراء الحسـين ـ للسيد جواد شـبرج٢ص١٨٢، البيوتات الأدبية في كربلاء ـ موسى الكرباسي ص٥٥٨.
(١٠) أعيـان الشـيعة ج٣٩ص١٨٧ وأدب الطـف ج٨ص١٨٤، البيوتـات الأدبيـة فـي كربـلاء ص٥٥٨ و٥٥٩.
(١١) أدب الطف ج٨ص١٨٤.
(١٢) أدب الطف ج٨ص١٨٤.
(١٣) أعيان الشيعة ج٣٩ص١٨٦ وشعراء من كربلاء للسيد سلمان آل طعمة ج١ص٢٧٤.
(١٤) ماضـي النجـف وحاضرهـا ـ للشـيخ جعفر محبوبة ج٢ص٢٠٧ و٢٠٨.
(١٥) عشائر كربلاء وأسرها ج١ص٢٥٠.
(١٦) مشاهير المدفونين في كربلاء ـ للسيد سلمان هادي آل طعمةص٢٧.
١٧ـ الطليعة في شعراء الشيعة ج١ ص٥٤٤ و٥٥٥.
١٨ـ مدينة الحسين ج٤ص٢٠٤.

رسائل وخطب

عن هشام بن محمد، عن أبيه قال: لما قتل أمير المؤمنين عليه السلام رقى الحسن بن علي عليهما السلام المنبر فأراد الكلام فخنقته العبرة، فقعد ساعة ثم قام فقال: «الحمد لله الذي كان في أوليته وحدانياً في أزليته، متعظماً بإلهيته، متكبراً بكبريائه وجبروته، ابتدأ ما ابتدع، وأنشأ ما خلق، على غير مثال كان سبق مما خلق.

ربنا اللطيف بلطف ربوبيته، وبعلم خبره فتق، وبإحكام قدرته خلق جميع ما خلق، فلا مبدل لخلقه، ولا معير لصنعه، ولا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، ولا مستراح عن دعوته، خلق جميع ما خلق، ولا زوال لملكه، ولا انقطاع لمدته فوق كل شيء علا، ومن كل شيء دنا، فتجلى لخلقه من غير أن يكون يرى وهو بالمنظر الأعلى.

احتجب بنوره، وسما في علوه، فاستتر عن خلقه، وبعث إليهم شهيداً عليهم وبعث فيهم النبيين مبشرين ومنذرين، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيّ عن بينة، وليعقل العباد عن ربهم ما جهلوه، فيعرفوه بربوبيته بعدما أنكروه.

والحمد لله الذي أحسن الخلافة علينا أهل البيت، وعنده نحتسب عزانا في خير الآباء رسول الله صلى الله عليه وآله، وعند الله نحتسب عزانا في أمير المؤمنين، ولقد أصيب به الشرق والغرب، والله ما خلف درهماً ولا ديناراً إلا أربعمائة درهم، أراد أن يبتاع لأهله خادماً، ولقد حدثني حبيبي جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أن الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من أهل بيته وصفوته، ما منّا إلا مقتول أو مسموم».

بحار الأنوار ٤٣/ ٣٦٤

في ذمة الخلود..

الباحث الأستاذ كاظم الفتلاوي

١٣٨٠ ـ ١٤٣١ هـ

أسرة المجلة •

ينابيع

ونحن في أيام عاشوراء الحسين عليه السلام فجعنا بنبأ وفاة الباحث الأستاذ كاظم الفتلاوي الذي عرفته الناس باحثاً دائب النشاط، غزير الأفكار استطاع أن يعيد الذاكرة إلى الوراء ليستقرأ من جديد حياة ثلة من علمائنا الأعلام خصوصاً ممن انطوت صفحاتهم في سجل النسيان وظلت نتاجاتهم الأدبية والعلمية مصفدة في قيود الرفوف ورهينة في ظلمة الصناديق وكان رحمه الله شغوفاً بجمع أخبارهم مثابراً في تحصيل ما يمكن تحصيله عنهم حتى التحق بربه بعد صراع مرير مع الموت الذي اختطفه وهو بعد لم يبلغ الخمسين من العمر.

ولد كاظم بن عبود في النجف الأشرف في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٠هـ، المصادف ١٩٦٠م، كان يعمل مع والده صباحاً وعصراً يرتاد المجالس العلمية في النجف الأشرف وهكذا أصبح مهتماً بالتاريخ عموماً وبالتراجم والرجال والفهرسة خصوصاً، ومع ضنك المعيشة وقلة ذات اليد فقد تواصل مع ما أحبه، ولما رأى مقدرته قد نضجت، التحق بالسيد محمد حسن الطالقاني فاستفاد منه كثيراً، كما لازم السيد عبد الستار الحسني فحصل من كلتا الشخصيتين على ما كان يبتغيه من أساسيات بنى عليها نجاحه في كل ما كتبه.

ولما طبع كتابه الأول المنتخب من أعلام الفكر والأدب أصبح مقصداً للطلبة والباحثين الذين يهتمون بدراساتهم وأبحاثهم بتراجم الرجال وسيرهم فكان رحمه الله خير مرشد فيسارع لمد يد العون حتى اعترف له طلبة الماجستير والدكتوراه بالفضل في مقدمة رسائلهم.

بعد أن ترك كسبه الأول زاول نشاطه العلمي في قسم المخطوطات بمكتبة الإمام الحكيم قدس سره العامة، وفي هذه المكتبة تولدت فكرة إنشاء مؤسستنا مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية، فكانت هذه المكتبة الحاضنة الأولى للمؤسسة، ومع زوال النظام الغاشم كانت مؤسستنا قد بدأت بخطواتها الأولى وعندها ولدت مجلة ينابيع. فكان الفتلاوي ممن عضد هذه المجلة منذ بدايتها فاشترك بكتابة المقالات المتعلقة بالرجال وأصبح يدير باب (للفضيلة نجومها) إضافة لدوره في رفد باقي أبواب المجلة بالمقالات التي تأتيه عن طريق معارفه.

وكانت الخطوة الجديدة التي بادر بها الفتلاوي استدراكه على المرحوم الأستاذ علي الخاقاني صاحب موسوعة شعراء الغري فقدم للمكتبة العربية كتابه مستدرك شعراء الغري ثم أردف هذا الكتاب بآخر وهو معجم المحققين العراقيين الذي أحيا به جهود وأتعاب الكثير من المحققين الذين اشتغلوا في الظل وماتوا ولم يُعرف لهم من ذكر.

استمر عطاء الفتلاوي فحقق الإجازة الكبيرة للعلامة الحلي، وبعدها جمع الأنساب في كتاب أسماه اللآلئ المكتومة في الأنساب المنظومة، ثم خصّ الإمام علي عليه السلام بكتابه الرائع الكشاف المنتقى لفضائل علي المرتضى، ثم تتبع ذكر من دُفن في الروضة الحيدرية فجاء بكتاب مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف، الذي كان رحمه الله يجد ويجتهد لكي يطبعه مرة أخرى مع الإضافات التي حصل عليها وقال إنها تربو على عشرات التراجم ولكن المحذور حال دون ذلك.

كانت أنامل الفتلاوي مشغولة دوماً بالكتاب والقلم والورق والسكائر، يبحث ويدقق ثم يستنتج ويدون مبتعداً عن التكلف بسيطاً في المأكل والملبس زاهداً قانعاً فرحمه الله وجزاه عن أخوانه خيراً وحشره مع من تولاهم محمد وآل محمد عليهم السلام.

وقد أرخ وفاته رحمه الله السيد عبد الستار الحسيني:

أَوْدى الْحمامُ بـ (نابغ)
جَمِّ الْمَآثِرِ وَالْمَكارِمْ
في آلِ فَتْلَةَ بَيْتَهُ
سامِيْ الذُّرى، راسِيْ الدَّعائِمْ
نِقْريسِ[1] بَحَثٍ، نابِهٍ
وَمُحَقِّقٍ، في الرَّأيِ حازِمْ
مُتَتَبِّعٍ بِيَراعِهِ
أَحْيى مُهِمّاتِ (التَّراجِمْ)
(مُسْتَدْرِكٍ) مَنْ قَدْ مَضى
مِنْ شاعِرٍ فَذٍّ، وَناظِمْ
مِمَّنْ بِهِمْ بَلَدُ الْغَرِيْ
يِ تَعَطَّرَتْ مِنْهُ النَّسائِمْ
ما انْفَكَّ يَدْأَبُ في الْحيا
ةِ بِجَمْعِ آثارِ الأَعاظِمْ
وَيَخِيطُ بِالْمَخْطُوطِ وَالْـ
مَطْبُوعِ خُبْراً، شَأْنَ عالِمْ
خَدَمَ التُّراثَ بِعَزْمَةٍ
تَعْنُو لَها شُمُّ الْعَزائِمْ
حَتّى قَضى بِمُحَرَّمٍ
وَعَلَيْهِ أَدْمُعُنا سَواجِمْ
فَلِذا أَتى تَأْرِيخُهُ
(أَدمى الْعُيُونَ رَحِيلُ كاظِمْ)

(١) النقريس: الداهية والحاذق من الإدلاء يتيمة الدهر الثعالبي ١٨٩/٣.

صحف ومجلات
الناصرية
١٩٣٢ ـ ١٩٦٨ م

الشيخ حميد البغدادي •
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

مدينة الناصرية[١] حاضرة عراقية ثقافية ثرة العطاء على ما مرت به من الحرمان والتعسف الذي طالها وأهلها عل مر العصور السابقة، ونرصد هنا فترة مهمة من حياة الناصرية الثقافية تربو عل الثلاثين السنة، حاولنا فيها رصد أكثر الصحف على قلة المصادر فيها.

الصحف

١ـ صحيفة الأماني:
أدبية أسبوعية
صاحب امتيازها: فاضل جميل وعبد الغفار العاني.
رئيس التحرير: المحامي حكمت السبتي.
منحت الامتياز في ١١/أيلول/٥٩ ١٩م.
ألغي امتيازها في ٨/شباط/١٩٦٤م.

٢ـ صحيفة البهلول:
أول صحيفة صدرت في مدينة الناصرية، جريدة فنيَّة انتقادية هزلية.
صاحب الجريدة: محمد بن نمر القطيفي[٢].

(١) مدينة الناصرية ـ ليست بعيدة عن مدينة أور التاريخية ـ أسسها الوالي العثماني مدحت باشا وصممها المهندس البلجيكي جوليوس تلي julius Tilly في عام ١٨٦٩ م. سميت الناصرية نسبة لأول متصرف عين بها هو ناصر باشا السعدون، وغير أسمها إلى لواء المنتفق نسبة إلى العشائر المنتفقية التي تسكن المنطقة، ولكنها عادت ثانية لتسمي لواء الناصرية قبل أن يغير اسمها عام ١٩٦٩م لتسمى محافظة ذي قار . تقع في جنوب غرب العراق على نهر الفرات وهي مركز محافظة ذي قار.

(٢) ولد الأستاذ محمد بن حسن النمر بالعوامية بالقطيف عام ١٣٠٠هـ - ١٨٨٣م، لأسرة ميسورة الحال، ومن ذوات الأملاك، وكان جده الأول قد قدِم من منطقة الخرج (السلمية)، ويعود بنسبه إلى آل عفيصان. بعد وفاة والده تولى تربيته عمه الشيخ محمد الذي قام بإرساله إلى النجف الأشرف بالعراق لتلقي العلوم

مديرها المسؤول: عبد الجبار وصفي.
رئيس التحرير: كمال الدين داوود.
سكرتير التحرير: عبد القادر السياب[1].

ظهر عددها الأول يوم السبت ١٩ شوال ١٣٥٠هـ، الموافق ٢٧ شباط ١٩٣٢م.

احتجبت بعد مدة قصيرة من الزمن، ثم عادت للصدور حتى عام ١٩٣٩م،

توجد في مكتبة المتحف العراقي من مجموعة سنة ١٩٣٢م العدد الثامن.

العدد ١١ السنة الأولى

البطحاء

الفهرس

٢٢٣ مستوى الكفاية في الميزانية المكوس ... الدكتور عبدالحميد عباس
٢٢٥ معرض الدنيا « ابيات » ... ... عبدالأمير الوائلي
٢٢٦ مخبرية ملة حسين من عقول قرائه ... الدكتور محمد مهدي البصير
٢٢٨ اور الكلدانيين ... ... ترجمة محمد حسن العماض وعبدالله البياتي
٢٣٠ وصف الطبيعة في شعر ترسن ... ... عبدالكريم زيارة
٢٣١ تحرير مثالية وطنية ... ... عبداللطيف شرارة
٢٣٢ سر السعادة ... ... ترجمة حسين علي
٢٣٣ الديمقراطية ... ... ترجمة عبدالجليل علي الطاهر
٢٣٩ خجل ... ... ترجمة رزوق فرج رزوق
٢٣٧ ادباء الشباب (تحبب محفوظ) ... ... ها كو خصباك
٢٣٨ لقاء مظلم ... ... ميجي العماد
٢٣٩ مؤاخذات على مؤلفات ... ... م.
٢٤١ كلمة عليه الركي ... ... حمدي ابراهيم

٣ـ صحيفة البطحاء:

أصدرها الباحث والمؤرخ المحامي شاكر الغرباوي[2]. صدرت عام ١٩٤٦.

نشرت المجلة لأسماء بارزة من الكتاب والشعراء العراقيين مثل د.محمد مهدي

الدينية، فانكب على التحصيل الأولي للمقدمات كما هو متعارف عليه بالحوزة العلمية بجدٍّ ومثابرة. لاحقه الإنكليز إثر فشل ثورة العشرين ١٩٢٠م لمشاركته ضدهم بقصائده، وكتاباته المحرضة؛ فلجأ إلى حي (القطافي) وهو حي كبير يقطنه أكثر من عشرين ألف نسمة في محافظة ذي قار - وجلهم من النازحين من منطقة القطيف، وبقي في حمايتهم حتى صدور العفو العام.

توفي في مقر إقامته بالكاظمية -بغداد- عام ١٣٩٧هـ، ودفن في النجف الأشرف.

(١) عبد القادر عبد الجبار مرزوق السياب صحفي وسياسي عم الشاعر المعروف، من مواليد جيكور، انتخب نائباً عن البصرة في الدورة التاسعة للمجلس النيابي ١٩٣٩ م - ١٩٤٣م. أسرة آل السياب اسرة بصرية خصيبية، نسبة إلى أبي الخصيب، تعود في أصولها إلى عشيرة ربيعة التي استوطنت الكوت، وان سياب المرزوق الذي تلقبت الأسرة باسمه هو احد امراء ربيعة، قدم وأهله إلى البصرة، فنزلوا مؤقتاً في قرية السبيليات في أبي الخصيب، ومن ثم استقروا في ارض منخفضة من القضاء تسمى (بقيع)، وهي في الأصل ثلاث قرى متداخلة جيكور، وموت بازل، وبقيع.

شاكر الغرباوي

(٢) شاعر وأديب ومؤرخ ساهم بتأسيس جامعة ذي قار رئيس بلدية الناصرية وباقتراح منه أطلق اسم السيد محمد سعيد الحبوبي على (عكد الهوا) هذا الشارع العتيد الذي أحب الناصرية وأحبته. أرخ تاريخ مدينة الناصرية كتابه الموسوم بعنوان: (الناصرية في التاريخ - صفحا ت من الماضي القريب والبعيد) وهو جهد لأكثر من ستين سنة، تناول فيه كل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية وأحوال المدينة ارشفه في أجزاء خمسة ....فقدت الأجزاء الخمسة في بغداد وزارة الثقافة... وكان السبب (دعوة) لطبعه على نفقة الوزارة بعد رحيل المؤرخ رحمه الله) وبدعم من محافظة ذي قار آنذاك... فقدت من الوزارة بعد ٢٠٠٣/٤/٩.

البصيـر ود.علي جواد الطاهـر ود.عاتكة الخزرجي وغيرهم.

صدر منها ستة عشر عددا وتوقفت.

٤ـ جريدة صوت المنتفك:

جريـدة أدبية أسـبوعية صـدرت في الناصرية فترة قصيرة و بصورة متقطعة.

صاحبها: فاضل جميل.

تولى رئاسة تحريرها كل من: مال الله عبـد الـرزاق، حكمت السـبتي، و محمد السبتي. منحت الامتياز في ٣ آيار ١٩٥٥.

وبعد أربعة أشهر توقفت عن الصدور.

توجد أعداد منها في: مكتبة وزارة الإعلام.

٥ـ جريدة اللواء:

جريدة يومية سياسية[١].

صاحبهـا: عبد الغفار خضر العاني (أبو وجدي).

رئيـس تحريرهـا: عـادل عبـد الغني ومحسن الملا عبود السعدي.

صدرت في الناصرية سنة ١٩٤٦ وألغي امتيازهـا فـي ١٧ / ١٢ / ١٩٥٤ ثـم أعيـد صدورهـا و منحت الامتياز فـي ١٣ / ٣ / ١٩٦٣[٢].

توجد أعـداد منها في: المكتبة الوطنية وفي مكتبة المتحف.

٦ـ صحيفة لواء المنتفك:

أصـدر عبد الغفار العانـي، التي أبدل

المنتفك
(١٤١)
جريدة ادبية علمية اجتماعية اخبارية
تصدر في الاسبوع مرة
الزعيم الذي سمى ويسمى دائما
لانقاذ الأمة يعلن الحرب الى نفوس الشعب
قواعد الن عامة

اسمها فيما بعد بالأماني.

٧ـ جريدة المنتفك :

جريدة أدبية انتقادية أسبوعية. صدرت في الناصرية في بداية ١٩٣٨[٣].

صاحبها ورئيس تحريها: لفته مراد[٤].

مديرهـا المسـؤول: المحامـي يحيى نزهت.

استمرت على الصدور فترة طويلة.

المجلات

٨ـ مجلة التضامن الإسلامي:

مجلة شـهرية دينية منحت الامتياز في مدينة الناصرية في ٣ حزيران ١٩٦٤.

---

(١) وقيل أسبوعية غير سياسية (معجم المطبوعات النجفية- محمد هادي الاميني).

(٢) كانـت تطبـع في مطبعة الغري الحديثـة ١٩٦٥ / ١٣٨٥ وأوراقها من الحجم الكبير ٨ صفحات. (معجم المطبوعات النجفية - محمد هادي الأميني).

(٣) قيل إنها أول صحيفة صدرت في ذي قار، وقد تقدم ان البهلول هي الأولى.

(٤) والد الشاعر قيس لفتة مراد.

أصدرتهـا: جمعيـة التضامـن الإسلامي تعنى بنشر الفكر الإسلامي.

رئيـس تحريرهـا: محمـد باقـر الناصري[1].

اسـتمرت إلى نهاية عـام ١٩٦٨ ثم منعت من الصدور عند مجيء البعث.

توجد أعداد منها في: مكتبة المتحف العراقي.

٩ـ مجلة الناصرية:

مجلة تربوية، صدرت في أواسط الستينات.

رئيس تحريرها الكاتب عزيز السيد جاسم[2].

وتوقفت لعدة أعداد .. ■

---

(١) ولد الشـيخ محمـد باقر الناصري عام ١٩٣١ في مدينة الناصرية (ذي قـار) وتعلم الابتدائية في بلده ثم درس مقدمات الدروس الحوزوية على والده المقدس الشـيخ عباس الناصري (الخويبراوي) ثم انتقل إلى النجف الاشـرف عام ١٩٤٦ واستقر في المدرسـة الايروانية وأكمل المقدمات على الشيخ جعفر آل راضي والشيخ علي البحريني والشيخ عبد الله الشرقي كما درس أبحاث السطوح على يدي الشيخ محمد تقي الجواهري والسيد عبد الكريم الكشميري والسيد جمال الهاشمي ثم انتقل الى بحث الخارج في الفقه والأصول على السيد الخوئي وفي عام ١٩٦٦ التحق بدرس الخارج في الفقه والأصول أيضا للسيد الصدر قدس سره. وبعد وفاة والده عام ١٩٦٧ ألح عليه المؤمنون بالرجوع إلى الناصرية ومتابعة الشـؤون الدينية في البلد خلفا لوالده فاسـتجاب للطلب وانتقل إلى بلده ولكنه كان يتردد على الحوزة ويلبث فيها فترات متقطعة ويتابع الدروس.

ترك العراق بعد المطاردة والملاحقة في ١٩٧٩/٦/٨ وتوجه إلى الشـام ثم إلى قم المقدسـة وانخرط في العمل السياسـي الإسـلامي ثم انتقل عام ١٩٩٥ إلى لندن ورجع إلى العراق بعد ٢٥ سـنة على اثر سقوط صدام، له مؤلفات منها مختصر مجمع البيان.

(٢) مفكـر وأديب وناقد، ولد في مدينة الناصرية عام ١٩٤١ ترأس تحرير العديد من المطبوعات الصحفية وله مؤلفات عديدة منها: (الاغتراب في شـعر وحياة الشـريف الرضي والتطور الرأسـمالي حقيقة أم وهـم؟ واللاثوري ومتصوفة بغداد ومحمد الحقيقة العظمى وعلي بن أبي طالب سـلطة الحق) والذي دفع حياته ثمناً له. اعتقل من قبل الأجهزة الصدامية عام ١٩٩١ ومنذ ذلك الحين وحتى سـقوط النظام المبـاد لم يعرف أي شـيء عنه، وعن أسـباب ومكان اعتقاله، ولم توجه إليه أيـة تهمة، ولم يقدم إلى محاكمـة، والظاهـر انه قد عذب واعـدم من دون محاكمة، وكمـا غيب بعد اعتقالـه، فإنه غيب بعد إعدامه، ولم يترك النظام أي شيء يدل عليه حياً أو ميتاً.

قراءة في كتاب..

تاريخ العرب في الإسلام

للدكتور جواد علي

د. نصير الكعبي •

ظهرت في بغداد سنة (١٩٦١) الطبعة الأولى لكتاب جديد للدكتور جواد علي حمل عنوان (تاريخ العرب في الإسلام): السيرة النبوية[١] وعلى الرغم من حجمه المتوسط والبالغ (١٩١) صفحة إلا أنه كان يمثل في فكرته ومخططه العام مشروعا موسوعيا هاما عبر عن مراده ومحتواه بالقول: هذا الكتاب في تاريخ العرب في الإسلام جعلته صلة وتكملة لكتابي: تاريخ العرب قبل الإسلام، وهو مثله في أجزاء سيتوقف عددها على الزمان الذي ستقف ضربات قلبي عنده، وعلى البحوث التي سأتطرق إليها[٢].

لعل العبارة المتقدمة تكشف عن أن نوايا انجاز تاريخ مفصل للعرب والإسلام كان حاضرا منذ انتهاء مرحلة الدكتوراه، لكن يبدو أن الميل نحو انجاز بعض المقدمات الضرورية كانت عاملاً في تأجيل الشروع الكامل[٣]، فكان بحث الموارد مقدمة لاستيعاب القنوات المشكلة للرواية التاريخية العربية، غير أن المقدمة الأهم والأكثر تفصيلاً ظهرت في دراسة تاريخ العرب قبل الإسلام[٤]، وتطور هذا بمشروع في مرحلة لاحقة حمل عنوان (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) بعشرة

أجـزاء[٥]، وهـذا يلمح إلى أن الاسـتيعاب للتاريخ الإسلامي وتركيبته المعقدة، لا تتم دون معرفة الأصل التاريخي للظواهر الأولى قبل تشكلها، فالمقارنة بين السابق واللاحق للإسـلام هي التي تظهر منحنيات التاريخ الإسـلامي ومتغيراته الجديدة في النسـيج العربي، وكأنما بذلك حركة مشروعة تأخذ طابعاً هيكلياً متسلسلاً مثلت حقبة العرب قبل الإسلام أحد سلاسله الرئيسة، إذ استغرق فيـه طويلاً من أجل فحص عناصره الدقيقة ثم الانتقال المباشـر للخوض فـي التاريخ الإسلامي (لذا سـأدخل في موضوع عصر النبوة رأسـا، دون مقدمة ولا تمهيد...)[٦] أو ما جاء في موضوع آخر من الكتاب (إن هذا الكتاب بأجزائه هو اسـتمرار وصلة لأجزاء كتابـي تاريخ العـرب قبل الإسـلام، واني لذلـك اكتفيت بما ذكرت فيه عن إعادته في هذا الكتاب، فمن أراد التوسـع والتبسط، فعليه الرجوع إلى هذا الكتاب...)[٧].

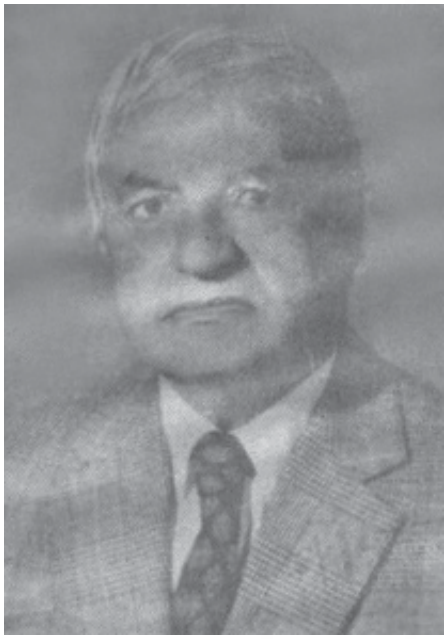

هذه العبـارات ومثيلاتها تحيل من دون شك إلى أن المشروعين مترابطين متصلين مـن حيث فكرتهمـا الأولـى، وان أحدهما يمثل القاعدة للآخـر، فمن دون إتمام أحد الأطراف، قد لا يستقيم العمل ويأخذ جديته المرجوة منه.

لكن الذي يؤسف له كثيراً انه لم يصل إلينا غير الجزء الأول أو بالأحرى المقدمة لذلك المشـروع الكبيـر، وبذلك تثـار احتمالات متعددة في عدم انجازه أو إتمامه، أو انه قد أنجز وظـل مخطوطاً غير الجـزء الأول أو بالأحرى المقدمة لذلك المشروع الكبير، أو انه قد أنجز وظـل مخطوطا حبيس الورثة، ورفوف المكتبات الخاصة، وربما يكون قد تعـرض للضياع ومن يـدري لعله يأتي اليوم الذي يخرج فيه هـذا العمل كاملاً مطبوعاً، يضيف في طريقته وتناوله أسلوب آخر في دراسة التاريخ الإسلامي!

وعلـى الرغـم مـن عـدم توافـر غير المقدمـة التفصيليـة لكتـاب المفصل في تاريخ العرب في الإسلام، إن صح توصيف بهذا العنـوان فإنها تبقى فـي غاية الأهمية لإفصاحهـا عـن المطالب المـراد تدوينها والطريقة المفترض اقتفائها، فجاء الكتاب على قسـمين رئيسيين: الأول عرض للمنهج والأسـاليب القويمة الواجـب على المؤرخ تطبيقها في دراسـة التاريخ الإسلامي فيما عالـج الثانـي بعـض المطالـب المختصة بالسيرة النبوية وتفاصيلها[٨].

وفي الإمكان تشـخيص ثلاث مستويات رئيسة للكتاب اختص بها في دراسته للتاريخ الإسلامي، فالمستوى الأول خاص بالمنهج والطريقـة التـي فضلها جواد علي وفسـر على ضوئها نصوص التاريخ الإسلامي، أما المستوى الثاني فسعى إلى معرفة المحتوى

أو الوعاء العام الجامع لهذا الكتاب ومحاوره، فيما اختص المستوى الثالث لكشف عن الرؤية أو النظرية التي بلورها عبر عمليات التناول تلك.

فعلى مستوى المنهج حوى الكتاب في شطره الأكبر جنبه منهجية تعليمية، حاول فيها استيضاح المنهج الأمثل الواجب إتباعه في دراسة التاريخ الإسلامي، وربما عنوان الفصل الأول يركز كثيراً على تلك الفكرة ويجعلها من عناصر الدراسة الرئيسة فقد عنونه بالعبارة الآتية (خطورة تاريخ الإسلام وكيفية تدوينه)[٩]، تنطوي هذه المقولة في تفصيلاتها والمعنى المرتجى منها على الإمكانية التي من الواجب توفرها في (المؤرخ) والباحث في التاريخ الإسلامي، وتكمن الأولوية في هذا المحور بحسب رؤية جواد علي في القدرة التي يمتلكها ممتهن هذا الصنف من الكتابة في التميز أو الفصل بين (الأصول والفروع) أو بين السابق واللاحق أو بين الجوهر والقشر، فالإشكالية الأولى التي تواجه باحث التاريخ الإسلامي تتمثل بالصور المموهة وغير المعبرة بدقة عن واقعها التاريخي المنبلجة منه، فالتحوير أو التمويه الذي تعرضت له تلك الأصول بفعل فاعل كانت مجمل البناءات اللاحقة مستندة عليه لكنها واقعة بفخ تلك المغالطة ويستشهد من أجل البرهنة على ذلك بمجموعة من الأمثلة الحية الشاخصة في التاريخ الإسلامي إلى أن يقر عبرها إلى النتيجة المنهجية القائلة (بأن دراسة تاريخ الإسلام دراسة تحليلية تستند إلى النقد والتبصر وعمل الفكر والروية، توصلنا ولا جرم إلى نتائج قيمة مثمرة، تكفل لنا التفريق بين الأصول والفروع وبين الإسلام الصرف وما لحق به من لواحق على مر الأيام)[١٠].

ولتحقيق ذلك المبدأ يؤسس له مقدمة مصدرية، يثبت فيها جملة معطيات ويعيد التعاطي مع بعض المقولات المتداولة، فيدحض فكرة فقر التدوين التاريخي في العصور الإسلامية المبكرة، وشروعه في العصر العباسي حصرياً، بل انه يوسع مديات مصادر دراسة التاريخ الإسلامي إلى توظيف المصادر الأجنبية (الكلاسيكية، السريانية، الأرمنية) ويجعل منها مقابل أو موازي، يهيئ الظروف الموضوعية للمقارنة والمقاربة[١١].

ولا يتواني جواد علي في الإفصاح بصراحة عن تبيان نوع المنهج المتبع في دراسته للتاريخ الإسلامي والذي يبدو انه امتداد واستمرارية لمنهجه في تاريخ العرب قبل الإسلام (وبعد فإن طريقتي في هذا الكتاب هي طريقتي نفسها التي أتبعتها في تاريخ العرب قبل الإسلام: رسم الماضي كما رسخ في ذهني، واستقر في فهمي... من غير زيادة عليه أو نقصان عليه وتجنب شديد من إبداء الآراء الشخصية، وعرضه من غير تحزب أو تعصب، أو إبداء رأي وحكم تاركاً أمر الأحكام إلى القراء، يكونون آراءهم كما يريدون ويشتهون وعلى النحو الذي توصل إليه اجتهادهم من قراءتهم للموضوع)[١٢].

ربما تحشر هذه الطريقة جواد علي وتضمه إلى أصحاب المدرسة الفولولوجية التي تعنى أساسا في تحقيق المادة التاريخية واستحضارها وتركيبها في صورة متوائمة تحشد جل المعلومات المرتبطة بالحدث التاريخي، فالهم الرئيس ينزوي نحو الاستيعاب المعلوماتي وتقديم مادة تاريخية مغربلة شبه متكاملة عن الماضي وحوادثه دون الإلحاح كثيراً في التعامل مع النص وطبقاته أو محاولة تأويله أو تفسيره.

ويبقى المستوى المعني بالمحتوى العام لدراسة تاريخ العرب في الإسلام مشوب بالنقص، وعدم الاكتمال مما يلقي ذلك بضلاله على معرفة الوعاء الحقيقي له، إلا انه وقياسا على المقارنة التي أقامها جواد علي مع كتابه المنجز (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) في انه سيكون مناظرا له من حيث الحجم والطريقة والمطالب، فانه يمكن التخمين ان أجزاءه ستكون منظمة على الموضوعات الرئيسة مثل (التاريخ السياسي، التاريخ الاجتماعي، التاريخ الديني، التاريخ الاقتصادي، التاريخ الأدبي والفكري) فضلاً عن المقدمة المصدرية والسيرة النبوية الواصلة إلينا والتي يظهر أنها لم تكتمل بعد، إذ ختمها بالسؤال الآتي: (كيف أبلغ الرسول قومه رسالة الله إليه، فهذا ما ستراه الفصول التالية من هذا الكتاب)[١٣].

والرؤية الجوهرية التي يضمرها المستوى الثالث والتي تتوارى في الكتاب وتظهر للسطح أحياناً، كامنة في السمة الإحيائية للواقع الإسلامي المعاصر ومشاكله المتعاقبة والمتراكمة في الآن نفسه، فتمثل من وجهة نظر جواد علي دراسة التاريخ والوقوف على علله الرئيسة المؤدية للازدهار والنكوص، فمن الوظائف التي يحرص الكتاب على إيصالها هو الربط بين الواقع المعاش ومشاكله وبين الماضي وأسباب تشكله، فهذه الوظيفة التاريخية ظلت مؤرقة للكاتب بما يمور به عصره، من مشاكل واقعية، فبحسب رؤيته ان التجارب والمخاضات الإسلامية في القرن السابع الميلادي وما أعقبه لها صلة ورابطة قوية بالمعضلات الإسلامية المعاصرة، فبعد أن يشخص أن العالم الإسلامي يعمه (اليوم جمود وركود في العقل، وفي الجسم، والسواد الأعظم في جهالة عمياء وفي ظلام دامس، تعصب بغيض يشبه تعصب قريش في أيام الرسول)[١٤]، وبعد هذا التشخيص للواقع المعاصر يرى ان الوصفة العلاجية تقتضي (الرجوع إلى أسبابها وعواملها البعيدة، ومعنى هذا الرجوع إلى الماضي للاستفادة منها في مداواتها ومعرفة الأسباب التي أدت إلى بقائها حية فاعلة حتى الآن)[١٥].

ويبدو أن هذه الرؤية حكمت كثيرا المطالب المنتخبة للمعالجة فكما هو معروف أن التاريخ الإسلامي، والسيرة النبوية على وجه التحديد متشعبة ومتفرعة، فمجمل الموضوعات الخاضعة، كانت في إطارها العام محكومة بهذا الاعتبار ■

---

(١) طبع في مكتبة الزعيم المندثرة حالية، ثم أعيد طبعه لأكثر من خمس مرات.

(٢) علي، جواد، تاريخ العرب في الإسلام، السيرة النبوية، (بغداد: مطبعة الزعيم، ١٩٦١)، ص ١٠٨.

(٣) نشر جواد علي بحثين حول الموارد الأول: حمل عنوان (موارد تاريخ الطبري) في الأعداد الآتية من مجلة المجمع العلمي العراقي (١٩٥٠)، ص١٤٣- ٢٣١، ٢(١٩٥١) ص١٣٥- ١٩٠، ٣(١٩٥٤) ص١٦-٥٦، ٨(١٩٦١) ص٤٢٥-٤٣٦، والثاني بعنوان: (موارد المسعودي) في مجلة سومر.

(٤) نشر كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام بثمانية أجزاء متتالية منذ العام ١٩٥٠ في المجمع العلمي العراقي.

(٥) كانت الطبعة الأولى له في دار العلم للملايين في عام ١٩٧١ في بيروت.

(٦) علي، تاريخ العرب في الإسلام ص٦.

(٧) المصدر نفسه، ص١٠٨.

(٨) المصدر نفسه، ص٥-١٨٠.

(٩)، (١٠)، (١١) المصدر نفسه، ص ٦، ١٢٣، ٢٦.

(١٢)، (١٣) المصدر نفسه، ص٤٣، ١٧٥.

(١٤)، (١٥) المصدر نفسه، ص٧، ٧٨.

من سير الجبابرة

لما كتب المهلب إلى عبد الملك: إنه ليس عندي رجال أقاتل بهم، فإما بعثت إلي بالرجال وإما خليت بينهم وبين البصرة، فخرج عبد الملك إلى أصحابه فقال: ويلكم! من للعراق؟ فسكت الناس وقام الحجاج وقال: أنا لها، قال: اجلس، ثم قال: ويلكم!! من للعراق؟ فصمتوا، وقام الحجاج وقال: أنا لها، قال: اجلس، ثم قال: ويلكم!! من للعراق؟ فصمتوا، وقام الحجاج الثالثة فقال: والله أنا لها يا أمير المؤمنين، قال: أنت زنبورها، فكتب إليه عهده، فلما بلغ القادسية أمر الجيش أن يقبلوا وأن يروحوا وراءه، ودعا بجمل عليه قتب، فجلس عليه بغير حشية ولا وطاء، وأخذ الكتاب بيده، ولبس ثياب السفر، وتعمم بعمامته حتى دخل الكوفة وحده، فجعل ينادي: الصلاة جامعة، وما منهم رجل جالس في مجلسه إلا ومعه العشرون والثلاثون وأكثر من ذلك من أهله ومواليه وصعد المنبر متلثماً متنكباً قوسه، فجلس واضعاً إبهامه على فيه فقال بعضهم لبعض: قوموا حتى نحصبه فدخل محمد بن عمير الدارمي في مواليه، فلما رأى الحجاج جالساً على المنبر لا يجيب ولا ينطق قال: لعن الله بني أمية حين يولون العراق مثل هذا، لقد ضيع العراق حيث يكون مثل هذا عليها، ثم ضرب بيده إلى حصباء المسجد ليحصبه، وقال: والله لو وجدوا أذم من هذا لبعثوه إلينا، فلما همّ أن يحصبه قال له بعض أهل بيته: أصلحك الله أكفف عن الرجل حتى نسمع ما يقول، فمن قائل يقول: حصر الرجل فما يقدر على الكلام، ومن قائل يقول: أعرابي ما أبصر حجته، فلما غص المسجد بأهله حسر اللثام عن وجهه ثم قام، ونحى العمامة عن رأسه، فوالله ما حمد الله ولا

أثنى عليه، ولا صلى على نبيه، وكان أول ما بدأهم به أن قال:

أنا ابن جلا وطلاّع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفوني

إني والله لأرى أبصاراً طامحة، وأعناقاً متطاولة، ورؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني أنا صاحبها، كأني أنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى:

هذا أوان الحرب فاشتدي زِيم
قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعي إبلٍ ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم

وقال:

قد لفها الليل بعصلبي
أروع خراج من الدوى
مهاجر ليس بأعرابي

وقال:

قد شمرت عن ساقها فكدوا
وجدّتِ الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وترٌ عُرُدّ
مثل ذراع البكر أو أشد

إن أمير المؤمنين نثر كنانته، فوجدني أمرَّها طعماً، وأحدّها سناناً، وأقواها قداحاً، فإن تستقيموا تستقم لكم الأمور، وإن تأخذوا لي بنيات الطريق تجدوني لكل مرصد مرصداً، والله لا أقيل لكم عثرةً، ولا أقبل منكم عذرة.

يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق، والله ما أغمز كتغماز التين ولا يقعقع لي بالشنان ولقد فررت عن ذكاء، وفتشت عن تجربة والله لألحونكم لحو العود، ولأعصبنكم عصب السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل ولأقرعنكم قرع المروة.

يا أهل العراق، طالما سعيتم في الضلالة، وسلكتم سبيل الغواية، وسننتم سنن السوء، وتماديتم في الجهالة، يا عبيد العصا وأولاد الإماء، أنا الحجاج بن يوسف، إني والله لا أعد إلا وفيت، ولا أخلق إلا فريت، فإياكم وهذه الزرافات والجماعات، وقال وقيل، وما يكون وما هو كائن، وما أنتم وذاك يا بني اللكيعة؟ لينظر الرجل في أمر نفسه، وليحذر أن يكون من فرائسي.

يا أهل العراق، إنما مثلكم كما قال الله عز وجل: (كمثل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) فأسرعوا واستقيموا، واعتدلوا ولا تميلوا، وشايعوا وبايعوا واخضعوا، واعلموا أنه ليس مني الإكثار والإهذار،

ولا منكم الفرار والنفار، إنما هو انتضاء السيف، ثم لا أغمده في شتاء ولا صيف، حتى يقيم الله لأمير المؤمنين أودكم، ويذل له صعبكم.

إني نظرت فوجدت الصدق مع البر، ووجدت البر في الجنة، ووجدت الكذب مع الفجور، ووجدت الفجور في النار.

إلا وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وأشخاصكم إلى محاربة عدوكم مع المهلب، وقد أمرتكم بذلك، وأجلت لكم ثلاثاً، وأعطيت الله عهداً يؤاخذني به ويستوفيه مني أن لا أجد أحداً من بعث المهلب بعدها إلا ضربت عنقه، وانتهبت ماله، يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين.

فقال الكاتب: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى من بالعراق من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم فإني إليكم أحمد الله الذي لا إله إلا هو.

فقال الحجاج: أسكت يا غلام، ثم قال مغضباً: يا أهل العراق يا أهل النفاق والشقاق ومساوئ الأخلاق، يا أهل الفرقة والضلال، يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه السلام؟ أما والله لئن بقيت لكم لألحونكم لحو العود ولأودبنكم أدباً سوى هذا الأدب، هذا أدب ابن سمية ـ وهو صاحب شرطة كان بالعراق ـ اقرأ يا غلام الكتاب، فلما بلغ السلام قال أهل المسجد: وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم نزل، وأمر للناس بأعطياتهم، والمهلب يومئذ بمهرجان قدق يقاتل الأزارقة.

فلما كان اليوم الثالث جلس الحجاج بنفسه يعرض الناس، فمر به عمير بن ضابئ التميمي البرجمي ثم أحد بني الحدادية وكان من أشراف أهل الكوفة، وكان من بعث المهلب، فقال: أصلح الله الأمير، إني شيخ كبير زَمِنٌ عليل ضعيف، ولي عدة أولاد، فليختر أيهم شاء مكاني، أشدهم ظهراً، وأكرمهم فرساً، وأتمهم أداةً، قال الحجاج: لا بأس بشاب مكان شيخ.

فلما ولى قال له عنبسة بن سعيد ومالك بن أسماء: أصلح الله الأمير! أتعرف هذا؟ قال: لا، قالا: هو عمير بن ضابئ التميمي الذي وثب على أمير المؤمنين عثمان وهو مقتول فكسر ضلعاً من أضلاعه، فقال الحجاج: على به، فأتي به، فقال له: أيها الشيخ، أنت

الواثب على أمير المؤمنين عثمان بعد قتله، والكاسر ضلعاً من أضلاعه؟ فقال له: إنه كان حبس أبي شيخاً كبيراً ضعيفاً فلم يطلقه حتى مات في سجنه، فقال الحجاج: أما أمير المؤمنين عثمان فتغزوه بنفسك، وأما الأزارقة فتبعث إليهم بالبدلاء، أو ليس أبوك الذي يقول:

هممت ولم أفعل وكدت وليتني
فعلت وأوليت البكاء حلائله

أما والله إن في قتلك أيها الشيخ لصلاح المصرين، ثم أقبل يصعد بصره إليه ويصوبه ويعض على لحيته مرة ويسرحها أخرى، ثم أقبل عليه فقال: يا عمير سمعت مقالتي على المنبر؟ فقال: نعم، قال: والله إنه لقبيح بمثلي أن يكون كذاباً، قم إليه يا غلام فاضرب عنقه، ففعل، فلما قتل ركب الناس كل صعب وذلول، وخرجوا على وجوههم يريدون المهلب، فازدحموا على الجسر حتى سقط بعض الناس في الفرات، فأتاه صاحب الجسر فقال: أصلح الله الأمير! قد سقط بعض الناس في الفرات، قال: ويحك!! ولم ذلك؟ قال: أهل هذا البعث ازدحموا على الجسر حتى ضاق بهم، قال: انطلق فأعقد لهم جسرين.

وخرج عبد الله بن الزبير الأسدي مذعوراً، حتى إذا كان عند اللجامين لقيه رجل من قومه يقال له إبراهيم، فقال له: ما الخبر؟ فقال ابن الزبير: الشر، قتل عمير من بعث المهلب، وأنشأ يقول:

أقول لإبراهيم لما لقيته
أرى الأمر أمسى مهلكاً متعصبا
تجهز، فإما أن تزور ابن ضابئ
عميراً، وأما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما
ركوبك حوليا من الثلج أشهبا
فأضحى ولو كانت خراسان دونه
رآها مكان السوق أو هو أقربا
وإلا فما الحجاج مغمد سيفه
مدى الدهر حتى يترك الطفل أشيبا

وخرج الناس هرباً إلى السواد، وأرسلوا إلى أهاليهم أن زودونا ونحن بمكاننا.

وقال الحجاج لصاحب الجسر: افتح ولا تحل بين أحد وبين الخروج، ووجه العراض إلى المهلب، فما أتت على المهلب عاشرة حتى ازدحموا عليه، فقال: من هذا الذي استعمل على العراق؟ هذا والله الذكر من الرجال؟ فويل والله للعدو إن شاء الله تعالى.

مروج الذهب، المسعودي ٣/ ١٣٣

طروحات عامة

المركزية واللامركزية بين الإدارة المعاصرة ونهج البلاغة

هاشم حسين ناصر المحنك •

مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

ينابيع

بديهياً في علم الإدارة والأعراف العملية والتطبيقية، المسؤولية بلا سلطة أو صلاحية، كالجسد بلا روح، لكونه الخطوة الأولى لحركة الشخص القيادي إدارياً، مادياً ومعنوياً ونفسياً وبشرياً وإنسانياً، فضلاً عن بيان ديناميكية الأداء المطلوب.

لذا أول ما يبدأ الشخص الإداري وفي أي مستوى كان من المستويات الإدارية، وقبل الشروع بالعمل، كوضع الخطط أو التنفيذ، أن يعرف ما له من صلاحيات وسلطات وما عليه، والهيكل التنظيمي والدليل التنظيمي المحدد النابع من

توصيف المنصب (أي تشريح الوظيفة أو العمل)، ووصف المنصب (أي رؤى هذا التشريح ليكون وفقه شكل المنصب الذي سيشغله والمناصب والوظائف الأخرى)، والمواصفات التي تحدد مَنْ (كشخص) سيشغل تلك المناصب والوظائف، بما يمتلكه من مؤهلات وخبرات وإنجازات، وكل ما يتضمنه هيكلة العمل.

ومن هذا تكون الأنشطة والفعاليات المُناطة بالشخص، سواء كان على مستوى المشروع الواحد أو مجموعة مشاريع نمطية أو غير نمطيّة، تأخذ أهميتها تبعاً للنشاط والعاملين فيه، وثقافاتهم ووعيهم المتكافئ مع الأعمال المُناطة بهم واتجاهات التخصص وتقسيم العمل، سواء كان يتطلّب بذل الجهود الفكرية، تخطيط وتنظيم وتنمية إدارية. وما إليها من الأعمال التي يطغى النشاط الذهني أو الفكري. أو الجهود العضلية التي يتضاءل النشاط الفكري في تنفيذ الأعمال المختلفة المناطة بالعاملين.

وكل ما تم ذكره بشكل سريع وغيره، تتوجب أو تتطلب أو تأخذ الوظيفة أو العمل طابعه المركزي (Centralization) أو اللامركزي (Decentralization)، من خلال قوّة العمل والجهود المبذولة والوعي المناسب وأهمية العمل والمسؤولية والرغبة والاستعداد لأداء العمل والقدرة عليه وما متوافر من الكوادر... إلخ.

فالمركزيّة تعني، تركيز أو تكثيف السلطات أو المسؤوليات الوظيفيّة أو الأعمال بيد جهة محددة أو بإمرة أو سلطة شخص حقيقي متمثل بالفرد أو معنوي متمثل بمؤسسة أو هيئة أو لجنة

أو حتى رئاسة على مستوى دولة، وتكون المسؤولية مسؤولية مباشرة عن نتائج تنفيذ الأعمال وأمام الجهات العليا، كأن تكون متمثلة بالقضائية أو التخطيطية أو التشريعية.

أمّا اللامركزية فهي ما يتم بموجبها توزيع السلطات أو المسؤوليات الوظيفيّة أو الأعمال على عدّة أشخاص حقيقيين (أفراد) أو معنويين (كمؤسسات أو لجان أو هيئات...)، وتكون مسؤولية كل منهم على وفق ما هو مسؤول عنه أو عن نتائج تنفيذ الأعمال المناطة به، والهدف هو تنظيم العمل وجعله بمرونة ودقّة وحيوية وفاعلية أكبر، والحاجة المُلحّة لذلك، وخصوصاً في المشاريع المتعددة الفروع، والعائدة لمؤسسة واحدة، والمترابطة والموزعة جغرافياً، لئلا تكون هناك معوقات تواجه مسيرة تنفيذ الأعمال، كما لو اتُخذ في تنفيذ أعمالها الأسلوب المركزي..

ولتطبيق المركزية واللامركزيّة، سلبياتها وإيجابياتها، لذا تنتهج بعض المشاريع أو الدول إلى المزج بين أسلوب النظام المركزي والنظام اللا مركزي، وللإفادة من إيجابيات كلٍّ من النظامين وآلياتهما، والابتعاد عن سلبيات كل منهما، فضلاً عن الانتباه إلى تلبية الحاجة لتحديد نسبة الكثافة في كل نظام لوضعه للنشاط المحدد وما يُحتِّمه الوضع الجغرافي للنشاط وما يرتبط معه بشكل مباشر وغير مباشر، كما هو عليه البُعد والقرب من المورّد والمواد الأولية والأسواق، أو القرب والبُعد من مصدر القرار وصنعه وتنفيذه، ومستوى العرقلة في ديناميكية العمل والعاملين ضمنه[1].

ويبين لنا أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام صورة من المكانة والتنظيم والقدرة الإلهية العظيمة اللامحدودة في تسيير الكون والمخلوقات بمختلف ما تمتلكه من قدرات ومؤهلات ورغبات وما يحيطها وما يجول في أفكارها ودواخلها النفسية وسلوكياتها وأفعالها، حيث يقول:

(قَرِيبٌ مِنَ الأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلابِسٍ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ، وَمُتَكَلِّمٌ لا بِرَوِيَّةٍ، مُرِيدٌ لا بِهِمَّةٍ، صَانِعٌ لا بِجَارِحَةٍ. لَطِيفٌ لا يُوصَفُ بِالخَفَاءِ، كَبِيرٌ لا يُوصَفُ بِالجَفَاءِ، بَصِيرٌ لا يُوصَفُ بِالحَاسَّةِ، رَحِيمٌ لا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ. تَعْنُو الوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وَتَجِبُ القُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ)[2].

وبهذا جل جلاله له ما لا يمكن أن يكون لغيره من الملك والحكم والتنظيم والإدارة والتسيير والهيمنة والقدرة والعظمة، فانفرد جل وعلا بصفاته العظمى وأسمائه الحسنى، ومن تعاليمه وما شرّعه بالإسلام لبني آدم من قويم المناهج، يكون الرشاد لبناء الحياة الدنيوية وتسييرها مركزياً ولا مركزياً.

ومن هذا التوجّه والتوجيه والهداية والتنوير الإلهي، كان إتباع أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في أسلوب الحكم الثابت والمتغير، لذا تراه عليه السلام تارة يتبع أسلوب

المركزية، وموقف آخر يستخدم أسلوب اللامركزية في الإدارة ومتابعته للمنجز، وحالة أخرى حينما يتطلب المزج بين إيجابيات المركزية واللامركزية لمعالجة موقف آخر، أو سحب السلطات وتجريد المسؤول من صلاحياته، أو يتطلب التحوّل إلى ما يتفق مع الموقف بأسلوبه الإداري، ويوضح ذلك قوله المبارك:

(أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ، إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ، وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ. بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ الأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ، وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ، فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ، وَاعْلَمْ إِنَّ حِسَابَ اللّٰهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابَ النَّاسِ، وَالسَّلامُ)[٣].

وهذا دليل واضح باستخدام اللامركزية في الإدارة، فلو رجعنا إلى قوله: (إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ...)، يدلل على حرية صنع واتخاذ القرار، والمسؤولية المترتبة عليها حتى في خصوصيات المسؤول المنعكسة على سمعة الدولة وقيادتها، وهو دليل على حماية التبعات الخاصة على أنشطة ومستقبل الدولة، والحيلولة دون الوقوع في دائرة الفساد بكل أشكاله، ويعني اللامركزية في الإدارة.

أمّا ما تمثله قوّة المتابعة المتواصلة والرقابة التقويمية للأعمال، في قوله: (فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ)، والذي يدلل على أهمية الرقابة (التقويمية) وما يتطلبه من جمع المعلومات للتقييم والتقويم وحماية المجتمع والدولة ومختلف المشاريع القائمة من كل أشكال الفساد الخاص والعام للشخص القيادي، لكونه في سدة الحكم يمثل الدولة وسلوكياتها التنفيذية، ويتحكم برقاب ومشاريع وممتلكات الناس.

ويظهر كيفية توقيت معالجة جانب آخر، ألا وهو الفساد الإداري والمالي (Administrative corruption And Financial) والذي مما يعني هو استغلال النفوذ أو السلطات بغير مسارها الصحيح والقويم، والعمل على تطويع الأنشطة العامة أو الموكل بإدارتها للمصالح الشخصية، وشراء الذمم من أجل المصالح الخاصة، وخصوصاً إذا ما كان على حساب المصالح العامة الآنية أو المستقبلية.

والتوقيت المناسب للحد من الانحراف، يكشفه عليه السلام في علاجه السريع لهذا النموذج السلوكي الإداري التي تمّ مواجهته ومعالجته بالحزم دون القوة: (بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ الأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ، وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ، فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ)، وهو يوضّح العودة لمركزية الحكومة أو الإدارة الحكومية ومحاسبة المُقصّر في أداءه، وبه تحديد التقصير وتقويم السلوك الإداري (Administrative Behaviour).

وبناء الرقابة الذاتية المبنيّة على وفق بناء نظام الردع الشرعي أو التشريعي لمختلف السلوك التنظيمي للأنشطة، وما يضعه فقه المعاملات، وما يكمّله من الفقه أو التشريع الإداري والاقتصادي، المتمثّل في قوله: (وَاعْلَمْ إِنَّ حِسَابَ اللّٰهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابَ النَّاسِ)، ولا نغفل ما يتضمنه الجانب الردعي في الإسلام، حيث لا يقتصر النظام الرقابي والجزائي على الجزاء الدنيوي، بل يتعداه إلى الجزاء الأخروي.

والجزء الخطر والمهم من المشكلات الإدارية (Administrative Problems) المُعيقة لتقدُّم المشاريع العامة والخاصة،

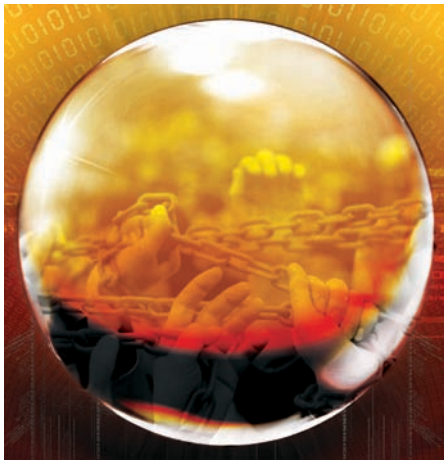

هو الفساد الإداري والمالي، وجزء منها الخيانة، وبهذا كان اتجاه المتابعة والرقابة صوب الوقاية والعلاج، لذا يخاطب عليه السلام أحد ولاته:

(أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي، وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتِي، وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي لِمُوَاسَاتِي وَمُوَازَرَتِي وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ إِلَيَّ...)(٤).

ويتبيّن من النص المبارك المتقدّم، بأنّ هناك متطلبات للتعامل مع أسلوب المركزية أو اللامركزية، وما يتطلبه تحمُّل المسؤوليات والصلاحيات، وتفويض الصلاحيات في تنفيذ الأعمال المختلفة، والتي سنقوم بدراستها في دراسة خاصة إن شاء الله.

وهنا يتبين ما أهمية التمهيد لإتباع الأسلوب المركزي واللامركزي في الإدارة، ومنه ما يتحدد بالثقة قبل اختيار النظام، فضلاً عن تحمل المسؤولية بصفة الأمانة، وتفرعها لتكون تضامنية، والاختيار على أساس إشراك في هذه الأمانة، وهو ما يدخل العنصر البشري وسلوكياته ضمن آلية التنفيذ للخطط الجزئية والكلية، وهنا تأتي الثقة أيضاً بالقدرات والإمكانيات والرغبات للمشاركة، بمنظور أداء تلك الأمانة الداعمة للمسؤولية.

وعموماً فإنّ المركزية واللامركزية، أو استخدامهما معاً بمزج إيجابياتهما في تخطيط وتسيير أو تنفيذ الأعمال، ويستمد أبعادة من عدّة أمور يتطلبها العمل، ويتحتّم الأخذ بمنهجيّة الاستخدام الأنسب أو الأفضل من الناحية العلمية والعملية، وبإيجابيات ما يُتوقع من النتائج الآنية والمستقبلية، التكتيكية والإستراتيجية، وبشكل يساعد على حماية الدولة من السلوك الإداري غير المسؤول، لئلا تظهر آفة الفساد الإداري والمالي والسياسي وحتى السلوكي منه أين ما كان ظهوره، أو على أقل تقدير، معالجة الفساد بكل أشكاله لحظة ظهوره لئلا يتفاقم فيكون وبالاً على الدولة والناس أو المجتمع ■

---

(١) للإطلاع بشكل موسّع على موضوع المركزية واللامركزية، راجع على سبيل المثال:
- هاشم حسين ناصر المحنك، فلسفة الإدارة المعاصرة والمجتمع، مطبعة القضاء، النجف الأشرف، العراق، ١٩٩٠، ص٦٧- ٧٠.
- هاشم حسين ناصر المحنك، الإدارة الأسلوب القيادي في نهج البلاغة، دار أنباء للطباعة والنشر، النجف الأشرف، العراق.
- Johason ، Richard A. & Others ، «The Theory And Management Of System»، ٣ed، MegnawHill Book Co، ١٩٧٣، P: ١٦٢ - ١٦٣.
- Hicks، Herbert G. & Gullett، C. Ray، ««Management»، ٤ed، McGraw- Hill Book Co.، New York، ١٩٨١.

(٢) نهج البلاغة، ص٢٥٨.

(٣) نهج البلاغة، ص٤١٢.

(٤) نهج البلاغة، ص٤١٢.

حكم ومواعظ

ما روي من حِكَم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

- المواعظ حياة القلوب.. الدين أفضل مطلوب.
- الدعاء خير موضوع.. الهوى عدو متبوع.
- الجود عز موجود.. الكمال في الدنيا مفقود.
- الجاهل لا يرتدع.. الكريم يتغافل وينخدع.
- الحساب قبل العقاب.. الثواب قبل الحساب.
- العدل حياة الأحكام.. الصدق روح الكلام.
- العاقل يعتمد على عمله.. الجاهل يعتمد على أمله.
- الدنيا سوق الخسران.. الجنة دار الأمان.
- العز مع اليأس.. الذل في مسألة الناس.
- البخل بالموجود سوء الظن بالمعبود.

طروحات عامة

خصائص الفكر الإسلامي والغربي في موضوع التنمية الاقتصادية

فلاح شفيع •

ينابيع

تتلخص الغاية الأساسية لدراسة علم الاقتصاد وفي ممارسة الأنشطة الاقتصادية في تحقيق زيادة معينة في مستويات الإنتاج من خلال الاستغلال الأمثل للموارد المتاحة في المجتمع وفق طرق وسياسات متعددة، والعمل على توزيع النتاج على الأطراف التي ساهمت في إنتاجه وفق معايير وأسس معينة مقبولة في المجتمع لتحقيق رفاهية أفراد المجتمع.

إنَّ المحاولات الهادفة إلى زيادة الإنتاج يطلق عليها بعملية التنمية الاقتصادية، وهي تمثل المشكلة الأساسية للمجتمعات

البشـرية في مختلـف العصـور والأزمان بغرض تحقيق العيش السـعيد والطمأنينة لأفراد المجتمع.

تعتبر عملية التنمية الاقتصادية من أكثر الأنشطة السياسـية تعقيداً وتشابكاً، فهي تتداخل مع مختلـف العلوم ولها ارتباطات مع العديد من الأنشطة الحياتية، فهي تتأثر وتؤثر فيهما.

فدراسة علم الاقتصاد يتطلب المعرفة والاطـلاع والتعامل السـليم مـع عدد من العلوم والأنشطة الحياتية المختلفة.

كما وترتبط عملية التنمية والاقتصادية بعلاقـة متينة مـع مجمل العقائد السـائدة في المجتمع، وهـي تتأثر بالحالة الثقافية والسياسـية والاجتماعيـة وبالنمـاذج والسـلوكيات الأخلاقيـة السـائدة فـي المجتمع، فهي تتناول في آن واحد نشـاط الفـرد ونشـاط مجمـوع الأفـراد داخل المجتمع.

لذلك فإن عملية التنمية يجب أن تنسجم وتتوافق مع القيم والمفاهيم السـائدة في المجتمع، ويجب أن لا تتعارض مع الفطرة الإنسانية.

لذلـك فإن عمليـة التنميـة لا تتم وفق وظيفة علم الاقتصاد فقط بل تتداخل معها بشكل كبير طبيعة المذهب المعتمد، لذلك يتطلب توضيح وتحديد مدلولات ومميزات كل من العلم والمذهب الاقتصادي وتحديد دور كل واحـد منهمـا في تحقيـق التنمية الاقتصادية المنشودة.

تعريف علم الاقتصاد

ظهـر علم الاقتصاد كعلم مسـتقل عن علم الاجتماع بحلول منتصف القرن الثامن

عشـر، بعد أن حصلت تطورات مهمة في الأفكار والمفاهيم الاقتصادية تم بموجبها تحديـد الأبعاد الفلسـفية والاجتماعية له، حصل ذلك نتيجة الأبحاث والدراسات التي تناولتهـا المفكريـن الاقتصاديين لمعالجة المشاكل وفي تحديد الظواهر الاقتصادية المرتبطة به.

مـن تعريف علـم الاقتصـاد بمراحل متعـددة عكسـت المفاهيـم السـائدة في حينه، فعرفه (آدم سمث) وهو الاقتصادي المعاصـر بأنه (علم الثورة) وحصر مفهوم الثروة في السـلع المادية فقـط. وعرفها الاقتصاديون التقليديـون بعلم (المصلحة الشـخصية) لكونهـا تمثل الدافـع الوحيد لنشاط الإنسان الاقتصادي في سبيل إشباع حاجاته بأقل التكاليـف ولتحقيق الرفاهية المادية باعتبارها الغاية التي يسعى إليها.

في حيـن عرفـه بعـض الاقتصاديين المعاصريـن بأنه (العلم الذي يدرس عملية الإنتاج والتوزيع والاستهلاك).

والتعريف المتداول حالياً يعرّف علم الاقتصـاد (بعلم النـدرة) لأنـه يبحث في (كيفية إدارة واستغلال الموارد الاقتصادية النادرة نسبياً والاسـتخدام الأمثل لوسائل إنتـاج السـلع والخدمات لإشـباع حاجات الأفراد التي تتسع وتنمو باضطراد مستمر ويبحث كذلـك بالطريقة التي يتم بموجبها توزيع الناتج الاقتصادي بين المشـتركين في العملية الإنتاجية ضمن إطار معين).

المذهب الاقتصادي

المذهب مـن الناحية الفلسـفية عبارة عن مجموع من الآراء والنظريات الفلسفية ارتبطت مع بعضها ارتباطاً منطقياً لتشكل وحـدة عضوية متسـقة ومتماسـكة، وهو يمثل بشـكل عام المنهج الذي يشتمل على مجموعة من النظريات والأفكار والمعارف والأسس المراد تطبيقها في الحياة من أجل تحقيق الرفاهية والسعادة والأمن.

واسـتناداً لذلك يمكن تعريف المذهب الاقتصـادي كونه يمثل مجموعـة المبادئ والأسـس والمفاهيم الاقتصادية التي يتم بموجبها تحديد المنهاج أو الطريقة لتوجيه سـلوكيات ونشـاطات الأفراد نحو اتجاه معين تحدد الأهداف والغايات الاقتصادية المنشـودة يتم بموجبها تحقيـق الرفاهية والرخـاء والنمو عبر مسـيرة الحياة. فعلم الاقتصـاد يبيـن كيـف تجـري الأحداث والظواهـر الاقتصاديـة فـي المجتمـع، أمـا المذهـب الاقتصادي فإنـه يبين كيف تجري الأحداث والظواهر الاقتصادية في المجتمع.

فهناك تفاعـل وتداخل وعلاقة متبادلة بين العلم والمذهب.

لـذا فإن كثير من المفاهيم والنظريات الاقتصاديـة العلميـة لها قـراءات مختلفة باختلاف المذهب الاقتصادي المعتمد.

النمو والتطور الاقتصادي

يمكن تعريف النمو الاقتصادي بأنه يمثل الزيادات الكمية في الإنتاج للأنشطة الاقتصادية، أما التطور فإنه أوسع معنى وشمولاً من النمو يمثل التغيير النوعي في كيفية تحقيق الإنتاج من حيث الوسائل وشكل المؤسسات الإنتاجية ومستوى العلاقات والمستوى الثقافي وكفاءة العاملين ونوعية السلوكيات والأعراف السائدة والتي تحكم العلاقات الإنسانية السائدة بين الأفراد داخل المجتمع.

لذلك فإن العملية التنمية تسعى لتحقيق التطور لتحسين مستوى المعيشة للأفراد داخل المجتمع.

ويصاحب عملية التطور الاقتصادي تغيرات بنيوية في هياكل القطاعات الاقتصادية المختلفة وفي أساليب الإنتاج ينتج عنها تحقيق زيادة مستمرة في الناتج الإجمالي وتوزيع عادل لحصة الفرد منه، حيث يعتبر حصة الفرد من الدخل القومي مؤشر جيد لحصول التطور الاقتصادي.

النظام الاقتصادي

يتكون النظام الاقتصادي من عملية دمج وتطبيق المفاهيم والأفكار الاقتصادية وفق المذهب الاقتصادي المعتمد، (فالنظام الاقتصادي يمثل مجموعة الإجراءات المؤثرة على الاختيار الاقتصادي الذي يستهدف توجيه الموارد نحو الأهداف).

وتتكون هذه الإجراءات من الطرق والأدوات المستخدمة لإدارة العملية الاقتصادية، وتتحدد الوظائف الاقتصادية بالجهة التي تتخذ القرار وكيفية التنسيق بين الوحدات والأنشطة الاقتصادية وفي كيفية وضع أولويات الأهداف والغايات المراد تحقيقها في المجتمع.

التعريف الإسلامي لعلم الاقتصاد والمذهب الاقتصادي

يمكن تعريف علم الاقتصاد في الفكر الإسلامي من اشتقاق كلمة الاقتصاد لغوياً التي تعني (القصد) أي الاستقامة والاعتدال في التصرفات الاقتصادية في حالة الإنفاق والاستثمار والاستهلاك، على مستوى السلوك الفردي وسلوك مجموع أفراد المجتمع.

فعلى المستوى القومي ورد استخدام مفهوم الاقتصاد في منطوق الآية رقم (٦٧) من سورة الفرقان (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا)، فمفهوم حالة الاعتدال تتحقق من إجراء الموازنة بين الإسراف والتقتير عند ممارسة الأنشطة الاقتصادية.

وتتحقق حالة الاعتدال على المستوى السلوك الشخصي في منطوق الآية رقم (٢٩) من سورة الإسراء: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا).

لقد بذلت جهود كبيرة من قبل المفكرين الإسلاميين لتحديد فهم إسلامي خاص للنظريات الاقتصادية، ولكن لتاريخه لم تستطيع تلك الجهود من بلورة نظام اقتصادي متكامل يعالج مختلف المشاكل والأنشطة الاقتصادية بانسجام متناسق.

ولكن على العموم نلاحظ أن الفكر الإسلامي يتضمن وجود تداخل كبير بين النظريات والمفاهيم الاقتصادية بانسجام متناسق.

ولكن على العموم نلاحظ أن الفكر

الإسلامي يتضمن وجود تداخل كبير بين النظريات والمفاهيم الاقتصادية مع المذهب الاقتصادي، وذلك ناتج من شمولية الفكر الإسلامي ودمجه للمواضيع الاقتصادية مع المواضيع العقائدية والاجتماعية خصوصاً تلك المتعلقة بالعدالة اعتماد على التفسير الفلسفي (لمبدئي العبودية والاستخفاف).

إنَّ المفاهيم التي يتضمنها فلسفة العدالة في الفكر الإسلامي لها دور حاسم في تأثير المذهب الاقتصادي على النظريات العلمية للاقتصاد الإسلامي.

فالنظام الاقتصاد الإسلامي يمثل مجموعة الإجراءات والتطبيقات المذهبية التي يتم بموجبها تحقيق الأهداف الاقتصادية للمجتمع الإسلامي المنشود.

استناداً لذلك فقد حدد الفكر الإسلامي ثلاث أركان تمثل سيرة الإنسان في حياته هي (علاقة الإنسان مع الخالق (سبحانه تعالى) وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان وأخيراً علاقة الإنسان مع الطبيعة من ناحية الإنتاج والاستهلاك)، فهذه العلاقات الثلاث تمثل المسيرة التكاملية للإنسان عند ممارسة أنشطته الحياتية.

الخصائص التي تميز كلا النظامين

بعد توضيح المعاني العامة لعلم الاقتصاد والمذهب الاقتصادي لكلا النظامين بشكل مختصر، سنحاول أدناه توضيح بعض الجوانب التي تميز خصائص كلا النظامين، وهي في الغالب تمثل الاختلاف في التفسير الفلسفي للجوانب العقائدية المعتمدة من قبل مفكري النظامين، حيث نلاحظ في كثير من الأحيان تقارب أو وحدة الوسائل والأهداف المراد تحقيقها ولكنهم يختلفوا في الكيفية والبعد العقائدي لهذه الأهداف والوسائل واختلاف في الأسس الفلسفية المعتمدة لتوزيع الناتج المتحقق.

وذلك كما يلي:

أولاً: العالمية والخصوصية:

إنَّ المقارنة بين الفكرين لا تمثل مقارنة بين منظور خاص بالمسلمين وفكر إنساني عالمي، وإنما هي مقارنة بين خصوصيتان تتنازعان صفة العالمية، تمثل الأولى الفكر الإسلامي المعبر عن رسالة عالمية في الوجه والاتجاه، وتمثل الثانية رؤى ومصالح الفكر الغربي الذي يحاول فرض عالميته بوسائل عديدة.

النموذج الإسلامي مبني على معرفة ممتدة إلى الوحي الإلهي المتجاوز لحدود الزمان والمكان أما النموذج الغربي فإنه مبني على معطيات وإنتاجه متراكمة للعقول البشرية سابقة ومعاصرة، وهي بذلك محدودة بإمكانيات الإنسان العقلية ومحدودة بالزمان والمكان الخاصين بهما.

فالفكر الإسلامي ذي الطبيعة العالمية طبقاً للمصادر المعرفية له وحسب قواعده الفكرية المستندة على الوحي الإلهي، وضع في إطار الخصوصية، وأصبحت غاياته في الوقت الحالي تسعى للإبقاء على هذه الخصوصية وحفظها من الزوال أو الذوبان أمام التحديات التي أفرزتها الحضارة الغربية المعاصرة وتطبيقها لمشروعها العولمي الذي يسعى لاحتوائه أو تحجيمه وتذويب خصوصياته وإلغاء دوره العالمي.

أما الفكر الغربي المعبر عن تجربة بشرية منقطعة الصلة والمحددة ضمن

إمكانيات العقل البشري وضمن البيئة والتجربة المعاصرة له وضمن ظروفه التاريخية، يسعى لاحتكار صفة العالمية وإضفاء الشرعية لمشروعه في ممارسة هذا الدور، وأكثر من ذلك قام بدور النقد والمحاكمة لتجارب وثقافات المجتمعات البشرية الأخرى ضمن منهجية تعتمد أسس وقواعد ومعايير حددها مسبقاً ليتم بموجبها إجراء النقد والتقييم لها، وهو يسعى لجعل جميع الحضارات البشرية تدور في فلكه، مستفيداً من النجاحات الكبيرة التي حققها في مجالات العلم والتقنية الحديثة.

وبذلك فإنه يهدف إلى تحويل فكره الخصوصي إلى فكر عولمي، وتخصيص الفكر الإسلامي ذي الصفة العالمية.

ثانياً: مصادر المعرفة ونظرية الوجود:

نظرية الوجود في الفكر الإسلامي تعتمد في جوهرها على رؤية للعالم ضمن مبدأ العبودية وما يتبعها من مفاهيم وممارسات، فالإسلامي ينظر إلى الكون بأنه مخلوق إلهي يتم تقديره وتدبيره من قبله وهو عليم فعال لما يريد، والإنسان هو سيد مخلوقات استخلفه الله (سبحانه وتعالى) لهذا الكون وهو معنى بتعمير الأرض والاستفادة من خيراتها المتعددة، وتتضمن فكرة العبودية كون الإنسان عبد مطلق لله أي أنه متحرر من الخضوع لأي أمر أو منهج غير أوامره أو منهاجه الذي شرعه الله (سبحانه وتعالى) له. وتضمنت الشريعة الإسلامية مختلف الأحكام والنظم التي تنظم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان أو مع الطبيعة إضافة لعلاقته مع الله(سبحانه وتعالى)، ضمن مبدئي الثواب والحساب في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وبموجب مبدأ الاستخلاف يتطلب من الإنسان القيام بتنمية هذه الثروات المتاحة لغرض الاستفادة المثلى منها طبقاً للضوابط المحددة في الشريعة وضمن مبدأ التوازن والحفاظ على الدورات الحياتية للمخلوقات لتجديدها.

لذلك فإن الشريعة الإسلامية ضمن مبادئها وأحكامها تنظر لعملية التنمية نظرة تكاملية مستدامة شاملة ومتوازنة لجميع الأنشطة والعوامل المشتركة في العملية التنموية حسب أوزانها النسبية، دون أن تحدث ضرر في أي جانب منها، ويشتمل مفهوم التوازن أبعاد متعددة منها حصة الأجيال المتعاقبة.

أما الرؤية الغربية فإنها بسبب أفكارها المادية تتجاهل مسألة الخلق أو تقف منه موقف الحياد، وتعتمد بدلاً عن ذلك على (مفهوم أن الإنسان موجود لذاته)، واعتمدت لتنظيم علاقاته البينية ومع الطبيعة على قوانين وضعية تعتمد مبدأ البقاء للأصلح، وبموجبها تسود حالة الصراع المصلحي في تنظيم علاقاته الإنسانية سواءً بين الأفراد داخل المجتمع أو بين المجتمعات العالمية، وفي علاقاته مع الموجودات في الطبيعة، وفق مصالحه

الذاتية، واعتبر هذا الأسلوب التنافسي العلة الأساسية الذي تم بموجبها تحقيق مستويات عالية التقدم والتطور في حضارته المعاصرة في مختلف الجوانب خصوصاً الاقتصادية.

لذلك نلاحظ البعد المادي في مفاهيمه الاعتيادية، فنموذج المعرفة لديه تعتمد قيم الصراع والتنافس المادي ذات الأبعاد المحدودة ضمن حياته ووجوده، والتوازن الحاصل في العملية التنموية والنموذج الأخلاقي المعتمد كمظهر لحضارته تتسق مع مفاهيمه المادية التي تهدف لتحقيق المصالح التي يرتئيها.

ثالثاً: التطور الخارجي:

تعتمد الفلسفة الغربية على فكرة تحرك التطور الاجتماعي وحركة التاريخ ضمن مسار تقدمي تطوري صاعد في اتجاه واحد. وإزاء ذلك تحتل المجتمعات الإنسانية مواقع متفاوتة ضمن هذا الخط، فالمجتمع المتقد يحتل موقع الصدارة وتتبعه المجتمعات الأقل تطوراً، فعلى هذا الأساس يكون المجتمع الغربي في القمة وتمثل الحضارة الغربية المعاصرة موضع القائد، ويجب عل المجتمعات والحضارات الأخرى إتباعها والسير على نفس الأسس والمسارات التي اعتمدتها.

إنَّ هذه الأفكار تحولت إلى ظاهرة معتمدة ومنتشرة في الحضارة الغربية واعتمدها المستشرقين وعلماء الأنثرويولوجية وشملت كذلك نماذج التنمية التي يجري تعميم تطبيقها عالمياً.

فالاستشراق اعتمد قاعدة أساسية تقول بأن اتجاه حركة التاريخ بدأت من الشرق واتجهت نحو الغرب وهي بذلك تمثل نهاية التاريخ، وتجلت هذه الأفكار عند كثير من المفكرين الغربيين أشهرهم (فرانسيس فوكوياما) في كتابه الشهير(نهاية التاريخ والرجل الأخير).

وكما وإن علم الأنثريولوجي استبطن هذه الأفكار ضمن تحليلاته، وبموجبها قام بتقسيم شعوب العالم إلى (بربرية ومتقدمة، زراعية وصناعية، خرافية وعقلانية...الخ). وظهرت بموجبها نظرية المراحل التاريخية، التي تبناها ماديين آخرين، مثل ماركس وروستو.

واستناداً لهذه الأفكار اعتبر النموذج الغربي للتنمية النموذج المعياري، يجب على المجتمعات الأخرى الأقل تطوراً الاقتداء به إنْ هي أرادت تحقيق مستويات التقدم في مجتمعاتها، وعليها اعتماد فكرة المراحل لتحقيق هذه الغاية، وعليها الاقتداء بالنموذج والنسق الغربي عند تنفيذ عملية التنمية لديها، وعليها التخلي عن المفاهيم والقيم الحضارية الموجودة لديها وإعادة تشكيل مجتمعاتها كأنها تخلق من جديد.

أما المنظور الإسلامي لحركة التاريخ فإنه يعتمد أسس ومبادئ تعتمد السنن التاريخية ولهذه السنن أشكال متعددة(أشارت إليها الآيات القرآنية)،

وهي مقابل لتحليل المادي الديلكتيكي، واعتمد الفكر الإسلامي على مبدئي التكامل والتفاضل الإنساني نحو الرقي وذلك ضمن الشروط والظروف والموضوعية له من الناحية المادية والمعنوية ضمن رؤيا وتحليل عميق تعتمد المكان والزمان عند تحديد حركة التاريخ التي سميت بالحركة الجوهرية للوجود (يتطلب تحليل وتوضيح هذا الموضوع بشكل عميق وشامل بحث تحليلي ليست من اختصاص الباحث).

وتستند تنفيذ العملية التنموية في المنظور الإسلامي على الإمكانيات الذاتية للمجتمع المنسجمة مع المفاهيم العقائدية له، وضمن التطور الطبيعي لإمكانات المجتمع الذاتية وإنمائها، وليس النقل الحرفي لنموذج معين مستورد من الخارج غريب عن القيم والثقافية والعقائدية للمجتمع الإسلامي، لأن مضمون الحضارة في اللغة العربية تنبع من الذات الإنسانية، لا يتم غرسها من خارجها.

وتعني الثقافة في المفهوم الإسلامي بتنمية الفطرة الإنسانية وتشذيبها وتقويم اعوجاجها ثم دفعها لتولد المعاني والمعارف التي يحتاجها الإنسان طبقاً لظروف وحاجات مجتمعه.

رابعاً: من يقوم بمهام التنمية:

تتفق الحضارة الغربية المادية بجانبيها (الاشتراكي والرأسمالي) مع الفكر الإسلامي بوجود دور مهم للدولة في تنفيذ وتوجيه العملية التنموية في المجتمع (يختلف هذا الدور حسب المنطلقات والخلفيات الأيدلوجية لهما)، فالدولة التي تديرها لطبقة البروليتارية يتوسع دور الدولة في جميع مفاصل الحياة لدرجة تحكمها في إدارة وتنفيذ العملية التنموية فيها بشكلاً كامل.

أما الدولة التي يقودها الرأسماليين فإن دور الدولة يتمثل بدور الضامن والحامي لمصالح قوى السوق المتمثلة (بأصحاب الأموال، ونقابات العمال، ومصلحة الضرائب)، إضافة لمهمتهما في حماية ورعاية الموازنات المتعددة لقوى السوق ولمصالح أفراد المجتمع، وتمتد مهمة الحماية إلى خارج الحدود الوطنية لحماية مصالح قوى السوق الوطنية وفق مبدأ التصارع المصلحي.

فالجهة التي تقود تنفيذ عملية التنمية الاقتصادية في النظام الرأسمالي هم رجال الأعمال بالتنسيق مع قوى السوق الأخرى، وذلك حسب الأدوار والوزن النسبي لكلا منهما.

كما وتتميز الحضارة الغربية الرأسمالية بإعطاء دور مهم للمجتمع في تحديد عمليات ومسارات التنمية، وذلك باعتماد صيغ ديمقراطية معينة، وضمن وجود مؤسسات اجتماعية مستقلة أطلق عليها مؤسسات المجتمع المدني، تمارس هذه المؤسسات دوراً مهماً في توجيه ومراقبة الخطط والسياسات في تحقيق أهدافها أو ضمن عملية الدفاع عن مصالح وأفكار المنتسبين إليها، ويلاحظ أن الأفكار والمفاهيم التي تعتمدها هذه المؤسسات منسجمة مع المفاهيم المادية لحضارتها.

أما المجتمع فإنه لم يوفق من الناحية الفكرية في تحديد النموذج الملائم لدور الدولة أو الجهة التي تقود تنفيذ عملية التنمية الاقتصادية تكون منسجمة مع حضارته وظروف مجتمعه، بسبب عدم توفر الفرص الملائمة للجهة الممثلة حقاً للفكر الإسلامي (عدا ظروف محددة

في التاريخ) من قيادة الدولة الإسلامية، وبذلك فلم يتم صياغة نظريات اقتصادية متكاملة تمثل نموذج إسلامي لتنفيذ عمليات التنمية وفق الفكر الإسلامي في الظروف السابقة والحالية.

لذلك فقد اعتمدت المجتمعات الإسلامية الحالية لتنفيذ عملية التنمية في مجتمعاتها على نقل نماذج تنموية غربية (اشتراكية أو رأسمالية) جرى تطبيقها بشكل مشوش لم توفق بموجبها تحقيق تقدم تنموي ملموس في الناتج القومي الإجمالي وفي رفع مستوى معيشة أفراده.

حددت الشريعة الإسلامية ضمن تراث ضخم من الأفكار والآراء الفقهية منحت بموجبها القيادة السياسية للمجتمع دوراً مميزاً وكبيراً في توجيه ومسارات الانفاق والتنمية، وفي حفظ الموازنات والمصالح العامة للمواطنين والدولة دون حصول تجاوز بينهما، يتطلب من القيادة السياسية والمفكرين الاقتصاديين إجهاد أنفسهم في صياغة وبناء نموذج تنموي يتناسب مع القيم والمفاهيم الفكرية المستمدة جذورها من الشريعة الإسلامية.

خامساً: السلوك الاقتصادي للإنسان في المجتمع:

تفق الحضارة الغربية المادية(الرأسمالية والاشتراكية) والحضارة الإسلامية على أن الإنسان هو الهدف والغاية، وهو المحرك للعملية الاقتصادية، ولكنهم يختلفوا في تحديد سلوكه وشخصية وتركيبة هذا الإنسان.

كما يلي:

أ ـ في النظام الرأسمالي:

تفترض النظريات الاقتصادية للنظام الرأسمالي على وجود الإنسان الاقتصادي وتعرفه بكونه ذلك الكائن الذي يسعى بعقله وفطرته لخير نفسه، وحاول (آدم سمث) تصوير العلاقات الاقتصادية المركبة والمتشابكة كونها مبنية على فكرة الغريزة الاقتصادية المتأصلة في الإنسان التي تجعل منه يتجه دائماً في سلوكه وتصرفه باتجاه البحث عن مصلحته ومنفعته الشخصية.

يتصف الرجل الاقتصادي طبقاً لمفاهيم المذهب الرأسمالي بخصائص مميزة تنبع من نظرته للحياة والكون والآلة والعلاقات المتداخلة بينهما، وذلك كما يلي:

١ـ تتحدد سلوكيات المنتج والمستهلك كونه رجل رشيد يسعى إلى تحقيق أكبر منفعة له بأقل التكاليف الممكنة.

٢ـ تحكم ممارسته للأنشطة الاقتصادية إطار الحرية، وإن سلوكيته الاقتصادية تعكس حرية الإنسان وإرادته الحرة في اتخاذ القرارات الاقتصادية وفي تنفيذها.

٣ـ تحكم ممارسته للأنشطة الاقتصادية النظرة المادية، وليس للجانب الروحي دور مهم مع وجود نظام أخلاقي متطور.

٤ـ المصلحة الشخصية الذاتية هي المحرك الأساسي لممارسة العملية الاقتصادية وهذه المصلحة كفيلة بتحقيق أهدافه الشخصية وأهداف المجتمع في آن واحد.

ب ـ في النظام الاشتراكي:

تحكم سلوكية الإنسان في تصرفاته الاقتصادية سمات وخصائص تتصف بالديناميكية والتغير طبقاً للمقتضيات والعوامل التي تفرضها طبيعة الصراع والتناقض المرير بين أدوات وأشكال الإنتاج من جهة وعلاقات الإنتاج من جهة أخرى.

فالإنسان في كل مرحلة من مراحل التطور نموذج من السلوكيات تميزه وتتجسد بشكل كبير في تحديد سلوكية حياته الاقتصادية والاجتماعية.

ج ـ في النظام الإسلامي:

الإنسان في الفكر الإسلامي(كائن مفكر ومؤمن)، فالمحرك الرئيس لحركة الإنسان الاقتصادية طبقاً لفطرته الإنسانية تتمثل بحبه للخير والسعادة وبغضه للألم والشقاء لنفسه، فيها يتفق النظام الإسلامي والرأسمالي بكون الدافع الذاتي هو المحرك لسلوكيته الاقتصادية، ولكنهم يختلفوا في تحديد مفهوم السعادة والشقاء فالفكر الرأسمالي يحصرها في قيم مادية صرفة في حين يتوسع المضمون في الفكر الإسلامي ليشمل المضمون المادي والروحي في آن واحد وله تفسير معين لمضمون الدافع المادي منسجم مع حركته التكاملية الروحية في الحياة.

استناداً لذلك يمكن تصوير الرجل الاقتصادي في الفكر الإسلامي يتميز بالخصائص التالية:

١ـ الرجل الرشيد الذي يسعى لتحقيق أكبر قدر ممكن من المنفعة المادية والروحية على المستوى الفردي والمجتمع بأقل التكاليف.

٢ـ تحكم تصرفاته الاقتصادية الخوف من العقاب والشوق إلى الثواب بانسجام مع فطرته المادية وذلك ضمن مشروع تطور من التربية والتثقيف الإسلامية، لتعزيز إنسانية الإنسان عند ممارسة النشاط الاقتصادي في الإنتاج والاستهلاك.

٣ـ تحكم تصرفاته الاقتصادية تطبيق فكرة الاعتدال لا إفراط ولا تفريط واعتماد معايير لتطبيق الرشد في السلوك الاقتصادي.

٤ـ اعتماد نموذج للخلاق ينسجم مع ما سبق وطبقاً للقواعد والمفاهيم الإسلامية.

وبخصوص علاقة الفرد مع المجتمع، فقد استند المجتمع الغربي الرأسمالي على مبدأ أساسي هو تعزيز حرية الفرد ضمن مصالح المجتمع لتحقيق العملية التنموية المنشودة، فهي علاقة مادية تعتمد على تحقيق المصالح المشتركة ضمن نموذج أخلاقي خاص بهما، يعتمد هذا النموذج على الأوزان النسبية لقوى السوق مكونة بذلك إطار خاص بها.

تحقق هذا النموذج بعد صراع طويل توصل النظام في نهاية الخط لهذا الإطار والذي يمثل النموذج الاقتصادي المطبق حالياً، ومن خصائص هذا النظام إيفائه بالمتطلبات الإنسانية، قدم بموجبها تجربة إنسانية جديرة بالاحترام وتضمنت خدمات عظيمة في المجال الاجتماعي متمثل بالصرح الكبير من المؤسسات الاجتماعية لخدمة هذا الهدف.

أما الحضارة المادية الاشتراكية فإنها تركز بالدرجة الأولى على تحقيق مصالح المجتمع وتعزيز سلطاته وقدراته على حساب حرية وسلطات الفرد، لاعتقادها بأن مصالح الفرد تتحقق ضمن تعزيز وتعظيم سلطات المجتمع، وذلك ضمن تحليل فلسفي عميق يعتمد التفسير المادي للتاريخ.

لذلك فإن الحضارة الغربية المادية (الرأسمالية والاشتراكية) يقفان موقف النقيضين بخصوص تحديد العلاقة بين الفرد والمجتمع كما بينا آنفا.

أما الفكر الإسلامي فيمكن أن نلخص نظرته بخصوص علاقة الفرد والمجتمع

بأنها تتم وفق (موازنة)، وتتحقق عملية الموازنة من خلال تحديد حقوق ومصالح كل طرف بشكل متوازن طبقاً للأحكام الواردة في الشريعة الإسلامية، وتستند أحكام الشريعة على فكرة الوسطية (التي تعني إعطاء كل عامل وزنه الحقيقي وفق موازين عدل)، ولا يقصد بالوسطية إيجاد توافقية بشكل انتهازي كحل لمشكلة معينة.

سادساً: التوازن في العملية التنموية:

نجحت الحضارة الغربية الرأسمالية في تحقيق التوازن داخل الأنشطة الحياتية للمجتمع، وهي تشمل عملية التوازن المتحققة بين قوى السوق داخل المجتمع، وعملية التوازن المتحققة بين الأنشطة السياسية في مراحلها المتعددة.

فعملية التوازن المتحققة في توزيع الدخل بين الأفراد داخل المجتمع الغربي تمثل انعكاس لعملية التوازن التي استطاع النظام الرأسمالي تحقيقها لضمان بقاءه ولضمان مصالح قوى السوق داخل مجتمعه، مع ضمان مصالح الأفراد الذين هم خارج النشاط الاقتصادي وهم (كبار السن والفقراء والعاطلين عن العمل لأسباب عديدة حيث ضمنت لهم قوانين الضمان الاجتماعي حقوق للعيش الكريم بواسطة مؤسسات اجتماعية ضخمة)، إن عملية التوازن تلك لم تتحقق إلا بعد أن مر النظام الرأسمالي بمراحل متعددة من الصراع الطبقي بين قوى السوق، استطاع في النهاية التوصل إلى الحالة التوافقية للتوازن تضمن مصالح الجميع ضمن مصلحة المجتمع، وتمثل دور الدولة القيام بمهمة الراعي والمحامي لهذه الصيغة التوافقية، وبموجب هذا الاتفاق تم إعداد وصياغة(المفاهيم والأسس الفكرية للحضارة المعاصرة)، فهذه المفاهيم والأسس الفكرية جرى صياغتها بصورة لاحقة أو مترافقة مع هذا الصراع، فهي بذلك منسجمة معه وتمثل انعكاس حقيقي له، وهي لم تعتمد عند صياغتها على أسس فكرية لمبادئ العدالة معتمدة مسبقاً من قبل المجتمع.

أما علاقته الدولية مع المجتمعات العالمية فيحكمها تحقيق المصالح المادية للأطراف الممثلة لقوى السوق الوطنية، ولا نرى تطبيقه الموازنة التي أقرها داخل مجتمعه بل اعتمد بدلاً عنها مبادئ المصالح المادية له، لذلك نرى حالة التصارع في العلاقات الدولية وفق هذه الأسس والمفاهيم المادية.

واستناداً لذلك فإن التوازن الموجود في عناصر عملية التنمية يغلب عليه الهدف الاقتصادي المادي على حساب الأهداف الأخرى (الاجتماعية، البيئة، الثقافية والعسكرية...الخ).

بموجب ذلك برزت مشاكل وأضرار من نوع جديد كنتيجة طبيعية (بسبب النماذج المعتمدة في تحقيق العملية التنموية).

استناداً لذلك ظهرت أصوات لمفكرين من داخل الحضارة الغربية تطالب بمعالجة هذه المشاكل والأضرار الناتجة والمرتبطة بنموذج الحضارة الغربية لعملية التنمية، نشئ عنها نمو وعي واسع شكل عامل ضغط كبير طالب بمعالجة هذه المشاكل وإيجاد الحلول المناسبة لها، انعقدت لأجلها مؤتمرات عالمية متعددة منها على مستوى القمم، تبلور على أثرها تكوين أفكار ومفاهيم لنماذج جديدة ومتطورة لعملية التنمية المتوازنة، لتجاوز المشاكل والسلبيات الناتجة من تنفيذ النماذج التقليدية للتنمية، أطلق على هذه النماذج والمفاهيم الجديدة اسم (التنمية المستدامة).

أما الفكر الإسلامي فإنه يملك حجم كبير من المضامين والأفكار والمبادئ ذات البعد العميق والعلمي في تحقيق التوازن المستندة لمبادئ العدالة، يتطلب تجميعها وصياغتها ضمن نظريات متكاملة ومتراصة، لتكوين مفاهيم متطورة قادرة على مواجهة التحديات المعاصرة، يتم بموجبها تنفيذ المفاهيم الخاصة بالتنمية المستدامة، إنَّ متطلبات التنمية المستدامة يمكن تحقيقها طبقاً للنموذج المعرفي الإسلامي، لأن مبادئ العدالة والتوازن اللازمة لتحقيق العمليات التنموية ضمن صيغتها المستدامة تنسجم وتتناسق مع المفاهيم الإسلامية، يساعد على تنفيذها التثقيف السليم والمركز لمبدأ عبودية الإنسان لخالقه مما يجعل الإنسان مطيع للأحكام المشرعة طبقاً للشريعة الإسلامية، وليس وفق المصالح المادية الصرفة، كما ويمثل مفهوم خلافة الإنسان في الأرض التخويل الممنوح له من الخالق بعمارة الأرض، حيث تم تسخير جميع موجودات هذا الكون لخدمته وتحقيق هذه الغاية، ضمن مفاهيم وأحكام الشرعية الإسلامية.

من ذلك نستنتج أن نجاح تنفيذ أي عملية تنموية حقيقية تتطلب توفر نوعين من المقومات الأساسية الأولى مادية والثانية معنوية طبقاً للظروف والعوامل السائدة في حينه.

المجموعة الأولى: تمثل مجموعة عناصر الإنتاج المادية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والتكنلوجية والطبيعية.

وتمثل المجموعة الثانية: عوامل داخلة في ذاتية الإنسان وتتمثل بمجموعها القيم والمبادئ والمفاهيم الفطرية والمكتسبة التي يعتقد بها الفرد والمجتمع.

إنَّ كلا من المجموعتين لها أهمية متساوية في تحقيق لنجاح في تنفيذ العملية التنموية فالمبادئ والمفاهيم العقائدية تمثل الموجه والمرشد تحكم تصرفات وسلوكيات الأفراد، فيجب أن تكون هذه المفاهيم منسجمة مع طبيعة الإنسان الفطرية ومنسجمة مع التطورات الثقافية الحاصلة، ويتوفر بموجبها قناعة الأفراد بها.

كذلك فإن توفير عناصر الإنتاج المادية بالحجم والنوعية المطلوبين يمثلان عنصر مهم جداً في نجاح أو فشل المشاريع التنموية.

فوجد نظام عقائدي متطور ونموذجي لا يمكن بمفرده تحقيق عملية تنمية حقيقية، ما لم يترافق معه التحضير الجيد لعناصر الإنتاج المادية طبقاً لمتطلبات عملية التنمية المراد تنفيذها ■

طروحات عامة

السلاجقة ودورهم في إذكاء العصبية المذهبية في بغداد

د. محمد جواد فخر الدين •
كلية التربية/ جامعة الكوفة

ينابيع

أولى البويهيون الحياة الفكرية في العراق اهتماماً كبيراً ورعايتهم للعلماء وإنشاءهم عدد من دور العلم والمكتبات، حيث خطا المجتمع الإسلامي خطوات واسعة في مضمار التقدم العلمي[1]، واعتبر الدكتور مصطفى جواد هذا العهد: (من أزهر العهود الثقافية في البلاد، لإطلاق الحرية الدينية والحرية الفكرية، والحرية القلمية)[2]، وقد تميز ذلك بوجه خاص في عهد عضد الدولة البويهي، وقد نبغ عدد كبير من العلماء والفقهاء والمحدثين من مختلف المذاهب الإسلامية خلال فترة القرن الرابع الهجري[3].

وكانت الزعامة الفكرية للشيعة الإمامية فيها للشيخ المفيد، وقد جلس بين يديه طلاب العلم من مختلف المذاهب للاستفاضة من علومه في مدرسة الفقه والأصول والعقائد وعلوم القرآن والحديث والتاريخ والأدب، فعد موسوعة زمانه في العلوم الدينية[٤]، فكان الجو الفكري المشبع بالأصالة والإبداع من أهم الأسباب التي حملت الشيخ الطوسي على الهجرة إلى بغداد[٥].

وبعد وفاة الشيخ المفيد سنة ٤١٣هـ[٦]، انتقلت الزعامة الدينية عند الإمامية إلى الشريف المرتضى لما امتاز له من مقدرة علمية فذة ونتاجات في مختلف العلوم، كالفقه والتفسير والحديث، وعلم الكلام والأدب، حيث كان له مساهمة فعالة في نشر الحركة الفكرية في بغداد، وقد عدته بعض كتب الرجال من مجددي مذهب الإمامية خلال القرن الرابع الهجري[٧] وقد وصفه تلميذه الشيخ الطوسي وصفاً في غاية الدقة بقوله: (متوحد في علوم كثيرة، مجمع على فضله...)[٨]، وكانت له مكتبة كبيرة تحتوي على أصناف العلوم والمعرفة التي كانت تضم أكثر من ثمانين ألف مجلد[٩]، وقد انحاز الشيخ الطوسي إليه ولازمه الحضور تحت منبره للنهل من علومه وعين له في كل شهر اثنى عشر ديناراً[١٠]، واعتنى السيد المرتضى كثيراً من تلميذه الشيخ الطوسي: (وبالغ في توجيهه أكثر من سائر تلامذته لما شاهد فيه من اللياقة التامة)[١١] وبقي ملازماً له طيلة ثلاثة وعشرون عاماً[١٢]، حتى وفاته سنة ٤٣٦هـ[١٣].

وبعد وفاة السيد المرتضى استقل الشيخ الطوسي بالزعامة، وظهر على منصة الزعامة الدينية في بغداد واستمرت زعامته مدة اثنتي عشر عاماً (٤٣٦ - ٤٤٨هـ) وتقاطر

عليه العلماء من مختلف المذاهب الإسلامية لحضور مجلسه[١٤] حتى عد تلاميذه أكثر من ثلاثمائة تلميذ[١٥]، وبلغ الأمر من الاعتناء به والإكبار له أن جعل له الخليفة العباسي القائم بأمر الله كرسي الكلام والإفادة وكان هذا الكرسي إلا للقليلين من كبار العلماء، أو لمن كان وحيد عصره[١٦] أو من برز في علومه وتفوق على أقرانه، وهذا له دلالة كبيرة على تفوق وبلوغ المدرسة الفكرية الإمامية مرتبة عالية حتى اعترف بها رسمياً، وأصبح بذلك الشيخ الطوسي عميد هذه المدرسة في بغداد.

وكان أهم ما تميز به عهد الشيخ الطوسي في بغداد بفتح باب الاجتهاد، وكان (سد باب الاجتهاد من أهم عوامل الجمود، وتخلف السلطات التشريعية في حاضر العالم الإسلامي وقصورها أو تقصيرها عن مواكبة الزمن في سيره الحثيث، وتيسر مصالح الأمة في شتى نواحيها السياسية والاجتماعية والاقتصادية)[١٧]، وكان للشيخ الطوسي الدور البارز في فتح باب الاجتهاد، ووضع مناهج البحث والاستنباط الأصولي في الفقه، وكان هذا ناتجاً عن (بعد نظره، وعمق تفكيره، وإصابة آرائه، وطموحه الفكري للتجديد أثر كبير في تطوير الفقه)[١٨]، وكانت حياة الشيخ في مرحلة التلمذة والتدريس سلسلة من المحاولات التجديدية لتطوير علم الفقه وصياغته من جديد، وتجديد أصول الصناعة والصياغة الاستدلالية فيه[١٩]، لذا يمكن القول ان مدرسة الشيخ الطوسي قد استطاعت من فرض وجودها على الرغم من وجود المخالفة ومعارضات المذاهب الكلامية والفقهية التي لم يقدر لها الصمود أمام هذا السيل العارم.

لقد كان لدخول السلاجقة إلى بغداد سنة ٤٤٧هـ، علامة فارقة في تاريخ الحياة الفكرية في بغداد، الذين استخدموا أبشع الأساليب للقضاء على الحريات الفكرية التي كانت تتمتع بها المذاهب الفكرية قبل ذلك، ولم يكن يهم السلاجقة ان يحرقوا تراث كامل ما دام يمثل فكراً مخالفاً لمعتقداتهم كما حدث ذلك لمكتبة شابور بن اردشير[٢٠]، بناها هذا الوزير الجليل في محلة بين السورين في الكرخ سنة ٣٨١ هـ على مثال بيت الحكمة الذي بناه هارون الرشيد، وكانت من الأهمية العلمية بمكان، حيث جمع فيها هذا الوزير ما تفرق من كتب فارس والعراق، واستكتب تأليف أهل الهند والصين والروم، ونافت كتبها على عشرة آلاف من جلائل الآثار ومهام الأسفار، وأكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلفين[٢١] حيث: (حمل إليها كتب العلم من كل فن وسماها دار العلم وكان فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد، ووقف عليها الوقوف)[٢٢]، وكانت مهوى العلماء والباحثين، يترددون إليها للدرس والمناظرة والمباحثة[٢٣]، حتى قال عنها ياقوت الحموي: (ولم يكن في الدنيا أحسن كتبا منها، كانت كلها بخطوط

الأئمة المعتبرة وأصولهم المحررة)[٢٤].

وقد كانت بغداد خلال هذا العهد مسرحاً لهذه الفتن، اشتد عنفها سنة ٤٤٨هـ فقد بلغت ذروتها من القتل والإحراق، وخاصة مفكري الإمامية حيث لم يسلم الشيخ الطوسي من غوائلها، فقد كبست داره[٢٥]، ونهبت[٢٦]، وأحرقت[٢٧]، كما لم تنجو كتبه وآثاره من الحرق[٢٨]، ولمرات عديدة، وبمحضر من الناس[٢٩] ولم يقف عند هذا الحد فحسب بل قاموا بإحراق كرسي التدريس الذي منحه إياه الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢ ـ ٤٦٧هـ) [٣٠].

وقد تمثلت سياسة السلاجقة بإذكاء العصبيات المذهبية، وخلق وتغذية الانقسامات الاجتماعية والدينية في المجتمع العراقي، مما سهل عملهم ضعف سلطان الخليفة[٣١] حيث فقد هيبتها وسلطانها على النفوس، وتحولت الخلافات الفكرية بين المذاهب الإسلامية من خلافات فكرية نافعة إلى معارك دموية مدمرة، كان المنتفع منها ذلك الأجنبي الدخيل الذي استطاع عن طريقها إطالة أمد احتلاله، إضافة إلى: (إن بعض السلفيين المتشددين الذين كانوا يفيدون من الخلاف والفرقة بين عناصر المجتمع إذا هم ما لمسوه من تقارب نسبي بين الطوائف المسلمة، فجندوا أنفسهم لتعكير صفو الأمن، واظهروا كل ما تكنه نفوسهم من تعصب ضد خصومهم في المذهب، فاعتدوا على رجال العلم، وعرضوا قسماً مهماً من التراث الإسلامي إلى الضياع، بإحراقهم المعاهد ودور الكتب)[٣٢].

فكثرت بذلك المنازعات والانقسامات والفتن في العراق عامة وفي بغداد خاصة، وشهدت الفترة الواقعة ما بين سنة ٤٤٧هـ حتى سنة ٥٧١هـ ما يقارب من ستة عشر حادثة نزاع مذهبي وطائفي وبالأخص في بغداد[٣٣]، وما صاحب ذلك من عمليات قتل ونهب وإحراق وتدهور في الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

واستمر هذا التدهور يحيط بالبلاد من كل جانب وخضعت الخلافة إلى هذا التسلط لفترة طويلة زادت على القرن[٣٤]، وعلل أحد الباحثين هذه السياسة التي اتخذها السلاجقة اتجاه أبناء المذاهب الأخرى بقوله: (كما أثرت بداوة السلاجقة في حالتهم الدينية، فانهم حين دخلوا الإسلام تعصبوا له تعصباً شديداً، ومالوا ميلاً مفرطاً لأهل السنة والجماعة حيث دخلوا الإسلام على المذهب السني) [٣٥]، بينما وصفها البياتي بقوله: (انها دولة علمانية فصلت الأمور الدينية عن الأمور الدنيوية فصلاً تاماً)[٣٦].

ومن الأساليب التي اتخذوها لإضعاف المذاهب الأخرى هو إنشاؤهم المدارس النظامية في عهد السلطان ألب أرسلان فان وزيره نظام الملك كان أول من أنشأها في بغداد وكان الهدف من إنشائها آنذاك هو خدمة المذهب الشافعي[٣٧]. وإيقاف التطور الفكري الذي اتجه إليه الشيعة والمعتزلة وغيرهم ممن يأخذون بالنزعة العقلية[٣٨]، ويرى الدكتور حسين أمين أنها قد خلقت لمكافحة التشيع[٣٩]، وتوجيه الحياة العلمية توجيهاً يخدم مصالح هذه الدولة[٤٠].

ويمكن أن نقف على قرب من الدور الذي لعبته هذه المدرسة خلال ذلك الوقت من خلال ما ذكره ابن تغري بردى: (أنه أخذت فتاوى الفقهاء بتعزير أحمد بن إسماعيل بن يوسف أبي الخير القزويني الشافعي إذ قال على منبر النظامية يوم عاشوراء: يزيد إمام

مجتهد...)[٤١].

ولذلك نلاحظ لم تكن بغداد فقط حاضنه لهذه المدارس فحسب بل انشأت في أماكن متعددة من العالم الإسلامي إذ يقول السبكي عن نظام الملك: إنه بنى مدرسة ببغداد ومدرسة ببلخ، ومدرسة بنيسابور، ومدرسة بهراة، ومدرسة بأصبهان، ومدرسة بالبصرة، ومدرسة بمرو، ومدرسة بآمل طبرستان ومدرسة بالموصل[٤٢]. هذه إذن هي أمهات المدارس النظامية التي أنشئت في المشرق الإسلامي ويتضح من توزيعها الجغرافي أن معظمها أنشئ إما في بعض المدن التي تحتل مركز القيادة والتوجيه الفكري، كبغداد وأصفهان، حيث كانت الأولى: عاصمة للخلافة العباسية السنية، ويتركز فيها عدد كبير من المفكرين السنيين أيضاً. والثانية: كانت عاصمة للسلطنة السلجوقية في عهد ألب أرسلان وملكشاه (عصر نظام الملك) وإما في بعض المناطق التي كانت مركزاً لتجمع شيعي في تلك الفترة كالبصرة ونيسابور، وطبرستان، وخوزستان، والجزيرة الفراتية[٤٣]. إن هذا التوزيع الجغرافي يشير بوضوح إلى أن وضع المدارس النظامية في الأماكن السابقة لم يأت اعتباطاً، وإنما كان أمراً مقصوداً ومدروساً حتى تقوم بدورها في محاربة الفكر الشيعي في هذه المناطق، وتفتح الطريق أمام غلبة المذهب السني.

وعلى الرغم من هذه الجهود الحثيثة التي بذلها السلاجقة لإضعاف الفكر الإمامي وتفتيت قوة الشيعة في العراق إلا أنها قد باءت بالفشل، وذلك لأن نشاط علمائهم ومفكريهم وكثرة أنصارهم وما خلفوه من تراث فكري كبير، كله دل على ان الفكر الإمامي لم تنطمس آثاره كما كان مخطط له ■

---

(١) حسن، سعاد جواد، الحياة العلمية في بغداد في القرنين الرابع والخامس الهجريين، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الكوفة ١٩٩٧، ص٢٦.

(٢) أبو جعفر النقيب، ص٥.

(٣) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر: أمين، حسين، الحياة الثقافية في العصر البويهي، مجلة آداب المستنصرية، العدد الخامس، ١٩٨٠، ص٢٧٨ – ٢٩٢، الزبيدي، محمد حسين، المراكز الثقافية في العراق في القرنين الرابع والخامس الهجريين، مجلة المؤرخ العربي، العدد العشرين، ١٩٨١، ص٢٠٥ – ٢١٠، الفياض، عبد الله، دور العلم وخزائن الكتب في العصر البويهي، المجلة التاريخية، العدد الأول، السنة الأولى، ١٩٧٠، ص٧٢-٧٣.

(٤) نصار، جهود الشيخ المفيد، ص٣٠.

(٥) الحكيم، الشيخ الطوسي، ص٦٥.

(٦) النجاشي، الرجال، ص٣١٥، الطوسي، الفهرست، ص١٨٦، ابن داود، الرجال ق٣٣٤/١، العلامة الحلي، الرجال، ص١٤٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٥/١٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ١٩٩/٣.

(٧) الكاظمي، مقابس الأنوار، ص٨.

(٨) الفهرست، ص١٢٥.

(٩) علي خان المدني، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، ص٤٦٣، الكاظمي، مقابس الأنوار، ص٨.

(١٠) آغابزرك، مقدمة كتاب النهاية، ص ج، الأمين، أعيان الشيعة، ٣٤/٤٤، بحر العلوم، مقدمة الرجال، ص٦.

(١١) بحر العلوم، الرجال، ٢٤٥/١، الهامش، الأمين، المصدر نفسه، ٣٣/٤٤، بحر العلوم، مقدمة الرجال، ص٦.

(١٢) آغابزرك، مقدمة كتاب التبيان، ١/د، مقدمة النهاية، ص ج، بحر العلوم، مقدمة الرجال، ص٦، الحكيم، الشيخ الطوسي، ص٧٣.

(١٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٠٣/١١، الحموي، معجم الأدباء، ١٤٧/١٣، العلامة

الحلي، الرجال، ص٩٥، ابـن داود، الرجال، ق٤/١، اليافعي، مرآة الجنان، ٥٥/٣، الأميني، الغديـر، ٢٧٦/٤، نعمـة، عبد الله، فلاسـفة الشيعة (حياتهم آراؤهم)، مطابع دار مكتبة الحياة للطباعـة والنشـر، بيـروت، لا.ت، ص٢٧٦.

(١٤) البهبهاني، محمد باقر بن محمد، تعليقة الإسناد علـى منهج المقال المسـمى (الرجـال الكبير) مخطـوط، مكتبـة الإمـام الحكيم فـي النجف الأشرف، تحت رقم ٣٦، ورقة رقم ١٢٧.

(١٥) آغابزرك، مقدمة التبيان، ١/د، القمي، الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذاهب الجعفرية، مطبعـة المركزي، طهـران ١٣١٧هـ، ص٤٧٢، بحر العلوم، مقدمـة الرجال، ص١٢، الحكيم، الشيخ الطوسي، ص٧٥.

(١٦) البهبهاني، تعليقة على منهج المقال، ورقة رقم ١٢٧.

(١٧) الشبيبي، محمد رضا، مؤرخ العراق ابن الفوطي، مطبعـة التفيـض، بغـداد، ١٣٧٠هـ، ٢١٥/١.

(١٨) الآصفي، محمد مهدي، مقدمة اللمعة الدمشقية للشـهيد الأول، ط١، مطبعـة الآداب، النجف، ١٣٨٦هـ، ٢٥/١.

(١٩) القزوينـي، علاء الدين أميـر، الفكر التربوي عنـد الشـيعة الإماميـة، ط٢، مكتبـة الفقيه، الكويت ١٩٨٦، ص٢٩٠.

(٢٠) شـابور بن اردشير الملقب ببهاء الدولة، وزير بهـاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة، كان من أكابر الوزراء، وتوفي سـنة ٤١٦هـ، انظر: ابن الأثيـر، الكامل، ٣٢٤/٧، ابـن خلكان، وفيات الأعيـان، ٩٩/٢-١٠٠، ابن كثير، البداية والنهاية ١٩/١٢، وكان احتراق المكتبة سنة ٤٥١هـ، ينظر: الأصفهاني، تاريخ دول آل سلجوق، ص٢٠.

(٢١) محمد كرد علي، خطط الشام، ١٨٥/٣.

(٢٢) ابـن الجـوزي، المنتظـم، ٢٢/٨، محمد كرد علي، خطط الشـام، ١٩٠/٦، كوركيس عواد، خزائن الكتب القديمة في العراق، ص١٤٠.

(٢٣) كوركيس عواد، المصدر نفسه، ص١٤٠.

(٢٤) معجم البلدان، ٣٤٢/٢.

(٢٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ٧١/١٢.

(٢٦) ابـن الجوزي، المنتظـم، ١٧٣/٨، ابن كثير، المصدر نفسه، ٦٩/١٢.

(٢٧) الكاظمـي، مقابـس الأنـوار، ص٦، هاشـم معـروف الحسـيني، المبـادئ العامـة للفقـه الجعفـري، ص٢٨٤، سـركيس، معجـم المطبوعات، العربية والمعربة، ص١٢٤٨.

(٢٨) ابـن الجوزي، المنتظـم، ١٧٩/٨، ابن كثير، البدايـة والنهاية، ٧١/١٢، الحسـيني، المصدر نفسـه، ص٩٧، سـركيس، المصـدر نفسـه، ص١٢٤٨.

(٢٩) السـبكي، طبقات الشـافعية الكبرى، ١٢٧/٤، حاجـي خليفـة، كشـف الظنـون، المطبعـة الإسلامية، ٤٥٢/١.

(٣٠) ابـن الجوزي، المنتظم، ١٧٩/٨، بحر العلوم، مقدمة رجال الطوسـي، ص٣١، مظفر، الشيخ الطوسـي، ص٤، الحسـيني، المبادئ العامة، ص١٩٧.

(٣١) المشـهداني، محمـد جاسـم، نهايـة النفـوذ السـلجوقي في العراق، مجلة المؤرخ العربي، العدد الخامس والعشرون، ١٩٨٤، ص١٩٦.

(٣٢) الحكيم، الشيخ الطوسي، ص٧٨ - ٧٩.

(٣٣) ابـن الجوزي، المنتظـم، ٦٣/٨، ٧٢، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٧٧، ٣٠٥، ٢٦/٩، ٣٨، ٧٧، ٢٤٩/١٠.

(٣٤) الجبـوري، محمـد ضايـع حسـون، الخلافة العباسية دراسة في أحوالها السياسية والإدارية والاقتصادية (٥٣٠ - ٥٧٥هـ)، رسالة ماجستير، غيـر منشـورة، كليـة الآداب، جامعـة بغداد، ١٩٨٨، ص٩٥.

(٣٥) محمود، العالم الإسلامي، ص٥٤٨.

(٣٦) فاضل مهدي، السياسة السلجوقية في العراق، مجلة المـؤرخ العربـي، العدد الثامن عشـر، ص٩٧.

(٣٧) نظام الملك: سياسة نامه، ص٤٨٥، الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مطبعة السـريان، (بغـداد/١٩٤٥م)، ص٢٤٧.

(٣٨) الحكيم، الشيخ الطوسي، ص٥٨.

(٣٩) العراق في العصر السلجوقي، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٥، ص٢٢٢.

(٤٠) حسن، الحياة العلمية في بغداد، ص٣٠.

(٤١) النجوم الزاهرة، ٦/.

(٤٢) طبقات الشافعية، ص١٨٠.

(٤٣) التاريخ السياسي والفكري، ص١٨٠.

طروحات عامة

المجتمع المدني.. ووعي التغيير

باسل حسن لايذ •

ينابيع

لاشك في أنّ أي مجتمع بشري يزخر بمفارقات ومتناقضات تعكس طبيعة حياة الأفراد فيه، وهي تمثّل الواقع الاجتماعي ونمطيّة العلاقات بين أبناءه ومكوّناته، ويعمل هذا المفهوم عندما نراجع ما نحتاجه لمعالجة مشكلاتنا الحياتية في وطننا العراق، ولعل أهم ما يمكن الحديث عنه في هذا المجال المشكلات التي جثمت على صدور العراقيين وقد لعبت دوراً بارزاً في سلوكياته المجتمعية تارة بصورة إيجابية وفي الأعم الأغلب كانت سلبية.

لأن هذه المؤشرات (المشكلات) جاءت من تراكمات قرون طويلة ومتعاقبة عبر تاريخه أثّرت في عاداته

السلوكية التي من أبرز سماتها الخوف والكراهيّة المترسّخة في ذاكرته وذهنيته وخيالاته فأصبح ذلك واقعاً فعلياً لم يتمكن مجتمعنا من الخلاص والإفلات من ممارسات اصطبغت سلوكها به، أبرزها على سبيل المثال لا الحصر (أعراف قبلية في بعض الأحيان تقترب من الجاهلية ـ تقاليد مذهبية في عقول متحجرة ـ اعتقادات محرّفة ـ تفاخر بالأنساب والمذاهب ـ هوس النعرات الدينية) فيما أصبح ظاهراً من أحوالنا، صار لزاماً علينا العمل لما ينبغي أنْ نضعه من أسس وقواعد من ضرورات انتزاع تلك الرواسب المتخلفة في سلوك (المجتمع الأهلي) التي لوّثت عقله النزاعات التي أشرنا إليها والتي جعلت نمط الحياة عندنا يفرز مساوئ (المجتمع الأهلي) الذي تتحكم وتنظّم علاقاته تلك الذهنيات التي يرجع لها أفراد ومجتمع تستأثر بعقله سلطات همها الولاء لها وهي بذلك تعبّر عن عنصريّتها في العلاقة بينها وبين مجتمعها الذي تعيش فيه وهي بهذه التصرفات لا يمكن الاعتماد عليها والوثوق بأخلاقها وتصرفاتها وفي الواقع هي تتصرّف هكذا لمصالح آنية حتماً ستكتشف الناس يوماً سعي هذه السياسة لهؤلاء العنصريين ممّا يمنع التعويل على ما يقولون أولئك المغرمون بتسويق الجهل ودفع المجتمع إلى العزلة والهروب به بعيداً إلى التربية المتخلّفة ووضع ذلك المجتمع في تكتّلات يصعب الإفلات منها.

لذا فمن الواجب على عشّاق الحياة والسلام وعشّاق بناء المجتمع المدني

العمل على تفكيك منظومات المجتمع الأهلي التي من بينها وأبرزها الاستئثار بالسلطة وإقصاء الآخر وكما ذكرنا سابقاً (ولاءات طائفية وقبلية وعنصرية) فإن الموضوعية والعقل يقولان أن لا خلاص إلا بدولة تترسخ مفاهيمها بضبط وإدارة العلاقات بين كل المكونات بتغليب المؤسسات الوطنية وسلطة القوانين الدستورية للحد من تلك السلوكيات التي أضرت بمجتمعنا العراقي، فإنّ خيار عشّاق الحياة هو تفعيل الوعي لتنشيط عناصر المجتمع المدني فمهمة مثل هذه تعبر عن وعي الأقوال ودوام الإصرار في العمل الجاد للمطالبين بالتغيير وإشراك الأفراد بأنشطة المجتمع المدني وفعّالياته لممارسة دوره ووظيفته في المشاركة الفاعلة بالتجديد ورفض الموروث المتخلف من الخرافات المتراكمة ولن نتخطى تلك العقبات ما لم نعترف بصراحة وجرأة من عدم الفائدة في الحديث فقط عن مجتمع نعدد فيه الفضائل دون أن تكون للجرأة دور واضح وكذلك الصراحة بالترويج عن تلك الفضائل والتي لا ننكر وجودها في أوساط مجتمعنا وهي نفسها تعيننا (الجرأة والصراحة) في أن نضع يدنا على مكامن الخلل ومفارقات الطبيعة السائدة بمجتمعنا الذي يمكن تسميته (المجتمع الأهلي) إن جاز لنا ذلك، لما فيه من مظاهر تبعده عن ملامح المجتمع المدني الذي يجب أنْ تعمّ فيه ثقافة وقيم وتقاليد ترفض الأحاديّة وترفض الذهنيّات والسلوك التي تقوّض خيار الدولة الديمقراطية التي تحترم مشاركة المواطن عبر أنشطة منظمات المجتمع المدني وفعاليات التوجه الديمقراطي ولتخطّي موانع التمني الشخصي ولتحقيق الرغبة الإنسانية في امتلاك الحرية والمثابرة في تنمية العقل والطاقات البشرية واستكمالاً لمضاعفة وتكثيف الجهود الشعبية وسعياً لإنجاح خلق بيئة يكون فيها المواطن عنصراً فاعلاً مباشراً في العمل الميداني، مساهماً في التغيير وانسجاماً مع حاجات ومتطلبات المواطنة فعلى الأنشطة المدنية أن تتسابق للعمل الجماعي وفي كل الميادين ومن كل الشرائح المحبّة للعمل ببناء الحياة وترسيخ المجتمع المدني، رغم ما ندركه من قلة التفاعل بجدوى عمل مثل هذا في الأوساط الشعبية لما تركته خيبات الأمل من أعمال وسلوكيات أصحاب المصالح الشخصية وبهذه الحالة تعاظمت المسؤولية في أنْ نشد العزم ونتكل على النفوس التي تريد أنْ تحيا حياة جديدة وبهمة متواصلة ونلاحق الفرصة تلو الفرصة فما زالت الفرصة قائمة مهما كانت الصعاب والمعوقات، ونستمد المحبة والسلام من نفوس عمرت بالعمل لنرسّخ هذين المفهومين (المحبة والسلام) اللذين يعملان بفعالية

في الحياة، ولخلق المجتمع المدني الذي يعد أساساً في عملية التنمية البشرية، بعد أنْ نخرج من قمقم الكسل إلى الحيويّة في العمل وسط الحواضر البشرية، لأننا ضمن دائرة المجتمعات المدنية التي تمتعت بثمار مدنيّتها وهي حقائق توجّه منظومة المفاهيم البالية وبحياديّة وتجرّد من النوازع المتخلفة الضيّقة للانطلاق بوعي إلى مفاهيم إيجابية بعقلانية راسخة ولا يمكن الوصول لهذا دون الاعتماد على متراكم العلوم والمعارف للحراك الجمعي المجتمعي عندنا وما لدى الإنسانية كلها وعدم الركون للصدفة أن تفعل فعلها أو تأتي وحدها فهي لا تستطيع صنع نظام منضبط لأي مجتمع إلا بالجهد الكلّي في ترتيب التجارب والخبرات والاستفادة منها في البناء والتنمية ويمكن التفاعل مع تجارب المدنيّات الأخرى لتقليل المسافات واختزال الزمن والتحرك باتجاه المشتركات من المفاهيم والقواعد الجديدة لما شيده الآخرون من الشعوب والمجتمعات فلا مستحيل لخلق المجتمع المدني والأخذ بمبدأ الأصلح من المعارف والمفاهيم ■

المدهش في البشر..

يقول أحد الأشخاص: توجهت إلى حكيم لأسأله عن شيء يحيرني؟ فسمعته يقول: عن ماذا تريد أن تسأل؟ قلت: ما هو أكثر شيء مدهش في البشر؟

فأجابني: البشر! يملّون من الطفولة، يسارعون ليكبروا، ثم يتوقون ليعودوا أطفالاً ثانيةً.. يضيّعون صحتهم ليجمعوا المال، ثم يصرفون المال ليستعيدوا الصحة.. يفكرون بالمستقبل بقلق، وينسَون الحاضر، فلا يعيشون الحاضر ولا المستقبل.. يعيشون كما لو أنهم لن يموتوا أبداً، ويموتون كما لو أنهم لم يعيشوا أبداً..

مرّت لحظات صمت.. ثم سألت: ما هي دروس الحياة التي على البشر أن يتعلّموها؟ فأجابني: ليتعلّموا أنهم لا يستطيعون جَعل أحدٍ يحبهم، كل ما يستطيعون فعله هو جَعل أنفسهم محبوبين.. ليتعلموا ألاّ يقارنوا أنفسهم مع الآخرين.. ليتعلموا التسامح ويجرّبوا الغفران.. ليتعلموا أنهم قد يسبّبون جروحاً عميقةً لمن يحبون في بضع دقائق فقط لكن قد يحتاجون لمداواتهم سنوات طويلة.. ليتعلموا أن الإنسان الأغنى ليس من يملك الأكثر، بل هو من يحتاج الأقل.. ليتعلموا أن هناك أشخاص يحبونهم جداً ولكنهم لم يتعلموا كيف يظهروا أو يعبروا عن شعورهم.. ليتعلموا أن شخصين يمكن أن ينظرا إلى نفس الشيء و يَرَيَانِه بشكلٍ مختلف.. ليتعلموا أنه لا يكفي أن يسامح أحدهم الآخر، لكن عليهم أن يسامحوا أنفسهم أيضاً ■

وصف جيش أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل

روى المنذر بن الجارود فيما حدث به أبو خليفة الفضل بن الحُباب الجمحي عن ابن عائشة عن معن بن عيسى عن المنذر بن الجارود قال:

«لما قدم علي عليه السلام البصرة دخل مما يلي الطف، فأتى الزاوية فخرجت أنظر إليه، فورد موكب في نحو ألف فارس يتقدمهم فارس على فرس أشهب عليه قلنسوة وثياب بيض متقلد سيفاً ومعه راية، وإذا تيجان القوم الأغلب عليها البياض والصفرة مدججين في الحديد والسلاح. فقلت: من هذا؟ فقيل: هذا أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وهؤلاء الأنصار وغيرهم.

ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض متقلد سيفاً متنكب قوساً معه راية على فرس أشقر في نحو ألف فارس، فقلت: من هذا؟ فقيل: هذا خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين.

ثم مر بنا فارس آخر على فرس كُمَيْتٍ معتم بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء وعليه قباء أبيض مصقول متقلد سيفاً متنكب قوساً في نحو ألف فارس من الناس ومعه راية، فقلت: من هذا؟ فقيل لي: أبو قتادة بن ربعي.

ثم مر بنا فارس آخر على فرس أشهب عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها من بين يديه ومن خلفه شديد الأدمة عليه سكينة ووقار رافع صوته بقراءة القرآن متقلد سيفاً متنكب قوساً معه راية بيضاء في ألف من الناس مختلفي التيجان حوله مشيخة وكهول وشباب كأنما قد أوقفوا للحساب، أثر السجود قد أثر في جباههم، فقلت: من هذا؟ فقيل: عمار بن ياسر في عدة من الصحابة من المهاجرين والأنصار وأبنائهم.

ثم مر بنا فارس على فرس أشقر عليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء متنكب قوساً متقلد سيفاً تخط رجلاه في الأرض في ألف من الناس الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض معه راية صفراء، قلت: من هذا؟ قيل: هذا قيس بن سعد بن عبادة في عدة من الأنصار وأبنائهم وغيرهم من قحطان.

ثم مر بنا فارس على فرس أشهل ما رأينا أحسن منه، عليه ثياب بيض وعمامة

سوداء قد سدلها من بين يديه بلواء، قلت: من هذا؟ قيل: هو عبد الله بن العباس في عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين، قلت: من هذا؟ قيل: عبيد الله بن العباس، ثم تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين، قلت: من هذا؟ قيل: قثم بن العباس، أو معبد بن العباس.

ثم أقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضاً، واشتبكت الرماح، ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات في أوله راية كبيرة يقدمهم رجل كأنما كُسرَ وجُبرَ ـ قال ابن عائشة: وهذه صفة رجل شديد الساعدين نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق، وكذلك تخبر العرب في وصفها إذا أخبرت عن الرجل أنه كسر وجبر ـ كأنما على رؤوسهم الطير، وعن يمينه شاب حسن الوجه، وعن يساره شاب حسن الوجه وبين يديه شاب مثلهما قلت: من هؤلاء قيل: هذا علي بن أبي طالب، وهذان الحسن والحسين عن يمينه وشماله، وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى، وهذا الذي خلفه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بني هاشم، وهؤلاء المشايخ هم أهل بدر من المهاجرين والأنصار» ■

مروج الذهب، المسعودي ٢/ ٣٦٨

مقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في منطقة الباج

جواد عبد الكاظم محسن •

ينابيع

تقع منطقة الباج في ناحية جرف الصخر التابعة لقضاء المسيب في محافظة بابل، وهي غربي الفرات بين محافظتي الأنبار وكربلاء، وإلى الأخيرة أقرب منها إلى الأولى، ولكنها أكثر قرباً منهما إلى مركز قضاء المسيب إذ لا يزيد بعدها عنه مسافة خمسة وعشرين كيلومتراً إلى جهة الشمال الغربي منه.

اكتسبت هذه المنطقة (المقاطعة) اسمها (الباج) وأهميتها الدينية من حادثة تاريخية شهيرة، تمثلت في مرور أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بها عند رجوعه من صفين سنة ٣٧هـ، ووقوفه عندها وحديثه مع أهلها، وكان عليه السلام

قد اتخذ طريقها للعودة إلى الكوفة، وهو غير الطريق الذي سلكه عند توجهه إلى الشام.

ذكر ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) منطقة الباج في معجمه، وقال ما نصه (الباج: بالجيم، قال أحمد بن يحيى بن جابر: مرّ علي بن أبي طالب عليه السلام بالأنبار فخرج إليه أهلها بالهدايا إلى معسكره، فقال: اجمعوا الهدايا واجعلوها باجاً واحداً، ففعلوا، فسمي موضع معسكره بالأنبار الباج إلى الآن)[1]. ونقل هذا القول عنه صفي الدين عبد المؤمن البغدادي في مراصده[2].

وقد أشار شيخنا الحجة المرحوم على القسام ـ طاب ثراه ـ في كتابه (السفر المطيّب) إلى منطقة الباج بعد نقله للرواية السابقة، قائلاً: (مقاطعة الباج، وفيها أسرة الشيخ خضير العاصي الجنابي، أحد رجال ثورة العشرين المشاهير، وله موقف يشكر في مقاومة الجيوش المحتلة)، ويقصد بالمحتلة الإنكليز، وأضاف قائلاً: (وفيها مقام علي عليه السلام بالقرب من نهر مرزوك يقع في الجهة الغربية منه)[3].

تاريخ عمارة المقام

يعود تاريخ أقدم عمارة ارتفعت فوق هذا المقام الشريف إلى مطلع القرن الرابع عشر الهجري (أواخر القرن التاسع عشر الميلادي)، وهي عمارة بسيطة أسسها الشيخ عاصي العويف الجنابي (المتوفى سنة ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م)، بعد أن استدل على مكان المقام الواقع ضمن أراضيه في المنطقة، وقريباً من داره، وبعد بنائه جعل منه مضيفاً لإيواء وإطعام الغرباء والمسافرين العابرين في رحلاتهم الشاقة في ذلك الزمان، وقد تعهده من بعده ابنه الشيخ خضير

(١٢٨٠-١٣٥٢هـ/١٨٦٣-١٩٣٣م) الذي أبلى بلاءً حسناً في الثورة العراقية الكبرى سنة ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م، وكان يتلقى الدعم والتوجية من المراجع والعلماء المشرفين على الثورة كما فصلت المصادر، وقد وقفنا على رسالتين خطيتين بهذا الخصوص مرسلتين له من القائد الروحي الأعلى للثورة الإمام محمد تقي الشيرازي والسيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني.

ولم تتوقف الرعاية والاهتمام الكبير لآل العويف وأماثل رجالهم بعد وفاة الشيخ خضير عن هذا المقام الطاهر، بل تواصلت العناية والجهود من قبل أبنائه كالحاج عباس خضير العاصي والشيخ مالك ياسين خضير العاصي في العقود الماضية، وهو ما يجب تسجيله بالثناء والتقدير.

العمارة الأخيرة

أنجزت آخر عمارة للمقام سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، وكان قد تكفل بإنشائها الأخوان أحمد ومحمد من أسرة آل حسون الجلال من الجنابيين الساكنين جوار المقام والمتولية لسدانته، وكنا قد وقفنا عليها أثناء تشرفنا بزيارة المقام لمرات عديدة في العقد الماضي، ورأيناها تتكون من قسمين رئيسين هما: الحرم الداخلي وهو مربع الشكل بمساحة تقرب من خمسين متراً مربعاً يتوسطه صندوق خشبي مشبك بطول مترين ونصف المتر، وبعرض مترين، وارتفاع متر واحد ونصف المتر، ووضعت في داخل الصندوق منضدة صغيرة مجللة بالقماش الأخضر ، وعليها مصحف شريف، ومحل الصندوق يؤشر البقعة المباركة التي وقف عليها الإمام أمير

المؤمنين عليه السلام عند وصوله لهذا الموضع أو محل صلاته، وتعلو الحرم الداخلي قبة من الآجر، والجدران كلها ملبوخة من الداخل بالجص، وفرشت الأرضية بالحصائر المنسوجة من خوص النخيل، والمكان على بساطته يبعث في نفس من يدخله من الزائرين مشاعر الجلال والقدسية.

أما القسم الآخر فهو عبارة عن طارمة مبنية من الآجر، ومسقفة بالآجر أيضاً وحديد الشيلمان، وهي مستطيلة الشكل بواجهة طولها سبعة أمتار، وعمق أربعة أمتار، ويصل بينها وبين الحرم الداخلي باب خشبي ذو مصراعين.

وتحيط بالمقام من جهاته الأربع أعداد غير قليلة من أشجار النخيل الباسقة، ويوجد في الجوار مجرى لنهر صغير جفت مياهه هو نهر مرزوك الذي أشار إليه الشيخ القسام عند ذكره للمقام.

الجريمة النكراء

لم يسلم هذا المقام الشريف المعروف بقدسيته ومكانته التأريخية من جرائم التكفريين البشعة رغم ما بذله أهالي المنطقة من جهود كبيرة لحمايته والمحافظة عليه، وقد استشهدت مجموعة خيرة منهم من أجل هذا الهدف النبيل، إلا أن يد الإرهاب الآثمة وهي لا تتورع عن محرم امتدت إليه أخيراً وطالته في منتصف سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، فحدثت جريمة تفجيره وهدمه التي أفجعت المؤمنين وأحزنت نفوسهم، ورغم مرور ما يقرب من ست سنوات مازال المقام مهدماً تنظر إليه العيون دامعة والقلوب مكلومة، والكل ينتظر عودة استتباب الأمن والاستقرار إلى المنطقة كي تتم المباشر بأعماره من جديد، ولكن للأسف لم تتوقف بعد هجمات عصابات الإرهاب على أهالي المنطقة أنفسهم بين حين وآخر، كونها منطقة مفتوحة ومتاخمة للصحراء الغربية الممتدة باتجاه الحدود، ولعل يوماً قريباً تتحقق فيه المنى، وترتفع عمارة جديدة للمقام الشريف بحلّة أفخم وأبهى من سابقتها ■

---

(١) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ٣١٣/١، ط٣، دار صادر، بيروت ٢٠٠٧م.

(٢) البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق، علي محمد البجاوي، ١٤٦/١، ط١، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

(٣) القسام، الشيخ علي: السفر المطيّب في تأريخ مدينة المسيب، مطبعة الآداب، النجف الأشرف ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص١٢٧.

الجامع الكبير في صنعاء

رمز الشيعة على مرّ التاريخ

علي محمد زيد •

ينابيع

الجامع الكبير بصنعاء من أقدم المساجد الإسلامية، وهو أول مسجد بني في اليمن، ويعتبر من المساجد العتيقة التي بنيت في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، حيث أجمعت المصادر التاريخية على أنه بني في السنة السابعة للهجرة، حين بعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الصحابي وبر بن يحنس الأنصاري والياً على صنعاء ثم أرسل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأمره ببناء المسجد فبناه ما بين الصخرة الململمة وقصر غمدان.

وكان أول بنائه بسيطاً وصغيراً جداً يتماشى مع عمارة المساجد الأولى، فكان مربع الشكل طول ضلعه (١٢) متراً، له باب واحد من الناحية الجنوبية وبه (١٢) عموداً

أشـهرها المنقورة وهو العمود السادس من ناحية الجوار الشرقي الحالي، والمسمورة، وهـو العمـود التاسـع مـن ناحيـة الجوار الشـرقي ـ أيضاً ـ ومقسـم من الداخل إلى ثلاثة أروقة، وكان يوجد بالرواق الشـمالي المحراب الأصلـي، وتعرض الجامع خلال العصور الإسـلامية المتتابعة إلى تجديدات وتوسـيعات عديـدة، وكان مـن أوائل هذه التوسـيعات قام بها الخليفـة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م) في ولاية أيوب بن يحيى الثقفي، شـمل التوسع في الاتجاه الشـمالي من ناحية القبلة الأولى إلى موضـع القبلة الحالية، وفـي فترة أول والي لبنـي العباس في صنعـاء الأمير عمر بن عبـد المجيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، نقلت أحجار أبـواب الجامع من قصر غمدان ومنهـا المدخل الذي يقع على يمين المحراب وبه صفائح من الفولاذ متقنة الصنـع من ضمنهـا لوحـان مكتوبان بخط المسـند.. وفي عام (١٣٦هـ/٧٥٤م) أجري توسـيع على يد الأمير علي بن الربيع بأمر مـن الخليفة المهدي العباسـي، وفقاً للوحة المكتوبة في صحن المسجد.

وفي عام ٢٦٥هـ أجـري على يد الأمير محمـد بن يعفـر الحميري توسـيع كان من ضمنـه السـقوف الخشـبية المصنوعة من خشـب السـاج، خاصة في عمـارة الرواق الشـرقي والـذي يتكـون مـن مصندقات خشبية غاية في الدقة والإبداع، إلاّ أن بعض المؤرخين اليمنيين ينسـبون عمارة الرواق الشـرقي في الجامع إلـى الملكة أروى بنت أحمد الصليحـي في عام (٥٢٥هـ/١١٣١م)

ويعود تجديد المأذنتين الحاليتين إلى عام (٦٠٣هـ/١٢٠٦م)، حيث قام بتجديدهما ورد بن سامي بعد أن تهدمت وسقطت..

وفي عام (١٠١٢هـ/١٦٠٣م) قام الوالي العثماني سنان باشا ببناء الصرح المعروف اليوم بالشماسي برصفه بالحجار.. كما بنى القبة الكائنة في الفناء، وقام الحاج محمد بن علي صبرة بإصلاح المنارة الشرقية في أوائل القرن الرابع عشر الهجري.

وفي عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م بنى الإمام يحيى بن محمد بن حميد الدين المكتبة التي تقع غرب المنارة الشرقية، وكذلك السقف الأوسط في الجناحين.. كما حفر البئر الغربية للجامع وأصلح سواقيها إلى المطاهير، وقد وسعت المكتبة في عهد الإمام أحمد بن يحيى بن حميد الدين في عام ١٣٧٤هـ.

والجامع بأبعاده الحالية ينطبق تقريباً على شكل الجامع الذي أمر بإنشائه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م). فالجامع مستطيل الشكل، تبلغ مساحته حوالي (٦٨×٦٥) بنيت جدرانه الخارجية بحجر الحبش الأسود والشرفات العليا بالطابوق والجص، ويحتوي على (١٢) باباً ثلاثة في جدار القبلة منها باب يعود تاريخه إلى فترة التاريخ القديم، نقل من أبواب قصر غمدان وهو على يمين المحراب، وفي الجدار الجنوبي مدخل واحد يعرف بالباب العدني تتقدمه قبة صغيرة، وفي الجدار الشرقي خمسة مداخل، وفي الجدار الغربي ثلاثة مداخل يتوسط مساحة الجامع فناء مكشوف مساحته حوالي (٣٨،٩٠×٣٨،٢٠) متر تتوسطه كتلة معمارية مربعة الشكل طوال ضلعه ستة مترات، تغطيها قبة محفوظة

فيها وقفيات الجامع ومصاحفه ومخطوطاته يحيط بصحن الجامع أربعة أروقة، الرواق القبلي (٦١×١٨،٥٠) متر عمقاً، والرواق الجنوبي (٦٠،٤٠×١٥،١٠) متر، والرواق الغربي (٣٩،٧٥×١١) متراً، ويوجد ضريح في الناحية الجنوبية من الرواق الغربي يطلق عليه ضريح حنظلة بن صفوان، ويبلغ عدد الأعمدة في الجامع (١٨٣) عموداً، منها (٦٠) عموداً قبلية، و(٣٠) عموداً غربية، و(٥٤) عموداً في المؤخرة، و(٣٩) عموداً شرقية. ويعود تاريخ هذه الأعمدة إلى القرن الرابع حتى القرن السادس الميلادي.

أما السقوف المصندقة ذات الزركشات الفنية المرسومة بطريقة الحفر الملونة فهي فريدة في العالم الإسلامي ويحدد تاريخ السقف المصندق للرواق الشرقي بالقرن الثالث الهجري استناداً إلى طرازه، بينما يعود تاريخ سقوف الرواق الغربي وبعض أجزائه إلى العصر الأموي أو إلى أوائل العصر العباسي، وللجامع مئذنتان، في الناحية الجنوبية واحدة، والثانية في الناحية الغربية منه. وتعتبر من أقدم المآذن الباقية باليمن، فالمئذنة الشرقية جددت بداية القرن السابع الهجري، وأعيد تجديدها في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، وتتكون هذه المئذنة من قاعدة حجرية مربعة الشكل بها مدخلان أحدهما في الناحية الشمالية والآخر في الناحية الشرقية يقوم عليها بدن مستدير تعلوه شرفة مزدانة بصوف في المقرنصات ويعلو البدن بدن آخر سداسي الشكل بكل ضلع فتحة نافذة معقودة، ويتوج هذا البدن بقبة صغيرة وقد وصفها الرازي بأنها لم يعمل مثلها إلاّ في دمشق أو في منارة الإسكندرية.

أما المئذنة الغربية فهي تشبه المئذنة الشرقية إلى حد كبير مبنية على قاعدة مربعة (٤،٢٥) متر، يبلغ ارتفاع هذه القاعدة حوالي خمسة أمتار، ويوجد غرب المنارة الغربية مكتبة مملوءة بذخائر التراث العلمي والثقافي اليمني في كافة المجالات، وفيها المخطوطات النادرة ومنها نسخ من القرآن الكريم بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما يوجد قبران في فناء الجامع تحت المنارة الشرقية.

ومازال الجامع الكبير في صنعاء منذ تأسيسه إلى اليوم من أهم المعالم الشيعية التاريخية في اليمن حيث يعتبر أهم مدرسة دينية للشيعة الزيدية حيث تخرج من هذه المدرسة مئات من المجتهدين والعلماء.

وله مكانه خاصة لدى أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام حيث توجد في أحد أجنحته حجرتين تسمى المسمورة والمنقورة وهن موضوعات كما تنقل المصادر التاريخية بيد أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث تؤدى اليمين (القسم) فكل من يقسم هناك وهو غير صادق يقع في بلاء معصيته ■

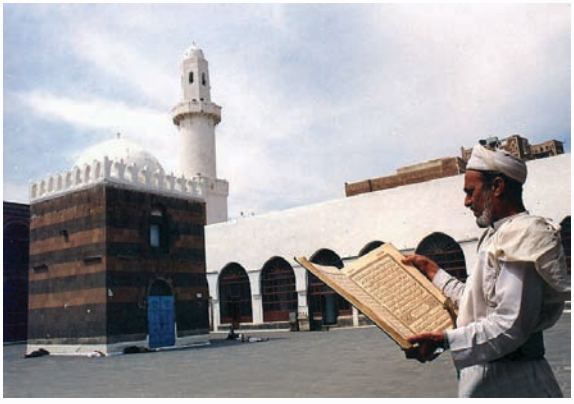

مسابقة العدد

أجوبة مسابقة العدد (٣٣) وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: أ. المفضل بن عمر

السـؤال الثـاني: أ. ١١٠ صحابي

السـؤال الثالـث: ب. شاهدان

السـؤال الرابـع: ب. الشافعي

السؤال الخامس: ج. تكفّر الخطيئة

السؤال السادس: ج. صلاة الحبوة

السـؤال السـابع: أ. ثلاثة أيام

السـؤال الثامـن: ب. شجر شوكي كالعوسج

السـؤال التاسـع: ب. البصرة ١٩٩ هـ

الفائز بالجائزة الأولى: سلام ناظم حمزة/ الديوانية ـ حي المتقاعدين.

الفائز بالجائزة الثانية: منتظر عبد الزهرة بدر/ الديوانية ـ العسكري ٣.

الفائز بالجائزة الثالثة: ضرغام ناظم حمزة/ الديوانية ـ حي المتقاعدين.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد

مسابقة العددين (٣٥-٣٦)

١ «ما أقول في حق امرئ كتمت أولياؤه مناقبه خوفاً وأعداؤه حسداً، ثم ظهر بينهما ما ملأ الخافقين». قول لعالم مشهور في الإمام علي عليه السلام، فمن هو؟

أ ـ سبط ابن الجوزي　　ب ـ الخليل الفراهيدي

ج ـ أبو إسحاق الكندي

٢ قال النبي صلى الله عليه وآله: «سيخرج من صلب هذا ـ الإمام علي ـ فتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، فإذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التميمي» من المقصود بالتميمي؟

أ ـ محمد بن يحيى　　ب ـ محمد بن موسى

ج ـ شعيب بن صالح

٣ **وما ظبية تسبي القلوب بطرفها**
إذا التفتت خلنا بأجفانها سحرا
بأحسن منه كلل السيف وجهه
دماً حتى قضى في سبيل الله صبرا

أبيات تمثل بها أمير المؤمنين عليه السلام فمتى كان ذلك؟

أ ـ عند مقتل عمار يوم صفين

ب ـ عند مقتل الحمزة يوم أحد

ج ـ عند مقتل عبيدة يوم بدر

٤ الإمامة هي النظام التي جعلها الإسلام أساساً للحكم بين الناس، بهذه العبارة يقدم الدكتور محمد بيومي مهران كتاباً من كتبه، فما اسم الكتاب؟

أ ـ الإمامة وأهل البيت عليهم السلام

ب ـ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

ج ـ الإمام الحسن بن علي عليهما السلام

كوبون المسابقة

ينابيع ٣٥ ٣٦

جواب السؤال الأول
أ
ب
ج

جواب السؤال الثاني
أ
ب
ج

جواب السؤال الثالث
أ
ب
ج

جواب السؤال الرابع
أ
ب
ج

الاسم الثلاثي:.....

العنوان:.....

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار. الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/شعبان/١٤٣١هـ.

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

٥ فخر الدين الطريحي الأسدي، كان أعبد أهل زمانه وأورعهم، عظيم الشأن رفيع المنزلة، له المنتخب ومجمع البحرين، توفي سنة ١٠٨٧هـ فأين توفي؟

أ ـ الكوفة ب ـ الدجيل ج ـ الرماحية

٦ همام بن السريح الأصهب، طلب يوماً من الإمام علي عليه السلام أن يصف له المتقين، فلما وصفهم خرّ ميتاً، فما قال الإمام حينها؟

أ ـ اتعظ فوعى الموعظة

ب ـ هكذا تصنع المواعظ بأهلها

ج ـ هذه عاقبة المتقين

٧ اشترى إبراهيم الخليل عليه السلام مغارة ودفن بها زوجته سارة ثم دُفن فيها وولده إسحاق ويعقوب، ما اسم المدينة التي فيها تلك المغارة؟

أ ـ بيت حانون ب ـ حبرون ج ـ ساعير

٨ وجّه الإمام الحسين عليه السلام رسالة لأشراف البصرة طالباً منهم الالتحاق به، فكم واحداً من هؤلاء استجاب لطلبه عليه السلام؟

أ ـ اثنان ب ـ واحد ج ـ لا أحد

٩ يوم من أيام الملاحم ستشهده الكوفة قال عنه الإمام الصادق عليه السلام: «يقتل فيه أربعة آلاف من باب الفيل إلى أصحاب الصابون» فما اسم ذلك اليوم؟

أ ـ يوم عروبة ب ـ يوم الكناسة

ج ـ يوم السبخة